محمد جواد مغنية

مذاهب فلسفية

وقاموس مصطلحات

دار ومكتبة الهلال

دار الجواد

دار الجواد
بيروت - لبنان
ص. ب ١٤-٥٨١٣
تلفون : ٣٠٠٧٤٨

دار ومكتبة الهلال
بيروت - لبنان
ص.ب : ١٥/٥٠٠٢

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

وبعد :

فان في هذه الصفحات او المحاولات عرضا وتوضيحا لبعض المذاهب والآراء الفلسفية ، واضافات وملاحظات هي من نتاج القراءة والمطالعة الدائمة الدائبة مدى عشرات السنين ، ومع هذا فلا آمن الخطأ فيما سطرت وعرضت ، لسبب واضح وبسيط وهو انى لست معصوما ، وايضا لست مجنونا .. واعوذ بالله من حبائل الغرور وعمى القلب والقصور .

وعلى اية حال ، فان الهدف الاول من كتابي هذا هو ان يمهد سبيل التفهم لبعض الحقائق الفلسفية ، وان يخرج القارىء منه وهو ادق فكرا ، واوسع افقا مما كان عليه قبل قراءته .

كل انسـان اذا رأى شيئا ، وتساءل عن علته ، فهو من طلاب الفلسـفة والراغبين فيها ، لان الفلسـفة في واقعها هي التعرّف على علل الأشياء وعلاقة واقعها بظواهرها ، ومن هنا كانت الفلسـفة عند الاقدمين العلم الكلي الذي يعم ويشمل جميع العلوم بشتى انواعهـــا ، وكذلك كان الحال في القرن السابع عشر الميلادي . قال أبو الفلاسفة الفرنسي ديكارت (١٥٩٦ ـــ ١٦٥٠) : « الفلسفة أشبه بشجرة جذورها علم ما بعد الطبيعة ، وجذعهـــا علم الطبيعة ، وأغصانها علوم اخرى » ولكنه قـــال ايضا : ليس في الفلسفة أمر الا وفيه خلاف . أما الفيلسوف الالماني ليبنتز فقد اكتشف من التساؤل الفطري عن علل الاشياء والاحداث ، مبدأ العلية والسببية القائل : «لكل حادث سبب» . واليك عبارته الخبيرة الغزيرة :

« لا واقع يمكن أن يكون حقا أو موجودا ، ولا حكم يمكن ان يكون حقا الا وتكون هناك علة كافية لكونه كذلك لا على خلافه ، وان كانت العلل ـــ في الغالب ـــ لا يمكن ان تكون معروفة لنا » ولنا ان نعطف على هـــذه العبارة ـــ بقرينـــة السياق ـــ ونحمل ما خفي علينا من العلل ، على جهلنا ، ولا يسوغ بحال جحودها والقطع بعدم وجودها .

وكل العلوم والفلسفات وجميع القوانين والشرائع والاديان السماوية والكتب الالهية ـــ تقوم على أساس مبدأ العلية القائل : لكل حادث سبب . ولولاه لكان حديث العلم والدين والفلسفة أشبه بمضغ الهواء ، وكان العالم الرشيد تمامـــا كالجاهل البليد .

الغموض والغرابة

معظم ما كتب في الفلسفة او نصفه — على الاقل — من الظلمات والمعميات .. يشتري القارىء العادي كتابا لمجرد انه يحمل اسم فلسفة ، ويعلق عليه امــلا كبيرا في تنويره وتثقيفه ، ولكن سرعان مــا يصطدم بالغموض والغرابة ، فيستعين بالهوامش والقواميس مــن غير جدوى ، فيتبخر امله ، ويلقي الكتاب باحتقار وازدراء ، لان القارىء يحترم الكتاب والكاتب بقدر ما ينتفع به ، ومحال أن ينتفع ويستفيد الا اذا فهم وعلم .

وتسال : ما هو السبب الموجب للصعوبة والغرابة ؟ الان مادة الفلسفة بذاتها من المشكلات والمعضلات ، أو ان الذنب ذنب الكاتب لا ذنب الفلسفة ؟

الجواب :

ان الفلسفة كأي علم من العلوم ، في موادها اليسير والعسير على الافهام ، وايضا الذين يكتبون ويؤلفون على وجه العموم وفي اي موضوع كان ، منهم من يعجز عن التعبير لانه معقد بالذات لا بالعرض ، وآخر لغته ضعيفة وهزيلة ، وثالث يقدر على الكلام المفهوم ، ولكنه لا يرغب فيه ، ويطلب من القارىء أن يبذل جهدا مريرا في تفهم معانيه ، عسى أن يقال : ان علمه لعظمته صعب المنال !. وكان الاجدر به ان يبذل هو اقصى الجهد في تحري الوضوح والبساطــة ، والبعد عن الفظاظة والغلاظة في اسلوبه وعباراته ، نقول هذا علما بأن التعبير والابانة سليقة وموهبة وأن اسلوب الانسان هو نفس الانسان ، ومع ذلك نؤمن ونوقن بأن للجهد الجهيد والتكرار الدائب ثماره وآثاره .

اما الغموض والصعوبة في بعض المواد والنظريات ، فلا تستعصي على الحل حتى ولو كانت أصعب واخفى من النظرية النسبية (١) فقد راينا اقلاما تسهل العسير ، وتوضح المشكل والمتشابه حتى كأنه من البديهات او اوضح ، وايضا راينا اقلاما تعمي البصير ، وتعسر اليسير . ورحم الله استاذنا السيد الحمامي ، فقد كان من دابه ان يكرر العبارة ويعيدها اذا كان المطلب صعبا مستصعبا ، وكنت أصيح وهو يعيد : واضح سيدنا واضح .. فيقول ببرودة اللامكترث : « اجل ، ولكن بعد البيان » .

اشارة الى المحتوى

كان من الممكن أن أعرض الفلسفة ومـــا فيها من مذاهب وآراء ومصطلحات ، أكثر مما سطرت وكتبت .. والفرصة متاحة لي لو اردت ، فان مكتبتي متخمة بالاسفار الفلسفية القديمة والحديثة ، منها الطويل ، ومنها القصير ، ومنها ما بين ذلك ، وأكثرها مترجم عن اللغات الاجنبية بما فيها اللغة الصينية والروسية والاردية ، ولكن سبق أن نشرت ستة مؤلفات في الفلسفة ، فقررت أن تقتصر فصول هذا الكتاب على أمرين فقط :

١ — اعطاء فكرة واضحة عن بعض الفلسفات أو التيارات السائدة في العصر الراهن بخاصة الالحادية التي يجهلها اكثر الدعاة الى دين الله أو الكثير منهم ، عرضت هذه الفلسفات مع النقض والرد بمنطق العقل وبديهته .

---

(١) اقرأ فصل نقـدة على النظرية النسبية .

٢ ــ ان أفسر بعض المصطلحات الفلسفية والعلمية الاكثر شيوعا واستعمالا كالتكنولوجيا والديناميكا وما اشبه .

وبه تعالى نستمد العون والتوفيق ، وعليه وحده نتوكل ، ونصلي على النبي وآله .

الاوليات الفطرية هي الاساس

ما بالذات لا يعلل

المراد بالاوليات الفطرية كل ما يدركه الانسان تلقائيا ، وبلا دليل ومقدمات ، بل يؤمن به بمجرد التصور ودون روية وتأمل ، ويشترك في هذه المعرفة كل الناس ، سواء فيها العالم والجاهل ، وتسمى أيضا بديهية وضرورية ، والامثلة على ذلك اكثر من أن تحصى ، منها : على الجاهل بشيء أن يسأل العالم به ، وعلى المريض أن يراجع الطبيب ، وعلى صاحب الحاجة ان يسعى في قضاء حاجته . « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » . قال الملا صدرا في الاسفار : « لا يمكن تحصيل الأوليات بالاكتساب والبرهان ، ولا بالتعريف الحدي او الرسمي اذ لا شيء أعرف منها . ومن ناقش في ذلك فلا يستحق المكالمة والمناظرة » . لانه تماما كجدال من ينكر عليك علمك بانك موجود !.

وانما سميت هذه الحقائق أولية ، لان دلالتها ذاتية ، وما بالذات لا يعلل (اي لا يحتاج الى دليل) بل يستدل به على غيره ، ولا يستدل بغيره عليه . ومن المستهجن عند اهل العرف أن تسأل : لماذا يطير الطائر بجناحيه ، ويمشي الانسان على رجليه ، ويأكل بفمه ، وينطق بلسانه ؟.

وتسأل : ان الأوليات البديهية او المعطيات الاولية ، لا تنحصر بالعقل الفطري ، فان الحس أيضا من هذه المعطيات

كروية الليل والنهار والجبال والبحار ؟.

الجواب :

ان العقل الفطري شرط اساس لسلامة الحس وصحة التجربة حتى الوحي لا يكون حجة ملزمة ، ووسيلة للاثبات الا ان يحكم العقل بامكانه وصدقه . وفي كتاب الأسفار : « ان الحواس لا تعلم أن للمحسوس وجودا ، بل هذا من شأن العقل » . وبهذا نجد التفسير السليم لقول الرسول الكريم (ص) : اصل ديني العقل ، ونعرف الحكمة من اهتمام القرآن بالتعقل والتأمل واذن فذكر البديهة ذكر للحس.

الاسلام من المعطيات الاولية

استدل ارباب الاقلام ، بالعديد من الشواهد والدلائل على صدق الاسلام وعظمته ، ووضعوا في ذلك الأسفار الطوال والقصار .. ومما قالوا : ان الاسلام من المعطيات الاولية ، يحمل في طبيعته الدليل على صحته وحجته ، لانه يعلن بصراحة لكل الاجيال ان اي شيء يسند اليه دون أن تشهد وتحكم به بديهة العقل مباشرة أو بالواسطة ، فما هو من دين الاسلام في شيء . ومعنى هذا ان الاسلام يقاضي خصومه الى العقل ، ولا دليل وراءه كما اشرنا . وعليه يكون الاستدلال بالمعجزة الخارقة على نبوة محمد (ص) ، من باب التأكيد وزيادة في التدليـــل .

العقـــل النظري

وهو الذي ينتقل بك من معلوم حاضر الى مجهول غائب ، من حقيقة بديهية الى حقيقة نظرية ــ مثلا ــ نحن نعلـــم

ببديهة العقل أن الرعية تعيش بأمان وحرية ان كان لها نظام عــادل وراع ساهر على حرمته وكرامته ، فاذا رأينا بلدا يعيش فيه المواطن خائفا على نفسه وعياله وأمواله علمنا بالضرورة انه يعيش من غير نظام او في ظل نظام جائر أو راع غير صالح او هما معا .

مثال آخر : كلنا يعلم بأن لا علم بلا عقل حتى عن طريق الحس كما سبقت الاشارة ، وننتقل من علمنا هذا الى أن حضارة الخلاعة والاستغلال وادب اللامعقول كلاهما جهالة وضلالــة .

وبعد ، فما العلوم بكاملها ولا الفلسفات والمناهج بأنواعها ولا الفنون والآداب بأشكالها الا اجزاء من خبرة الفكر والعقل. قال اسبينوزا : « اذا غاب العقل ظهرت الخرافــة ، واذا سادت الخرافة ضاع العقل » (١) وهذا هو حكم الاسلام بالذات ، وعلى اساسه اتفق الاقطاب من علمائه على أن ظاهر الشرع اذا تعارض مع العقل أوّلوا هذا الظاهر تأويلا يعطيه من المعنى ما يتفق مع حكم العقل .

(١) كتاب رسالة في اللاهوت والسياسة ص ١٢ ترجمة حسن حنفي .

حول فلسفة الاشراق

معنــــاه

الاشراق في اللغة : الاضاءة ، يقال : اشرقت الشمس اذا اضـــاءت . والمنقول عـــن السهروردي : ان الاشراق في الاصطلاح هو « ظهور الانوار العقلية » اي ان النور على نوعين : ظاهر كنور الشمس ، وباطن كنور العقل ، وهـــذا النور هو المراد بالاشراق .

التصوف

التصوف عـــلى اقسام ، منـــه مـــا هو مقبول ومعقـــول كالقناعة والزهد القائم على العقل والشرع .. ومثاله ما جاء في وصف الرسول الاعظم (ص) : « كان في طعامه لا يرد موجودا ، ولا يتكلف مفقودا » . وقال الامام أمير المؤمنين علي (ع) : « الاوان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعمه بقرصيه » .

وقسم آخر من التصوف يشطح بصاحبه الى اللامعقول ، الى اقتلاع كل ميل ورغبة من الجذور ! ومعلوم أن الانسان يعيش بروحه وجسمه معا ، ولا مهرب له من أحدهما مهما وضع عليه من اثقال . والعاقل يوازن بينهما ، ولا يدع احدهما يطغى على الآخر .

وقسم ثالث من التصوف لا يأخذ العلم من الحس والدرس،

بل من الله مباشرة عن طريق الجوع والقهر والصبر عن الملذات والشهوات .

وقال رابع : الطريق الوحيد الى الاتصال بالله هو السكر والنشوة بحبه وعشقه !.. الى آخر هذه الخرافات والجهالات .

السهروردي

اما السهروردي الشهير بفلسفته الاشراقية فانه يؤمن بفكرة التصوف ، ويكفر بما يصطدم مع العقل كتمع الشهوات من الاساس ، ولا يمنع البحث والدرس ، ولكنه يقول : من الممكن والجائز ان يصبح العقل مجرد نور كنور الشمس والكهرباء عن طريق جهاد النفس وحملها على الفضائل ، وترويضها على الحد من الاهواء ، وعندئذ يتم للعقل الاستعداد لتلقي الغيب من الله في النوم او اليقظة . وهذي عبارته في كتاب هياكل النور ص ٨٥ الطبعة الاولى :

« النفوس العاقلة انما يشغلها عن عللها سلطان القوى البدنية ، فاذا قويت النفس بالفضائل الروحانية ضعف سلطان القوى البدنية بتقليل الطعام وتكثير السهر — وعندئذ — تتخلص احيانا الى عالم القدس ، وتتصل بالله ، وتتلقى منه المعارف » . ثم ضرب السهروردي مثالا لذلك في ص ٨٦ بقوله : ان الحديدة اذا قربت من النار تصير حامية مثلها ، وتفعل فعلها ، وهكذا العقل الخالص اذا قرب من نور الانوار (اي من الله) يستشرق ويستضيء ويستنير بنور الله .

وباسلوب آخر ان اكثر الصوفية او الكثير منهم لا يقيمون اي وزن وشأن للعقل ونظره ، ويعتمدون على الرياضة

الروحية وتجربتها كطريق وحيد للاتصال بالله بلا واسطة العقل ، اما الاشراقيون فيعتبرون هذه الرياضة وسيلة لصفاء العقل وخلوصه من الشوائب ، وعن طريقه يتم الاتصال به سبحانه . ومعنى هذا أن الاشراق ضرب مـــن التصوف ، والفرق بين الاشراقي وغيره من الصوفية أن غير الاشراقي يتصل بالله بواسطة الرياضة فقط ولا حاجة به الى العقل ، اما الاشراقي فيتصل به تعالى عن طريق العقل الخالص الذي تم نقاؤه وصفاؤه من الهوى بعملية التدريب والترويض . وبكلمة الاشراق تصوف عقلي .

هذا تلخيص لما فهمته مما قرات وطالعت عـــن فلسفة الاشراق . والعصمة لاهلها .

الحكم بين الموضوعي والذاتي

الغرور الاحمق

من اعجب العجب أن يتيه الغرور بصاحبه الى حد الادعاء حمقا بأن كلمة الحق لا تخرج الا من فمه وحده ولا شريك له !.

والمناسبة لهذه الاشارة اني قرات الآن في الجرائد اللبنانية ت ١٩٧٧/٦/١٨ ، ومنها النهار والسفير — اعلانا لكاتبه ، جاء فيه ما نصه بالحرف الواحد : « يعلن أنه هو وحده — الضمير للكاتب — يتحمل مسؤولية الشؤون الدينية .. والصالح لاقرار المؤسسات والشخصيات الروحية .. والمعتمد للمرجعية العامة .. في العالم فيما يتعلق بالامور الدينية والاجتماعية والانسانية عموما » .

ابدا لا انسانية لاي انسان ، ولا روحانية لاي عالم ديني مهما بلغ من التقوى والورع والفضل والاجتهاد الا باقرار المعلن وتعميده وجعله وتقريره والا فهو محرف ومزيف !.

اليس معنى هذا أن ما يخرج من فمه هو تنزيل من عليم حكيم ؟

الحكم الذاتي

المراد بالحكم الذاتي هنا الراي النابع من رغبات الانسان وميوله كاملان هذا المستعلي عن نفسه .. وكراي الأم

في ابنها ، والعدو في عدوه .. وقد ينبع الرأي الذاتي من عقدة في النفس أو نقص في الشعور والاحساس . قال ستوارت ميل : « ان بعض العلماء يهمل نصف ما يرى ، وبعضهم الآخر يضيف الى ما يراه بعينيه شيئا مما تخيله ، فيخلط بين الحقيقة والخيال » .

وتسأل : ما من احد الا ويحكم من خلال نفسه حيث يستحيل عليه ان يتجرد عن ذاته وينفصل عنها ؟.

الجواب :

لا احد يطلب من الانسان ان يخرج من جلده ، ويتحول الى حقيقة غريبة عنه ، وانما المطلوب منه ان يكون حكمه ورايه ثمرة البحث الدقيق الوافي لا نتيجة الحب والحقد والتعصب الأعمى .

اجل ، هناك أحكام وآراء ذاتية لا توصف بخطأ او صواب ، لانها تخص الشخص وحده ، ولا دخل لها في شؤون الناس من قريب أو بعيد كرغبته في هذا النوع من الطعام او الشراب أو هذا اللون من الزهر أو الثياب دون ذاك .. وما الى ذلك مما لا قياس له ولا قاعدة ، ومن اجل هذا سمي هذا النوع بالحكم الشخصي والذوقي والمزاجي .

ومن الجهل والخطأ ان يحدث فيه خلاف ونقاش مع الفرض بأنه لا يمس حياة أحد كما اشرنا .

الحكـم الموضوعي

الحكم الموضوعي عـلى العكس من الحكم الذاتي ، ينبع من نفس الموضوع ، امـا الذات هنا فهي اشبه بآلة التصوير تعكس الشيء عكسا مجردا عن الميول والعاطفة .

وهنا سؤال يطرح نفسه ، وهو هل يستطيع الانسان ان يدرك الشيء ، أي شيء ، على حقيقته ومن شتى جهاته ؟.

الجواب :

كلا ، فان الانسان انما يدرك من الشيء ما يدخل في حدود فهمه وشعوره ، وما عدا ذلك فهو غريب عنه وعن تصوره حتى الشيء الـذي يتصوره ويدركـه لا يعرف منـه الا القليل — مثلا — القاضي يستمع للمتداعيين وشهود العيان ، ويناقشهم مناقشة دقيقة وافية ، ومع ذلك قد يخطىء ، ويرى الموجود معدوما والمعدوم موجودا ، فكيف بمن يحكم بمجرد النظرة او اللمحة ؟ ومن هنا قال الفلاسفة او الكثير منهم : ان التعريف بالحد الحقيقي متعذر أو متعسر ، وان التعريفات بكاملها لفظية لمجرد التقريب الى الفهم وكفى .

الـذات القدسية

واذا تعذر علينا فهم الاشياء التافهة على حقيقتها كالذبابة والنملة ، ونحن نراها بالعين لا بالاثر فقط ، فبالأولى أن نعجز عن إدراك ما لا يرى بالبصر والبصيرة كالذات القدسية التي لها الخلق والامر كله . وبهذا نجد تفسير الحديث الذي ذكره الكليني في أصول الكافي : « تكلموا في خلق الله ، ولا تكلموا في الله ، فان الكلام في الله لا يزداد صاحبه الا تحيرا» .

اجـل ، لك ان تنعته سبحانـه ـ على سبيل التقديس والتمجيد ـ بالجلال والكمال والتنزيه عـن المثيل والنظير ، ولكن هذا شيء وادراك الذات بكنهها وحقيقتها شيء آخر

وقد يقول قائل : ما دامت ذات الخالق غيبا في غيب ، فمعنى ذلك أنه في عزلة عنا ومنأى ، وعليه لماذا نؤمن به ، ونتعبد لـه ؟.

الجواب :

انه تعالى غائب في ذاته القدسية ، ولكنه حاضر في علمه ومقدرته ، وفي رسله وشريعته ، وفي تدبيره وعنايته ، وفي حسابه وثوابه وعقابه ، وفي الآية ١٦ من ق : انه أقرب الينا من حبل الوريد ، وفي الآية ٥ من هود : « يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور » . وفي نهج البلاغة : « الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين، والباطن بجلال عزته عن فكرة المتوهمين » .

بين المنطق القديم والمنطق الحديث

كلمة المنطق

مشتقة من النطق ، وهو نوعان : نطق خارجي وهو اللفظ ، ونطق داخلي وهو الفهم والادراك . وبينهما عموم وخصوص من وجه ، يفترق الخارجي عن الداخلي في كلام المجنون ، والداخلي عن الخارجي في التفكير السليم بلا كلام ، ويجتمعان في الكلام المعقول ، ولكن كلمة « منطق » اصبحت بالاستعمال الشائع مرادفة لعلم المنطق او للعقل ، ولذا عرفوا الانسان بالحيوان الناطق ، وهم يريدون أن الانسان يمتاز عن سائر الحيوانات بقدرته على النطق بالمعقول .

مؤسس علم المنطق

هو الفيلسوف اليوناني الشهير ارسطو « ٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق م » تلميذ افلاطون ومعلم الاسكندر الكبير ، ويسميه الفلاسفة العرب المعلم الاول ، وكان استاذه يسميه العقل ، فقد روى الرواة ان افلاطون حين يجلس في حلقة الدرس لا يشرع به ، فاذا استدعي له قال : حتى يحضر العقل ، فاذا جاء ارسطو قال افلاطون : حضر العقل .

موضوع المنطق

الفكر الانساني اي العمليات الفكرية والقوانين والشروط الضرورية للوصول الى حكم سليم ، يقبله كل مفكر عادي .

تعريف المنطق

فن التفكير اي يعلمنا المنطق كيف ينبغي أن نفكر لكي نميز بين خطأ الفكر وصوابه .

غاية المنطق

الابتعاد عن سوء الفهم ، أو قل : الوصول الى الحقيقة .

ومن كل ذلك يتضح لنا ان المنطق ليس جزءا من علم ، وانما هو مستقل بقوانينه ومبادئه ، بل هو معيار ومنهج لكل العلوم ، تقاس هي به ، ولا يقاس هو بشيء منها ، ومن هنا تجب دراسته قبل الخوض في العلوم حيث لا يسوغ دراسة العلم ومنهجه في آن واحد .

وعامة الناس في حوارهم واحاديثهم اليومية وما يدور بينهم من نقاش ، ويشرحون من آراء ومعتقدات ـ يسيرون على مقتضى المنطق وعلمه وقواعده من حيث لا يشعرون .

المنطق الصوري

ينقسم المنطق الى نوعين : صوري وتطبيقي ، ونتحدث عن التطبيقي في الفقرة التالية ، والآن نتكلم عن الصوري ، وأيضا يسمى بالمنطق القديم ، وبالنظري ، والاورسطي نسبة الى واضعه ارسطو . ويقوم الاستدلال والاستنباط في هذا المنطق على اتساق الفكر وانسجامه مع نفسه بحيث تكون الفكرة واضحة في ذاتها والنتيجة مطابقة لمقدماتها شكلا وظاهرا بغض النظر عن صلاتها بواقع الحياة ومقوماتها وعن اي شيء من الاشياء الخارجية .

ومن أقيسة هذا المنطق : هذه نار ، وكل نار محرقة ، فهذه محرقة . والصفات العامة للمنطق الصوري ثلاث (١) ترتيب النتيجة على المقدمات حتما وقهرا (٢) لا تصدق النتيجة ولا تكذب الا على افتراض صدق المقدمات او كذبها (٣) ليس في النتيجة معرفة زائدة على مقدماتها . وعليه فلا يصح ان يسمى المنطق الصوري استدلالا ، اذ لا يستنتج من المعلوم شيء مجهول .

ومن هنا قال كثير من الفلاسفة الجدد : ان قياس المنطق الصوري تحصيل للحاصل ، وتطويل بلا طائل (١) تماما كمن « فسر الماء بعد الجهد بالماء » !. هذا اذا كان القياس صحيحا كالمثال السابق « هذه نار الخ » أما اذا كان كاذبا كقياس السفسطائي الذي رأى صورة حصان على حائط فقال : هذا حصان ، وكل حصان صاهل ، فهذا صاهل — فهو تسطير كلام ولقلقة لسان .

ثم ان مباحث المنطق الصوري تنقسم الى ثلاثة أقسام :

١ — التصورات ، ويبحث فيها الالفاظ ودلالتها وأنواعها ، والحد والرسم .

٢ — التصديقات ، ويبحث فيها القضايا وأنواعها وأحكامها .

---

(١) قسموا الاستدلال المنطقي الى ثلاثة انواع : الاول الاستدلال بالكلي على الجزئي ، وهو الاستنباط ، الثاني الاستدلال بالجزئي على الكلي ، وسموه الاستقراء ، الثالث الاستدلال بالجزئي على الجزئي ، واطلقوا عليه اسم التمثيلي ، وينحصر الحديث هنا بالمنطق الاستنباطي فقط ، وكل الاعتراضات تنصب عليه وحده .

٣ ـ القياس ، ويبحث فيه الحجج والبراهين وأنواعها.

المنطـق التطبيقي

ولكي يتضح الفرق بين المنطق التطبيقي والصوري نمهد اولا بالاشارة الى اهم الفروق بين الفلسفة القديمة والحديثة على وجه العموم .

في القديم كانت الفلسفة تتألف من التخمينات حول الاشياء والمشكلات وكفى ، ولم يكن الفيلسوف يعتمد على الخبرة والمشاهدة ، بل على التفكير المجرد والتأمل الباطني المحض دون أن يستند الى آلة ومختبر حتى اذا ما تخيل الحقيقة فيما يرى ، اخرجها للناس كأبعد ما تكون عن الشبهة والنقاش في رأيه .. اما الفلسفة الحديثة فان الفكرة تلتحم فيها بالخبرة والمشاهدة وبالعين والاذن . وبكلمة ان الفلسفة القديمة ذاتية تماما كالتصوف ، والفلسفة الحديثة واقعية وعلمية .

والسر لهذا الفرق أن العقل البشري يتطور مـع الزمن وتزيـد مقدرتـه ، فقد كان صعود الانسان الى القمر فوق تصور العقل ، وها هو الآن حقيقة ملموسة ، ومثله تماما أن يسمع الانسان صوت من في القبور ، وأن يحدثه من في المغرب وهو في المشرق .. الى غير ذلك مما كان فوق قدرة الانسان الاول وعقله ، وكذلك الانسان الآن فانه يرى بعض الاشياء من المستحيلات ، ولكنها ستكون عند انسان المستقبل مألوفة تماما كالسيارة والطائرة عندنا .

وهذا الفارق الجوهري بين الفلسفة القديمة والحديثة ، هو الحد الفاصل بين المنطق الصوري والتطبيقي ، ينطلق

الاول من نشاط الفكر وتأمله وحده مجردا عن التطبيق العملي (أي الفكر للفكر) أما الثاني فيعتبر التطبيق العملي جزءا متمما لصحة الفكر والتأمل (أي الفكر للعمل) وبهذا يكون المنطق التطبيقي دعوة أو نظرة علمية موضوعية ، والمنطق الصوري نظرة ذاتية ودعوة صوفية .

ونختم الكلام بالمثال الآتي زيادة في التوضيح :

لنفترض ان رجلا الف قياسا من افكاره وخياله وقال : رأيت هذا الرجل يحاول الطيران في الفضاء ، وكل من يحاول ذلك فهو مجنون ، فهذا الرجل مجنون .

وما من شك أن هذا القياس سليم ومستقيم في عقول السلف لعجزهم وقصور عقولهم عن ادراك هـذا الطيران وتصور وقوعه لانه بعيد عن بيئتهم وما الفوه في حياتهم ، ولكن هذا القياس هزيل وعليل في أفهامنا نحن ، لان كل فرد منا راى الانسان يطير في الفضاء ، بل ويمشي وينتقل فوق القمـــر .

وبعد فان الفكر انعكاس عـــن الواقع وعالـــم الشؤون اليومية ، وثبت بالخبرة والعلم القاطع أن هذا العالم مجرد حوادث تتحول وتتطور بسرعة ، وكذلك الفكر ونظرياته ، ومعنى هذا أن الفكر من حيث هو ليس بحجة مطلقة وبرهان شامل حتى ولو انسجمت قضاياه ، وتلاءمت النتائج مـــع المقدمات . وأيضا معنى هذا أن صحة الفكرة نسبية ومرهونة بتطبيقها العملي على الواقع الذي لا سبيل الى انكاره .

حول الانسان والحيوان

لكل نفس هداهـــا

من العلوم الحديثة علم سلوك الحيوان ، وغايته الكشف عن صفاته ونمط حياته واوجه نشاطه . ومن جملة ما قرات في هذا الموضوع لعلماء الحيوان وعنهم ، ان الكلاب مصابة بعمى الالوان ، فلا تميز بين اسود وابيض ، وان نوعا من الاسماك يحس بشواربه ، وان الحيوانات تستطيع التفاهم والتخاطب بالاصوات والحركات ، والنمل بالتلامس ، والنحل بالرقص ، وان للحشرات ثلاثة انواع من الاغنيات : النوع الاول لجـــذب الانثى للذكـــر ، والنوع الثاني للحماس حين التنافس على الانثى بـــين ذكرين ، والثالث لمجرد المتعة والسلوى .

ولكل نوع من الحشرات لغته واغانيه الخاصة بـــه ولا يفهمها الا ابن النوع تماما كاللغة القومية للانسان .

واعجب ما قرات في هذا الباب ان العلماء المتخصصين راقبوا سنة ١٩٥٥ سمكة كبيرة على عمق عشرين قدمـــا ، تتجه نحو شجرة كبيرة من المرجان ، تتحصن فيها الاسماك الصغار من الكبار ، ثم وقفت السمكة الكبيرة عند الشجرة ، وفتحت فاها الضخم ، فأسرعت نحوها سمكة صغيرة ، ودخلت في فم الكبيرة ، فأقفلت هذه فمها ولكن تركت فيه فتحـــة

صغيرة ، وبعد فترة فغرت الكبيرة فمها على سعته ، وخرجت الصغيرة ، وتبين للعلماء الملاحظين أن الصغيرة قامت بعملية تنظيف في فم الكبيره التي كانت قد التهمت شيئا وعلقت بعض الطفيليات بفمهـا ، وبذلك تخلصت الكبيرة مـن الاضرار ، واستفادت الصغيرة غذاء من غير احتساب (١) .

وفي الجزء الاول من كتاب الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي وغيره من كتب الحيوان ـ حكايات عن تداوي الحشرات والطيور والحيوانـات بالاعشاب وغيرهـا اذا مرضت .. وقبل أن يكتشف ذلك أهل الاختصاص بقرون ، اشار اليه سبحانه بقوله : « وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم امثالكم — ٣٨ الأنعام » وأشار الى لغة الحشرات بالخصوص : « قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم — ١٨ النمل » والى لغة الطيور : « علّمنا منطق الطير — ١٦ النمل » . « فقال — أي الهدد ـ أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين — ٢٢ النمل » .

عبقريـة العقـل

بعد الصفحة التمهيدية نعرض السؤالين التاليين مـع الاجابة عنهما :

السؤال الاول : اذا كان للحيوان هـذا الادراك او هذه الهداية فكيف اعتبر العلماء العقل حدا فاصلا يفرق بـين الحيوان والانسان ، وكان الانسب والاصوب أن يفرقوا بان هذا يمشي على رجلين وذاك على أربع مثلا ؟.

(١) مقتطف من مقال مطول بعنوان لغة الحيوان ، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتية في العدد الثاني من المجلد السابع .

الجـــواب :

المراد بالعقل الذي خص به الله الانسان وكرمه بنعمته هو الذي يفكر به عن حرية واختيار ، ويميز عن طريقه بين الخير والشر والهدى والضلال ، ومن أجله شرع سبحانـــه الحلال والحرام ، وبه يحاسب ويثيب ويعاقب ، وأيضا به اكتشف الانسان أسرار الطبيعـــة واخترع وأبدع ، فحطم الذرة ، واهتدى الى الكهرباء والعقل الالكتروني ، وقفز الى القمر ، وأنشأ الحضارات ، واتى بالمعجزات .. وهنا يكمن السر في قوله سبحانه مخاطبا العقل : ما خلقت خلقا احب عليك منك .

وقال أديب معاصر : كلما اكتشف العقل افقا بدت لـــه آفاق ، وهكذا دواليك . وقال آخر : « اذا كان الكون يحيط بالانسان فان في داخل الانسان أعمق واعظم من الكون .. واذا كان في الكون شمس وقمر ونجوم فان في العقل الانساني أفكاراً تلمع وتبهر ، واذا كان في الاكوان قوانين دقيقة فان العقل أدق وأروع ، واذا كان علماء الفلك يرون في دقتـــه وحكمته دليلا على عظمة الله فان تكوين الانسان اكبر دليل على عظمة الخالق ، واذا كان النظر الى السماء يجعل الانسان يشعر بضآلته فان التأمل في نفسه يجعله يشعر بعبقريته » .

فاين مكانة الحيوان وهدايته الى طريقه وحاجته من هذه الفضائل والشمائل ؟ ان الحيوان لا يخطط ويصمم ، ولا يعرف للتفكير وحريته ولا للاقتناع والايمان ، من معنى ، وغاية الامر ان الله سبحانه أودع فيه قوة وغريزة تقوده آليا وتلقائيا الى ما يضطر اليه في حياته وبقائه تماما كما خلق جل وعلا الكون واودع فيه النواميس التي تتحكم به بمشيئة الله تعالى ،

وتقوده ذاتا وتكوينا الى الغاية من وجوده .

الصدفـــة

اما السؤال الثاني فهو : لماذا لا نرجع النواميس الموجودة في الكون الى الاتفاق والمصادفة ، كما يقول اصحاب النظرية الميكانيكية ؟ فكم للمصادفات من حسنات ؟.

الجـــواب :

١ ــ ما من احد يلجأ الى الصدفة الا لعجزه وجهله بعلل الحوادث أو لعناده ومكابرته .

٢ ــ ان معنى الصدفة هو وقوع حادث أو حوادث من غير علة محددة ومطردة (١) مثل ان تلد مئة حامل مئة ذكر لا انثى بينهم ، او مئة انثى لا ذكر بينهن في ساعة واحدة وبلد واحد . ومثل هذا ممكن ذاتا ، ولكنه نادر وقوعا وقـــد لا يقع اطلاقـــا . وعلى الفرضين لا يسوغ بحال أن نفسر به مظهرا واحدا من مظاهر الاحكام والابداع ، فكيف بتفسير الكون العجيب بقوانينه واسراره ؟.

٣ ــ اذا وجد هذا الكون من باب الصدفة فلماذا لا يكون هذا الزعم صادرا عن مدعيه صدفة ومن غير وعي وقصد ؟.

٤ ــ اذا ساغ أن ينسب النظام المعقول الى الصدفة اللامعقولة يسوغ أيضا أن ينسب العلم الى الجهل

---

(١) الصدفة على قسمين : مطلقة ونسبية ، والاولى مستحيلة عقلا بناء على المنطق القائل : لكل حادث سبب والممكن ما يجب لم يوجد . والثانية مستحيلة وقوعا لا عقلا ، ومثال المئة الحامل من نوع الصدفـــة النسبية . واخترنـــاه لوضوحـــه .

والحق الى الباطل ، والعدل الى الجور .. الى آخر هذه الحماقــات .

٥ ــ ان الصدفة لا تخلو من أحد فرضين : اما أن تكون قاعدة مطردة يفسر بها كل حادث وحادثة . وهذا خلاف الفرض ، ثانيا لا قائل بذلك ، واما أن يُفسر بها وجود حادثة دون حادثة ، ومعنى هذا أنها ليست بقاعدة ، وبالتالي فما هي من العلم في شيء .

٦ ــ يسير الكون على قوانين كاملة ومطردة ، ولولاها لم يكن لحي فيه مقر ولا ممر ، ولم يلتئم وينسجم شيء مع شيء على الاطلاق .. مضافا الى أن مبدأ العلية ترتكز عليه جميع العلوم ، ولا يمكن بحال أن تكون اية حادثة موضوعا لأي علم الا بعد التسليم بحتمية العلاقة بين العلــة والمعلول ، والنتيجــة والمقدمات . وما من شك أن خضوع الكون لقوانينه والمعلول لعلته يبطل القول بالعشوائية والمصادفة .

صـــدق القضية

بالبديهة او التجربة

القبلية والبعدية

قسم عدد من الفلاسفة المعرفة الى قبلية وبعدية ، وارادوا بالقبلية المعرفة البديهية الفطرية التي هي من عمل العقل وحده مستقلا عن التجربة والمشاهدة كالعلم بان الكل اكبر من الجزء ، اما المعرفة البعدية فتاتي بعد التجربة والمشاهدة كالعلم بمحتوى هذا الكتاب ومضمونه .

وبكلمة ان العلم القبلي في الانسان فطرة وغريزة اشبه بادخار النمل وانتـاج النحل للعسل ، امـا العلم البعدي فاكتساب من الخارج . وبعض الفلاسفة انكر القبلي مـن الاساس .

القضية تحليلية وتركيبية

وايضا تسمى القضية القبلية تحليلية ، لان المحمول ـ كما هو الفرض ـ ثابت بالذات للمحمول عليه، ولا ينفك منه بحال، ولذا اذا جزأت القضية ، وذكرت الموضوع دون المحمول او المحمول دون الموضوع ـ دلّ احدهما على الآخر فكلمة ارملة تعني امراة مات زوجها ، وكلمة امراة مـات زوجها تعني الأرملـة .

وتسمى القضية البعدية تركيبية ، لان المحمول غير ثابت

بالذات للموضوع ، ولا نعرف أنه من صفاته الا بعد التركيب ومراجعة الواقع مثل هذا الكتاب مفيد أو غير مفيد .

لا بديهة عند الماديين

وقال الماديون : لا حقيقة اطلاقا الا في الارض ومن الارض ، وكل ما يدور في الراس والعقل فهو أوهام وأحلام تماما كتخيل جبل من ذهب ونهر من عسل الا ان يكون مستفادا من حس ومشاهدة .

اما ما يسمونه بالمعطيات العقلية الفطرية فهو من معطيات المشاهدة الخارجية دون العقل .. وما يقول القائل العاقل : ١ + ١ = ٢ والطريق المستقيم اقرب مسافة من غير المستقيم ، والخمسة اكبر من الاربعة — الا بعد ان يرى ويشاهد ذلك في الخارج بكل وضوح ، ومعنى هذا ان لا معرفة قبلية ولا حقيقة مسبقة .

الجواب :

ان كل الناس يدركون بفطرتهم تحريم القتل من غير حق وشهادة الزور ، وان الحرية حق طبيعي لكل فرد .. الى غير ذلك مما لا صلة له بالحس والمشاهدة من قريب او بعيد . وأيضا كلنا يعلم ويؤمن آليا وتلقائيا بأن هذا الشيء المعين هو هو بذاته لا غيره والا يستحيل ان نعلم بوجود شيء على الاطلاق .. ويسمى هذا المبدأ بقانون الذاتية ، ولا ينكره عاقل على وجه الارض .

وان قال قائل : اجل ، لا احد يشك في أن الشيء المعين

هو هو ، ولكن هذا القانون أو هذا القول لا جدوى من ورائه ، لانه تحصيل حاصل تماما كقول القائل : الماء هو الماء . ومثله لا يبحث في العلم وابوابه ، وهل من عاقل يطلب العلم بالمعلوم ؟ .

– قلنا في جوابه : ان اكثر الواضحات أو الكثير منها تحصيل حاصل أو به اشبه ، ومع هذا هي مألوفة عند العرف لسبب أو لآخر ، أما العلماء فلا يذكرونها ويبحثونها في دروسهم وأسفارهم كجزء أو فصل من العلم ، بل يتخذون منهجا عاما يتوصلون به الى المعرفة . وفرق كبير بين العلم والمنهج المتبع في دراسته .

ومن أخص خصائص المنهج أن يكون واضحا كتحصيل الحاصل . حتى التجربة تعتمد على قضية مسبقة ، وتنطلق من هذا المبدأ القبلي القائل : « ان القضايا التجريبية لا تمت الى الصدفة بسبب » حيث لا ارتباط وعلاقة بين الصدفة وبين وجود الحادث كما هو الفرض .

واخيرا لولا القضايا القبلية والمعطيات المباشرة لانسد باب العلم بأصل الوجود فضلا عن العلم بالقيم والحقائق .

القضية التحليلية اخبارية

وتسأل : هل توصف القضية التحليلية بأنها اخبارية مع العلم بأن صدقها ضروري ؟

الجواب :

أجل ، لأنها حكاية عن الواقع ، وليست مجرد انشاء ،

فقولنا : ١ + ١ = ٢ كقولنا : النحاس يوصل الكهربـــاء ، والفرق ان القضية الاولى ضرورية لا تفتقر الى تجربـــة وامتحان على العكس من الثانية ، قال الفيلسوف الالماني كانـــت :

« القضايا الرياضية ذات مضمون خبري تماما كالقضايا الطبيعية مع العلم بأن الاولى لا تستدعي مراجعة الواقع الخارجي .. ومعنى ذلك ان القضية التحليلية هي قبليـــة وخبرية في آن واحد ، ولا تناقض بين الوجهين » . (١) .

والخلاصة ان الشرط الاساس للقضية الخبرية ان تكون حكايـــة عن شيء واقـــع سواء أكانـــت القضية ضروريـــة الصدق أم لم تكن ، أما تعريف من عرف الخبر بأنه يحتمل الصدق والكذب فهو تعريف بالرسم لا بالحد ، والفرق بينهما ان الحد تعريف لنفس المحدود بهويته الشاملة لجميع افراده بحيث يدور الحد مدار المحدود وجودا وعدما ، وهذا متعذر أو متعسر ، أما التعريف بالرسم فهو عبارة عن ذكر الشيء بصفة من صفاته كقولك : هذا الكتاب ألفه فلان أو نشرته الدار الفلانية .

---

(١) نقلا من كتاب نحو فلسفة علمية للدكتور زكي نجيب .

حــول الجمــال

العلم كلي وجزئي

يوصف العلم على اساس موضوعه بالكلي والجزئي ، والمراد بالجزئي ان يكون موضوعه اخص من موضوع العلم الذي يشمله ، كعلم الاقتصاد بالنسبة الى علم الاجتماع ، فانه يشمل أيضا التشريع والسياسة.، وكعلم الطب بالنسبة الى العلم الطبيعي . وبهــذا يتضح معنى المراد من العلم الكلي . قيل للامام امير المؤمنين (ع) : صف لنا العاقل . فقال : هو الذي يضع الشيء مواضعه . فقيل : صف لنا الجاهل . فقال : قد فعلت .

وعلم الجمال من العلوم الجزئية ، لان موضوعه خاص ، وكثير من الفلاسفة تحدثوا عنه كباب من أبواب الفلسفة ومسائلها ، وبعضهم وضع فيه كتبا خاصة . وعلم الجمال قاعدي معياري ، نسبة الى المعيار والقاعدة حيث يقاس بقواعده الحكم على الانتاج الفني . والعلوم المعيارية ثلاثة ، الاول علم الجمال والثاني والثالث المنطق والاخلاق ، والقاسم المشترك بين الثلاثة هو الانشاء (اي افعل هذا ، واترك ذاك) .

كلمــة الجمـــال

كلمة الجمال عامــة وغامضة ، يفسرها كل بما يــراه ويهواه ، ومن هنا قال بعض الفلاسفة : ان الجمال فكرة

غير قابلة للتعريف . وقال اناتول فرانس : اعتقـد اننـا لن نعرف بالضبط ابدا لمَ كان الشيء جميلا .

اجل ، ان تعريف الجمال تعريفا يعم ويشمل جميع أنواعه ليس بالامـر السهـل ، واقصى مـا يمكـن ان يقـال : ان الجمال يتصف به الشكل والمحتوى والفكر والمادة ، وان كل قلب يلبي نداء الجميل .. ولكن اذا سال سائل : لماذا يكون الجميل — على وجه العموم والشمول — جميلا ؟ اغلق دونه باب الاجابة التي يمكن تبولها والركون اليها ، اما اذا سال : لماذا كان هذا الشيء الخاص المعين جميلا ، فتهون الاجابة بوسيلة او بأخرى . ومعنى هذا أن جمال الكائنات الجزئية يمكن تعريفه ، اما تعريف الماهية الجميلة التي توجد بوجود كل جميل من اي نوع كان ، وتنتفي بانتفائه — فمتعذر أو متعسر .

ايـن الجمـال

اختلف الفلاسفة في الجمال : هل هو شيء موجود ، له عين واثر خارج الانسان ومشاعره ، او أن الجمال مجرد شعور ذاتي في أعماق الانسان نحو الشيء الذي يرغب فيه لا لحسنه وجماله الطبيعي . وبكلام ثان : هل الجمال من عالم الحق والواقع ، أو من عالم الوهم والانفعالات النفسية ؟

ذهب الماديون الى الراي الثاني وقالوا : ان الانسان لا يرى الشيء جميلا الا لرغبة فيه اصيلة تماما كالطعام في نظر الجائع، والمراة في عين المشتهي !. ونحن مع اهل العلم والفكر القائلين بأن الجمال موضوعي وطبيعي ، يكمن في الشيء حقا وواقعا تماما كرائحة المسك في المسكً ، وحلاوة العسل في العسل . وشاهدنا على ذلك :

١ ــ يعتقــد الماديون ان الشعور بأي شيء انما هو انعكاس عن الواقع الموضوعي . وعلى مبدئهم هذا يكون الشعور بالجمال تعبيرا عن الجمال الموجود فعلا في الخارج ، وملاذا له ، ولا ينفك عنه بحال حيث لا فرع بلا اصل ، ومع ذلك ينكر الماديون اصل الجمال ، ويعترفون بوجود فرعــه (أي الشعور بالجمال) ومعنى هذا انهم ينقضون مــا ابرموا ، ويبرمون مــا نقضوا ، ويجمعون بــين مترقين ، ويفرقون بين مجتمعين مــن حيث يشعرون أو لا يشعرون .

٢ ــ ان الفن يتصف بالحسن والجمال حقيقة لا مجازا باتفاق الاطراف والفئات ، بــل الجمال هو الفن بالــذات ، وعليه يكون انكار الجمال انكارا للفن من الاساس .

٣ ــ وضع الناس في القديم والحديــث الوف الأسفار والمؤلفات في الفن والاسماء اللامعة في ميدانه ، ولو لم يكن للجمال من واقع لاختفت الفوارق بين جميل وقبيح ، ولم يكن للفن من تاريخ ، بل ولا للانسان والانسانية جمعاء ! واي عاقل تستوي في ادراكه الفصاحة والابهام ، والعبقرية والبلاهة ؟.

٤ ــ كانت المراة ولا تزال مصدرا مــن اغنى مصادر الوحي للشعراء والادباء ولأهل الفن من كل نوع . واخيرا اصبح للجمال ملكة تشهد بأن وجود الجمال

ابين واوضح من وجود القمر حيث يتجسد في المرآة اولا ، ثم في القمر ، ثم في اي شيء .

طاغــور والجمــال

كان طاغور شاعرا وكاتبا ورساما وملحنا ، وقد اعترف العالم كله بتفوقه وعظمتـــه ، ومذهبه في الفلسفة يعرفه المثقفون ، ويقوم على اساس ان « الموجود الأسمى » قد حل في الانسان ، ومن اجل هذا يجب تقديس الانسان الفرد من اي نوع كان .

وتحدث طاغور عن الفن والجمال ، ومن جملة ما قال : الفقيه يفسر النصوص ، ويستخرج منها الاوامر والنواهي ، والفيلسوف يضع مذهبا عقليا يهتدي به الى الحقائق ، والعالم يكتشف قوانين الطبيعة ، أما الفنان فانه يكتشف عن الجمال الكامن في الكون ، ويملك القدرة على التعبير عنها .

وقوله : « الجمال الكامن في الكون » واضح الدلالة على ان الجمال عنصر موضوعي لا شعوري ، وأوضح من ذلك وأبين قوله : الانسان لا يتذوق الجمال ويدركه على حقيقته الا ان يتجرد عن انفعالـــه الشخصي ومصلحته الذاتية ، وينصرف بكله الى الواقع ، لان للجمال مادة واصولا وقواعد ، أمـــا هدف الفـــن والجمـــال فهو تحقيق سعادة الانسان وكماله (١) يشير بهذه الجملة الاخيرة الى فلسفته ومذهبه القائل : كل شيء لخير الانسان .

---

(١) ما ذكرناه من أقوال طاغور نقلناه من مقال مطول بعنوان طاغـــور الفنان ، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتية في العدد الاول من المجلد الثامن .

الحيوان وحاسة الجمال

ونضيف الى الادلة السابقة على واقعية الجمال : ان المهتمين بدراسة الحيوان لاحظوا أن بعض الحيوانات تؤذيها النغمة الناشزة من الحان الموسيقى ، وأن النمر اذا هـــاج يهدأ ويرتاح لصوت الكمان ، وان بعض اناث الخيل تطلب الحصان حين تسمع الالحان ، وان اللقلق والغراب وغيرهما من الطيور تسرق الاشياء اللامعة كالحلي والفضة وتخفيها . (انظر كتاب مباهج الفلسفة لـ « ول ديورانت » ترجمة ابراهيم مدكور طبعة ١٩٥٧ ج ا ص ٢٨٦) .

ومنذ سنوات قرأت في الصحف المصرية أن أفعى خرجت من جحرها لتستمع الى أم كلثوم في احدى حفلاتها الغنائية ، ولما انتهى الغناء عادت الى مكانها . وفي الآية ٧٩ من الانبياء : « وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير » .

فباي شيء نفسر هذه الظواهر الغريبة اذا لم تكن تجاوبا مع الجمال ؟ فهل حدث ذلك صدفة وبلا سبب موجـــب ؟ ولماذا لم يحدث الا في هذه الحال ؟. واخيرا كما دلت هذه الاستجابة من الحيوان على واقعية الجمال ، فايضا تدل على أن مبدأ العلية (اي لكل حادث سبب) حق لا ريب فيه .

فلسفة الدين

كلمـــة الديـــن

الدين في اللغة : العادة ، والاصطلاح : الاعتقـــاد بقيم يتدسها المتدين ، ويقابله الزنديق والمنافق حيث يبطن الكفر ، ويظهر الايمان .

وتشمل كلمة الدين بعمومها أديان أهل الارض بكاملها ، وهي على نوعين متضادين من حيث المصدر : أديان الهية سماوية تتلقى الوحي من الله بواسطة رسله ، وأديان وضعية ارضية تقوم على أفكار الافراد وميولهم .

والمعروف أن الاديان السماوية ثلاث : الاسلام والنصرانية واليهودية . وقد يضاف اليها ديانة رابعة ، وهي الصابئة حيث جمع سبحانه بين الديانات الاربع في آية واحدة ، وهي : « ان الذين آمنوا ـــ المسلمون ـــ والذيـــن هادوا والنصارى والصابئين ـــ ٢٢ البقـــرة » . وعن الراغـــب الاصفهاني وغيره ان الصابىء هو الذي يخرج من دين الى آخر ، وان الصابئية كانوا على دين نوح فتركوه الى سـواه ، فأرسل الله سبحانه اليهم ابراهيم الخليل (ع) . ومن هنا جاءت التسمية .

الدين بين العلم والفلسفة

للدين علم وفلسفة ، وتطلق على الاول كلمة علم الدين

وعلم الربوبية او الالوهية او اللاهوت ، والكلمة الاخيرة نختص بالنصارى كما قيل ، ولكن رأيت بعض فلاسفة اليهود يستعملون في كتبهم كلمة « اللاهوت » . والمهم ان المراد من هذه الكلمات هو عين ما اراده المفكرون المسلمون من علم الكلام او التوحيد .

ويبحث هذا العلم في أصول العقيدة كوجود الله سبحانه وصفاته وافعاله ، وما يجوز في حقه او يستحيل ، وفي النبوة والمعجزة والعصمة ، وفي البعث والحساب والجزاء ، كل ذلك على اساس حكم العقل ومنطقه .

اما فلسفة الدين فهي جزء لا يتجزأ من الفلسفة العامة ، ومهمتها أن تكشف عن جوهر الدين ومقاصده وفوائده بعد التسليم به ، وانه ما نزل من السماء الا لاقامة العدل ، والحث على عمارة الارض ، والتعاون على حياة وادعة آمنة .

وبكلمة ثانية أن الفرق بين فلسفة الدين وعلمه هو ان هذا العلم يذكر البراهين العقلية (١) على أن الدين حق لا ريب فيه ، اما فلسفة الدين فتكشف عن العلة والحكمة من الحقيقة التي يقرها الدين . ولا يخفى أن هذا تفليسف لا فلسفة . ولا مشاحة في الاصطلاح والتسمية .

ونعرض في هذا الفصل او هذا الموجز ، الحكمة من بعض المبادىء الاسلامية ، عسى أن ينتفع القارىء بذلك ، ويكون

---

(١) يصدق هذا على دين الاسلام ، اما رجال الكنيسة فقد صرح الكثير منهم أن الدين فوق العقل والعلم ، والشاهد مذابح العلماء بيد المنتمين الى المسيحية في القرن السادس والسابع عشر .

عونا له على أن يفهم الاسلام ويعرفه كما يجب أن يفهم ويعرف .

التوحيد

التوحيد هو اصل الاصول والدستور لدين الاسلام ، ومعناه في جوهره : لا راسمالية ، ولا شيوعية ، ولا وجودية ، ولا برجماتية ، ولا أحد ممتاز له حقوق مقدسة ، وآخر محروم، فالكل على مستوى واحد في الحقوق والواجبات ، ولا فضل الا بالتقوى بمعناها الشامل لصلاح الباطن والظاهر .

ولا بد من الاشارة الى أن عقيدة التوحيد ليست بشيء عند الله الا اذا دفعت الى العمل الصالح النافع . جاء في كتاب أصول الكافي عن الامام جعفر الصادق (ع) : «الايمان عمل كله ، ولا ايمان بلا عمل » ومن هنا قرن سبحانه الايمان بالعمل الصالح في العديد من الآيات ، ومنها : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب — الرعد .. الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة — ٦٤ يونس » .

النبوة

الاصل الثاني لعقيدة الاسلام النبوة ، وهي السبيل الوحيد للمعرفة اليقينية بدين الله وشريعته .. ومن أخص خصائص النبي الكمال جسما وعقلا وخلقا ، وأوضح برهان على ثبوت النبوة لمدعيها أن تظهر على يده حادثة لا يمكن تعليلها وردها الى أية قاعدة أو اي سبب من أسباب الطبيعة وقواعدها . بهذا تقوم الحجة الكافية على من جحد وعاند .

وبهذه المناسبة نشير الى أن علماء الطبيعة فرقوا بين القانون العقلي والقانون الطبيعي ، وقالوا : القانون العقلي يطرد حتما ، ولا يمكن خرقه ونقضه بحال في عالم الجواز والامكان وبالأولى في عالم التطبيق والوقوع ، مثل نصف الاربعة اثنان حيث يستحيل عقلا أن يكون النصف هنا دون ذلك او يزيد .

أما القانون الطبيعي فلا ضرورة منطقية تحتم اطراده على كل حال ، بل يمكن خرقه ونقضه بحكم العقل ، غاية ما في الامر ان هذا النقض لم يحدث . ومن أمثلته : الحديد يتمدد بالحرارة ، والصبي لا يتكلم ساعة ولادته ، والعصا لا تتحول الى حية تسعى ، والميت لا يعود الى الحياة مرة اخرى ، والماء لا يقف كالجبال من غير سد وحاجز .

كل ذلك وما شابه صحيح بحكم العادة وفي عالم الوقوع والتطبيق ، ولكن وقوعه غير مستحيل عقلا ، واطراده ليس بواجب تكوينا . وكثيرا ما يحدث الخلط والاشتباه بين القانون العقلي والقانون الطبيعي ، فيعدون المعجزات في النواميس الطبيعية والخوارق فيها من نوع القانون العقلي ، وما هي منه في شيء ، بل هي من صلب القانون الطبيعي الذي يجوز نقضه ، ولا يجب اطراده بحكم العقل وبديهة المنطق . وعلى اساس هذا الخلط والخطأ من انكر المعجزات على أيدي الانبياء ، قاصر او مكابر .

العصمة

وتجب العصمة لكل نبي فيما يبلغ عن الله سبحانه بالأدلة التالية :

١ — أن الوحي معصوم .. والخطأ في تبليغه يخرجه عن العصمة الى التحريف تماما كمن يتلو آية من الذكر الحكيم على غير وجهها .

٢ — ان الاحكام الوضعية تصدر عن بَشر امثالنا ، وعليه يمكن العلم بها مباشرة او عن طريق التواتر او شهادة الثقات ، اما الاحكام الالهية فتثبت عند النبي بالحس واليقين ، ولا تثبت عندنا بأية وسيلة على الاطلاق الا بمبدأ العصمة بحيث يكون النبي لسان الله وبيانه .

٣ — وهذا الدليل خاص بنبوة محمد وعصمته (ص) وخلاصته أن شريعة القرآن ، تصلح لكل زمان ومكان لانها تهدف الى الخير الاقصى لكل فرد ومن كل جهة ، وقد شهد بفضلها وسبقها مفكرون منصفون في الشرق والغرب ، ونقلت العديد من اقوالهم في كتاب النبوة والعقل ، وكتاب فلسفة التوحيد والولاية ، والتفسير الكاشف وغير ذلك مما كتبت والفت .

وآخر ما قرأت في هذا الموضوع مقال مطول بعنوان علوم العرب القديمة ، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتية في العدد الاول من المجلد الثامن ، وفيه يقول الكاتب ما معناه :

صدر كتاب اسمه تراث الاسلام ، عن جامعة أكسفورد باشراف توماس أرنولد والفرد غليوم ، ومن جملة ما جاء فيه : ان الشريعة الاسلامية تحتوي على مبدأ المعاونة

المشتركة التي تعني المساواة بين الجميع ، وعلى اصل الاباحة الذي خفف من القيود القانونية التي عرفتها اليهودية والمسيحية .. كما شجعت هذه الشريعة النشاطات العلمية في مجال الزراعة والصناعة والتجارة ، ومنعت الاستغلال ، وحثت الانسان أن يعيش من عمله ، وحرمت التبذير وتبديد الثروة ، واعتبرت المصلحة العامة هي الاساس ، ومن هنا كانت عامة ومرنة .. وفرقت بين حق الله وحق الناس ، وهو ما يعرف في الغرب بالقانون العام والقانون الخاص .. وهكذا ارتفع مستوى الاخلاق في القانون الاسلامي ، وكان له ابلغ الاثر على التشريعات الاوروبية الحديثة من غير شك .

وهذا اعتراف صريح من علماء الغرب انفسهم بأن القوانين الغربية مدينة للشريعة الاسلامية .. فمن أين جاءت عظمة هذا التشريع لمحمد ؟ من فهمه ووعيه أم من انطباعاته الاجتماعية والثقافية ؟ كلا ، كل ذلك مستحيل ان يحدث لو لم يكن محمد نبيا يتلقى الوحي من رب العالمين .

البعث

من يكفر بالبعث والجزاء بعد الموت فهو سفيه ومراهن مخاطر ، لانه لا يخلو من أحد فرضين وليس هناك فرض ثالث : اما ان لا يربح شيئا على الاطلاق ، وذلك ان لم تكن هناك آخرة وحساب ، واما ان يخسر كل شيء ، ويعذب عذابا مهينا ان كان هناك بعث وحساب .

اما من يؤمن باليوم الآخر وجزائه فهو مراهن عاقل وآمن ، ينظر لنفسه ، ويبتعد عن مظان الهلكة وشر العواقب ، لانه لا يخسر شيئا ان لم يكن شيء ، ويربح كل شيء ان يك نشر

وثواب . ويروى أن السيد جمال الدين الافغاني ابحر في سفره الى بعض البلاد ، فهبت ريح عاصف ، فرغب اليه المسافرون أن يكتب ورقة ويلقيها في البحر عسى أن يسكن الموج ويهدأ ، فاستجاب بلا تردد ، ولما سئل عن ذلك قال : ان غرقت السفينة بمن فيها لم أخسر شيئا حيث لا يبقى من يخبر الناس بما فعلت ، وان سلمت ونجت قال المسافرون : نجونا ببركة الافغاني ، وهذه صفقة رابحة . هذا الى انه يدخل في مفهوم اليوم الآخر المثل الانسانية التالية :

١ — ان الانسان يقاس في ذلك اليوم بأعماله لا بأمواله ، وبنيته وسلامة قلبه لا بجاهه ونسبه ، قال سبحانه : « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم — ٨٩ الشعراء .. يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امدا بعيدا — ٣٠ آل عمران » .

٢ — لا يفلت المسيء من العقاب في محكمة الله سبحانه حيث لا يستوي في عدله مصير الصالح ومصير الخبيث ، والبار والفاجر ، قال سبحانه : « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون — ١٦٠ الانعام» .

٣ — من يؤمن بالخلود والمكافاة يتزود بعمل الخير لآخرته ، ويشعر بالمسؤولية في جميع تصرفاته ، ويتوخى مرضاة ربه وضميره ، أما من ينكر ذلك فيرى الدنيا فريسة الشاطر وفرصته الوحيدة ان ينطلق مع الاهواء — في العادة والغالب — بلا رادع من دين أو ضمير ، ولا يعف عن اية جريمة ورذيلة

ما دام آمنا على مصيره .

وبهذا يتبين لنا أن الايمان باليوم الآخر لصالح الفرد والجماعة حيث يوجد في كل نفس رقيب وشرطي منها عليها ، قال ارسطو : ردع النفس للنفس هو علاج للنفس .

وان قال قائل : لقد راينا العديد من المؤمنين بالله واليوم الآخر يرتكبون اكبر الجرائم واقبح المآثم فاين الردع والزجر الذي زعمت — قلنا في جوابه : هؤلاء مزيفون لا مؤمنون ، فليس المسلم السليم من طالت لحيته واسودت مسبحته ، بل من تنزه دينه وعلمه ، ويده وفمه عن الآثام واتيان الحرام .

واعجب العجب أن يدعي العديد منا الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، ويرفعوا شعائر الدين والخير ، وينكروا على الجيل التهتك والتفسخ باسم الحرية ، وعلى الساسة الطغاة هدر الدماء والحقوق باسم الديمقراطية ، ثم ينسوا او يتناسوا ما يفعلونه من الكبائر باسم الاسلام وشريعة القرآن .

الحرية

من الشروط الاساسية والطبيعية لكل تكليف الهيا كان أم وضعيا — العقل والحرية والقدرة ، فبالعقل يميز بين الهدى والضلال ، وبالحرية يختار ، وبالقدرة يفعل ، ومن هنا اوجب الاسلام النظر واعمال العقل ، واعتبر عدم البحث والنظر جريمة يستحق الانسان عليها العذاب يوم يلقى ربه ، قال ، عز من قائل ، حكاية عن أهل النار : « لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا من أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير — ١١ الملك » .

وهذا النص قطعي الدلالة على ان اهمال العقل من اكبر الكبائر ، ونعطف عليه سائر الآيات التي حرمت التقليد ، وقدست العقل والعقلاء والعلم والعلماء ، وقد تتبع أحد الباحثين لفظ العقل والعلم ومشتقاتهما ومترادفاتهما ، فوجد ذلك قد تكرر ٩٦٠ مرة .

ومن المعلوم بالبديهة ان لا عقل او لا جدوى منه بلا حرية ، اذ كيف يتبع الانسان الهدى ويدع الضلال من غير حرية واختيار ؟ ومن اجل هذا أسقط الاسلام التكليف عن المجنون والعاقل المكره ، واعتبرهما بمنزلة سواء من هذه الجهة . قال الرسول الاعظم (ص) : رافع عن امتي ما استكرهوا عليه ، وما لا يعلمون ، وما لا يطيقون ، وما اضطروا اليه .

ومن مبادىء الاسلام وشريعته : الضرورات تبيح المحظورات ، العقود تتبع القصود ، لا يحل مال أمرىء الا عن طيب نفس ، لا ينسب لساكت قول ، الناس مسلطون على اموالهم وانفسهم ، الاصل في الاشياء الاباحة (أي الحرية) بل الحرية هي الاصل والاباحة فرع . وبهذا يتبين لنا :

١ — ان الاسلام لا يفرق بين العقل والحرية ، وانه يرفض الجهل والعنف معا ، ولا يفرض على اي انسان شيئا يرفضه ويأباه ، وانما يحثه على التقوى والاستقامة بالحكمة والموعظة الحسنة .

٢ — ان الحرية حق لكل انسان ، ولا يحدها شيء الا حرية مثلها لانسان آخر أو ما حرمه اللّه بالنص الثابت ، لان الحرية بلا حدود تعني القضاء على الحرية من الاساس .

٣ ـــ ان دين الاسلام هو دين الحرية يصوغ نظامــه وأحكامه على أساسها ، ابتداء من المعتيدة التي بعتنقها الانسان الى جميع اقواله وافعاله ، لان الله سبحانه لا يتعامل مع عباده ـــ في تصرفاتهم ـــ بارادته التكوينية (أي بقاعدة كن فيكون) كلا ، ان الاسلام مجرد وحـــي وبيان ، وتشريع ونظـــام ، وآداب وأحكام : « كلا انه تذكرة لمن شاء ذكره ـــ ٥٥ المدثـــر » .

المنهج العلمي في الاسلام

هذا الفصل جزء من الفصل السابق ومتمم له ، وذكرناه على حدة لأهميته .

العلـم والمعرفـة

كان العلم عند القدامى مرادفا للمعرفة أيا كان نوعهـا وسببها ، ثم بدا لفئة من الجدد أن يقسموا المعرفة الى معرفة علمية ، لا تأتي الا عن طريق الحواس . ومعرفة ادبية ، تأتي عن طريق الفكر والتأمل فقط ، واستخدموا كلمة العلم في المعرفة العلمية دون الادبية ، وشاع هذا التقسيم الثنائي للمعرفة حتى في المعاهد والجامعات حيث يقـال : القسم العلمي والقسم الادبي .

ونحن لا نفرق بين كلمة العلم وكلمة المعرفة لاسباب إهمها ، اولا : ان الخبرة الحسية ليست بأقوى من المعرفة العقلية ، فكم من مرة خدعتنا الحواس ، فتركناها الى حكم العقل ، كالسراب تراه العين ماء ، والجبال تحسبها جامـدة وهي تمر مـر السحاب (١) .

---

(١) جاء في النظرية النسبية لأينشتاين : ان الأشياء المحسوسة بكاملها مجرد حوادث سريعة الحركة والتتابع تحت تأثير عامل خفي .

ثانيا : ان الخبرتين : الحسية والعقلية متكاملتان حيث لا غنى للحس عن العقل ، ولا للعقل عن الحس ، وعليه يكون الفصل بينهما خطأ وبلا سبب موجب .

ثالثا : ان العلماء لم يكتفوا بملاحظة الحوادث ومشاهدة الظواهر الطبيعية ، بل حاولوا اكتشاف العلاقات بين بعضها البعض مع العلم بأن هذه العلاقات لا يمكن ادراكها بالحس ، ولا يحتمل اثباتها بالتجربة ، وانما توصلوا اليها عن محاولة معرفتها بمجرد الفرض ، فاذا صدق انقلب الفرض عندهم الى قانون علمي تتضح به حقيقة الحادثة والظاهرة الكونية ، شأنه في ذلك شأن جميع القوانين الطبيعية ، ومعنى هذا انهم استخدموا لفظ العلم فيما لا يقع تحت الحس ، ونقضوا هنا ما كانوا قد أبرموه من قبل ، وهم لا يشعرون .

ضرورة الفرض

ولعل من المفيد ان نتحدث قليلا حول الفرض بعد أن اشرنا اليه في الاسطر المتقدمة . وما من شك أن الفرض طريق للعلم والمعرفة ، وضروري لكل عالم وفيلسوف ، ومعناه التفسير المؤقت للظواهر التي هي موضوع الدراسة ، وذلك ان يرى الباحث ظاهرة ، ويخفى عليه سببها ، فيضع لها تفسيرا مؤقتا من عنده ، ثم ينظر ويختبر هذا الفرض والتفسير ، فان انسجم والتأم مع الظاهرة تماما كحال العلة مع المعلول فهو المطلوب والا افترض تفسيرا آخر انسب واقرب .. وهكذا حتى يطمئن الباحث ويقتنع بصحة الفرض معززا بالحوادث المشاهدة من الاشباه والنظائر ، وبعدم اصطدامه مع المبادىء المسلم بها ، وعندئذ ينقلب الفرض الى قانون أو نظرية .

وبقصد التوضيح نعرض هذا المثال : ظهر مرض في بعض البلدان ، وعمّ جميع سكانه ، فعلى الطبيب ان يفترض لذلك العديد من الاسباب كتناول الجميع لطعام واحد وفاسد ، أو مرور غريب يحمل مرضا معديا ، أو لاشتراك المواطنين في شرب واحد ، فاذا ثبت الاخير اخذ به ، والغى الاول والثاني.

ويعترف الماديون بالفرضيات وأنه لا بـد منهـا لتفسير الظواهر الطبيعية ، ولا فرق عندهم بين التجربة وصحة الفرض من حيث انهما من مصادر المعرفة . فان هناك اشياء موجودة بالفعل ، ولا طريق الى معرفتها الا بالفرض السليم ، ولكن الماديين أنكروا صحة الفرض اذا تجاوز الطبيعة الى ما بعدها ، لا لشيء الا لانها تؤدي حتما الى وجوب الاعتراف بالله وعظمته !.

الجواب :

١ — ان موضوع الفرض هو الشيء الموجود بالفعل ، ولكن لا يمكن ادراكه بالحس ، ومتى تحقق هذا الوصف حكم العقل باللجوء الى الفرض سواء أكان الموضوع طبيعيا ام غير طبيعي ، ومن المعلوم ان حكم العقل لا يقبل التقييد بحال ، واي عاقل يقول : المربع غير المدور الا اذا كان من نحاس ؟.

٢ — نسأل الماديين : لقد رأيتم بالحس قوانين راسخة محكمة في الكون ، وايضا رأيتم الحيـاة في بعض اشيائها دون بعض ، ولم تروا بالحس اي سبب يوجب ذلك ، كما تاهت عقولكم عـن ادراكه ، فالتجأتم الى وضع الفروض . وهـذا هو المألوف والمعروف بين العلماء والعقلاء ، فما في ذلك ريب ،

ولكن ارتضيتم فرضا للتفسير يأباه العلم والعقل ، وهو ما أطلقتم عليه اسم التوليد الذاتي او الميكانيكي ، واردتم بذلك ان في الطبيعة قوة غامضة تولدت منها قسرا وآليا هذه القوانين الراسخة وتلك الحياة وزينتها وروعتها .

كلا ، ان هذا الفرض لا يفسر ويعبر الا عن الجهل والوهم ، لانه يتنافى مع القوانين العلمية والمعلومات المسلم بصحتها.. ان الطبيعة لا وعي فيها ولا شعور ، فمن اين جاءها هذا التدبير والتقدير والتنسيق والترتيب ؟ فهل نظمت هي نفسها بنفسها ، ووضعت كل شيء في موضعه ، واستمرت على هذا النظام والاحكام ملايين السنين ؟.. ابدا ما من شيء متقن ومحكم من أصغرْ صغير الى اكبر كبير الا وراءه علم وتدبير ، وحكمة وتقدير .

واخيرا فكل ما قيل او يمكن ان يقال في هذا الباب فقد لخصه وجمعه فولتر في هذه اليقظة الفطرية : « ان وجود الله فرض ضروري ، لان الفكرة المضادة حماقات » .

مـوارد الفرض

لقد بدا واضحا مما تقدم أن الحواس تدرك الظواهر من الموجودات ، وأن ما عداها يدرك بالعقل مباشرة ، أو بواسطة الفرض . وقال أحد اقطاب الفلسفة : ان الحقائق التي يجب الاعتقاد بصحتها عن طريق الفرض ــ ستة انواع ، ونلخصها فيما يلي بشيء من التصرف في الشكل لا في المحتوى ، بقصد التوضيح :

١ ــ الاعتقاد بوجود اشياء كثيرة بعيدة عن حيزنا وتصورنا ، وهي على نوعين : بعضها يمكن ادراكه بالحواس ، وبعضها فوق ذلك ، ولكنه يعرف بآثاره.

٢ ــ الاعتقاد بوجود العقل في الكثير من البشر دون أن نرى لعقولهم اي اثر ملموس .

٣ ــ الاعتقاد بأن العقل ليس من نوع المادة ، وانه متفوق الى اقصى الحدود .

٤ ــ الاعتقاد بأن في الكون قوة محدودة وثابتة لا تزيد ولا تنقص ، لانها لو لم تكن كذلك لما وجدت الجاذبية ، واصبح الكون فوضى ، وانحل الهيكل النظامي فيه ، وعندئذ يستحيل ضبط وقياس اي شيء ، وبهذا تمتنع كل المعارف والعلوم الطبيعية ، ويعتقد المؤمنون بالله ان هذه القوة هي عناية الهية ، اما الماديون فيقولون : هي غامضة ومبهمة ، او انها تولدت من الطبيعة بالذات ، كما سبقت الاشارة .

٥ ــ الاعتقاد بأن في المادة قوتي جذب ودفع ، وان تعليل هذه الحقيقة وتفسيرها فوق الادراك لمكان اجتماع النقيضين في شيء واحد في آن واحد .

٦ ــ الاعتقاد بمبدا السببية حيث نساق تلقائيا الى اليقين بأن كل حادث لا بد له من سبب دون أن نرى حقيقة السببية والعلاقة بين الاثر والمؤثر ، وكل ما رايناه ان حادثة لاحقة وقعت اثر حادثة سابقة ، أو ان الحادثتين وقعتا معا وبلا فاصل (١) .

(١) من كتاب ملتقى السبيل لاسماعيل مظهر ص ٦٣ وما بعدها .

المنهـــج العلمي

المنهج في اللغـــة : الطريـــق الواضـح ، وفي الاصطلاح : الطريقة التي يتبعها الباحث في اي موضوع للكشف عن حقيقة مجهولة ، أو لدعم حقيقة معلومة من بـــاب ليطمئن قلبي ، والعلمي هو المنسوب الى العلم ، ومن شـأنه أن لا يقر شيئا الا بعد قيام الحجة الكافية الوافية .

ويختلف منهج الاسلام في اثبات الحق تبعا لطبيعة الموضوع المامور به أو المنهى عنه تماما كالقاضي ينظر أولا الى نوع الدعوى وصياغتها ، وفي ضوء ذلك يقرر وجهة السير فيها ، ونوع الوسيلة التي يعتمدها في النفي أو الاثبات . وفيما يلي البيـــان .

الايمـــان باللـــه

١ ــ الايمان بالله ، وينحصر الطريق اليـــه بالاستقراء والاستنتاج ، بالحس والعقـــل ، ويتم الاستقـــراء بالنظر الى الكون وعظمته بما فيه ومن فيه كمقدمة صادقة لاستنتاج نتيجة صادقة في نظر العقل . وهذا هو بالذات المنهـــج العلمي الذي يتبعه الاسلام في الدعوة الى الايمان بالله .

وقد أرشدنا سبحانه الى هـــذا المنهج في العديد من الآيات ، وعلى سبيل المثال نذكر هذه الآية : « اولم ينظروا الى ملكوت السموات والارض ومـــا خلق الله من شيء ــ ١٨٥ الأعراف » وكلمة مـــن شيء هنا تشير الى النملة الصغيرة فما دونها كعينها

ورجلها ، وانها هي وكل ما فيها معجزة تدل على باريها فضلا عن الكون ونظامه وهندسته واحكامه .

والمعنى تأملوا وتدبروا هذا الذي ترونه من شيء ، من أين اتى ؟ وكيف حدث ؟ ومن الذي صمم وصنع ؟. ولا تذهبوا بعيدا في البحث عن الجواب ، استفتوا انفسكم بالذات ، واسألوا عقولكم عما رات اعينكم « ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ـ ٣٧ ق » وان لم يكن لكم قلوب صافية ولا عقول واعية فاسألوا عالما كبيرا او طفلا صغيرا .

الذين عبدوا الاحجار

وما أكثر ما كتبت وقرأت في هذا الباب ، ولديّ من مصادره عشرات المؤلفات ، ومنها القصار والطوال ، ومنها ما بين ذلك وغير ذلك من قصاصات الجرائد ، وقد جاء في واحدة منها ما نصه بالحرف :

« الذين عبدوا الاحجار من الوف السنين لم يكونوا مخطئين ، فان عقولهم ــ القاصرة ــ لا تقوى على اكثر من ذلك . ان عقولهم تحاول أن تعرف ، وهذا أقصى ما وصلت اليه من المعرفة . . لقد نظروا الى السماء وقالوا : انها جميلة وجليلة، فهل من خالق غير الله ؟» . فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ــ « لقمان » .

الايمان بالنبوة

٢ ــ الايمان بنبوة محمد (ص) يأتي عن طريق

الاستقراء بالمشاهدة والاستنتاج بمنطق العقل كما جاء في هذه الآية : « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افــلا تعقلون ـــ ١٦ يونس » .

والمعنى قل يا محمد للذين جحدوا برسالتك من اهل مكة : لبثت بينكم أربعين عاما من قبل أن يوحى الي ، ويلوتموني طفلا وشابا وكهلا ، وساعـــة عسري ويسري ، ورضاي وغضبي ، وما رايتم مني الا الخــير والاستقامـــة ، والصدق والامانة حتى اشتهرت عندكم بالصادق الامين ، فما عدا مما بدا ؟ ولماذا لا تربطون الحاضر بالماضي ؟.. حقا ان هذا التناقض الظاهر منكم لدليـل قاطع على أنكم أنتم الكاذبون والمفترون .

وهذا المنهج الذي انطوت عليه الآية الكريمة هو منهج علمي بالمعنى الحديث ، لانه يقوم على الحس والتجربـــة .

الايمان باليوم الاخـــر

٣ ـــ الايمان باليوم الاخر ، ومن يدعي الحياة والبعث بعد الموت في المستقبل البعيد أو القريب ـــ فعليه أولا وقبل كل شيء ان يثبت ان ذلك ممكن الوقوع حيث لا نقش بلا عرش .. وزعم بعض أهل الجهل والجاهلية أن البعث ممتنع ذاتا ومستحيل عقلا ، فقد روى الرواة ان احد المشركين جاء الى النبي (ص) بعظمة بالية ، وفتها في يده ، ونثرها في الهواء ، ثم

سأل النبي ساخرا : من يحيي العظام وهي رميم ؟، فنزلت الآية ٧٩ من يس : « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة .. اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم » .

يقول ، عظمت كلمته : ان الكون موجود بالعيان والوجدان ، ووجود الشيء يدل على امكان وقوعه بدلالة أقوى من أية دلالة ، لان الشيء لو لم يمكن لم يقع ، وعليه نسأل من يرى البعث مستحيلا : لقد خُلقتَ ولم تك من قبلُ شيئا ، فالذي أوجدك من العدم وأحياك ثم أماتك وابلاك ، هو الذي يعيدك تارة أخرى .. والتفرقة في الحكم بين الانشاء والاعادة مع اتحاد السبب الموجب — تهافت واضطراب . وفي فقرة النبوة من الفصل السابق « فلسفة الدين » ذكرنا الفرق بين القانون العقلي والقانون الطبيعي ، فارجع اليه عسى أن تجد ما يلقي بعض الاضواء على مسألة البعث والنشر .

والخلاصة ان منهج الاسلام في اثبات عقيدته واصولها ، هو علمي محض ، يرتكز على رؤية الحس وحكم العقل : العين ترى وعلى اساسها يستنبط العقل ويحكم ، فأين هو الغيب ؟ واي عاقل يستدل بالغيب على الغيب ؟

ان كلمة « غيب » بحروفها وتكوينها اللفظي تطلب الدليل على صدق الغائب عن التصور ، ولن يكون هذا الدليل الا العقل وحده أو بمعونة الحس . .

ابدا يستحيل ان يثبت الوحي من الله سبحانه بمعزل عن العقل ، ولذا قال الرسول الاعظم (ص) : « أصل ديني العقل » وعليه فمن نسب الى الاسلام ما يرفضه العقل والعلم فهو من جهل الجاهلين أو وضع الوضّاعين ، وليس هناك فرض ثالث .

ومعنى هذا ان كل ما يقره العقل والعلم فهو من الاسلام في الصميم ، وكل ما يرفضه العلم والعقل فهو مفسدة وزندقة . ومن هنا قال فقهاء الشيعة الامامية : « كل ما حكم به العقل يحكم به الشرع ». وفي رسائل الانصاري : العقل بيان من الداخل ، والشرع بيان من الخارج .. واذا تعارض ظاهر النقل مع العقل وجب تأويل النقل بما يتفق مع حكم العقل . طبعا تجري عملية التأويل مع مراعاة الاصول اللغوية .

واخذ الشيعة هذا الاصل عن آل الرسول (ص) الذين هم أعرف الناس بما نزل على قلب جدهم .

واخيرا ، فمن قال : « اصل ديني العقل » لا يطلب منه الدليل على صدق هذه الفكرة من حيث هي ، لان صدقها في صلب تكوينها ، وانما يطلب منه الشاهد على انه يدين بهذا المثل الأعلى الذي يسعى الى بلوغه كل الناس . وقد أوردنا بعض الشواهد على التطبيق من كتاب الله الذي هو المصدر الاساس لدين الاسلام .

نافذة على النظرية النسبية

آينشتين

البرت آينشتين يهودي الماني ، ولد سنة ١٨٧٩ وكان في صغره بطيء الفهم ، وما تكلم في السن التي اعتاد الاطفال ان يتكلموا فيها ، وفجأة أصبح نابغة بالنسبة الى أمثاله ونظائره .. فقد أعطاه والده « بوصلة » ليلهو بها ، وأخذته الدهشة من ابرتها التي ترجع دوما الى اتجاه ثابت ومحدد ، وقال في نفسه : لا بد وأن يكون في الطبيعة قوانين قاهرة تتحكم في اشيائها ، وكان قد بلغ آنذاك الخامسة من عمره .

ثم مضى في التفكير والتساؤل : لماذا لا يقع القمر علينا ؟ وما هو السبب الموجب لوجود مادة حية واخرى لا حياة فيها ؟ وفي سن الثانية عشرة عرف جيدا الفرق بين العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية ، ولم يبلغ السادسة والعشرين حتى اشتهر ولمع اسمه في الشرق والغرب .. وهكذا انتقل من معرفة الى معرفة حتى انتهى الى النظرية النسبية التي هزت الافكار هزا عنيفا ، ونسخت العديد من المبادىء والمذاهب ، واثرت تأثيرا عميقا في حياة الانسان المادية والاجتماعية والثقافية .. وقد كتب العلماء والفلاسفة عن آينشتين ، وهو حي ، ٤٥٠٠ كتاب . وفي المجلد الاول من دائرة المعارف اللبنانية ص ٤٨٤ : « يقول العالم الفرنسي لويس دوبروي : سيظل آينشتين في نظر التاريخ مبدع نظرية علمية من أعمق النظريات ، وباعث حركة فكرية وفلسفية بعيدة الآفاق . ويجب أن لا يغرب عن

بال احد في الاجيال أن الفيزياء النووية ونظرية الطاقة الذرية مبنيتان على مبدأ آينشتين في تكافؤ المادة والطاقة » .

آينشتين والايمان بالله

لقد أضافت العلوم الجديدة ادلة جديدة على وجود الله سبحانه ، وشهدت شهادة عيان وايقان على صدق القول المأثور والمشهور : « وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد » . ويكاد يقرب منه قول من قال : « القليل من العلم يؤدي الى الزندقة - بل والشعوذة - والكثير منه يؤدي الى الايمان » . وصدق الله العلي العظيم : « انما يخشى الله من عباده العلماء - ٢٨ فاطر » .

واذن فلا غرابة أن يؤمن آينشتين بالله ، ويقول مدفوعا بوحي من العلم : « هذا التناسق بين قوانين الطبيعة ، وما يخفي وراءه من عقل جبار لو اجتمعت كل أفكار البشر الى جانبه لما كونت غير شعاع ضئيل اقرب الى القول فيه : انه لا شيء » .

وعلق توفيق الحكيم على هذه العبارة في كتابه تحت شمس الفكر ص ٣٧ وما بعدها - بقوله : « ان احساس آينشتين نحو الله والكون هو عين احساس محمد (ص) يوم كان يتحنث في غار حراء .. ولم يظهر نبي حق ولا عالم حق شعر بغير ذلك .. ان الدين الحق لا يتعارض مع العلم الحق ، لان المصدر واحد والغاية واحدة» .

ولآينشتين عبارة ثانية أوضح من هذه ، كتبها لبرتراندرسل، يحذره من الخوف المشؤوم من الغيب الذي أصبح مرض

التفلسف التجريبي المعاصر .. ويؤكـد باصرار أن وراء البحوث العلمية والعقلية قوة عاقلة قائمة بذاتها ، لا تدرك بالحس والتجربة مباشرة ، بل بالفكر البحت (١) . وأيضا يؤمن آينشتين ـــ خلافا للدهريين ـــ بأن العالم متناه استنادا الى اعتبارات رياضية والى النظرية النسبية . كما جاء في كتاب النظرية النسبية لآينشتين (انظر كتاب النظرية المادية في المعرفة لجارودي ترجمة ابراهيم قريط ص ٢٩١ ومـــا بعدهـــا) .

وبعد ، فاني اعتقد انه لو اجتمع اقطاب العلم بالتشريع والاجتماع وبالرياضة والطبيعة والفلسفة والفوا كتابا ضخما في صدق الاسلام وعظمته ـــ لما اتوا بما اتى الحديث الشريف : « اصل ديني العقل » وهذه الآية الكريمة : « انما يخشى الله من عباده العلماء » لأن الدين القائم على العلم يستدل به على غيره ، ولا يستدل بغيره عليه .

آينشتين ضد الدولة اليهودية

جاء في الجزء الاول من دائرة المعارف اللبنانية ص ٤٨٤ : كان آينشتين يكره الظلم ، وينشد السلم في العلم ، وقد هاله أن يتوصل النازيون الى القنبلة الذرية ، وكتب من جملة ما كتب : أفضل أن أرى اتفاقا معقولا بين العرب واليهود على أساس التعايش السلمي من أن أرى نشأة دولة يهودية .

---

(١) من مقال بعنوان ماخ وآينشتين والبحث عن الحقيقة ، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتية في العدد الثاني من المجلد الثاني .

النسبية والغموض

ليس من اليسير على ازهري او نجفي مثلي ان يكتب عن النظرية النسبية مهما قرأ عنها وطالع ، وذلك انهـا وثيقة الصلة بميادين الرياضة والطبيعة والفلسفة ، وانها أتت بدنيا جديدة لا عهد للعلم والعلماء بمثلها ، ومن هنا شغلت عقول الاقطاب حينا من الدهر ، وهاجمها العديد منهم حتى اطلق عليها بعضهم كلمة المسخ .

وقال آينشتين لهؤلاء : انكـم معذورون ، فان النسبية صعبة ومعقدة ، والايام هي الكفيلة بتفسيرها وتوضيحها ، لا أنا ولا أنتم . وصدقت هذه النبوءة حيث دلت التجارب انها حق وصدق في ميدان الكون وأشيائه دون استثناء .

وارجع الى « النجفي » والنظرية النسبية ، وهي التي قرات عنها وطالعت الكثير من الكتب والمقالات ، لان عصرنا هو عصر « النسبية » . ونقص فيمن أفنى عمره في الدرس والتدريس والتنقيب والتأليف — أن يجهل حقيقة علمية تعم وتشمل حياة الانسان في كل ميدان ، ولا يلم منها ولو بطرف ضئيل . وأحسب أني على قدر معلوم من هذه الحقيقة .

وسأدلي بهذا الميسور ، واعرضه في هذه الصفحات وانا اعرف حدودي ، وان هذه المهمة شاقة وعسيرة ، والدافع الاول ان يكون هذا العرض نافذة على النظرية النسبية ، عسى أن تمهد الطريق للقارىء الى الالمام بها ولو بصورة اجمالية ، وتشجعه على المضي في مطالعة هـذا الموضوع المهم ومراجعته .

الطبيعة بين القديم والحديث

كان القدامى يفسرون الطبيعة في غيابها وبمعزل عنها ، ويصفونها بما يتخيلون ويتصورون دون أن يعتمدوا على حس وتجربة ، ومن ذلك — على سبيل المثال — قول اليونانيين : المادة بشتى انواعها تتكون من اربعة عناصر : النار والماء والتراب والهواء . وعلى اساس هذه الفكرة الخاطئة أرسلوا احكاما مطلقة على الطبيعة واشيائها ، لان هذه الاشياء الاربعة — في زعمهم — لا يطرأ عليها زوال أو تغيير ولا نقليم أو تطعيـم .

وفي هذا القول ثلاثة اخطاء اولا : من شرط العنصر ان يكون بسيطا لامركبا ، والماء مركب من عنصرين ، وربما غيره من الثلاثة . الخطـأ الثاني اكتشف العلماء حتى الآن اكثر من مئة عنصر تتألف منها المادة . الخطأ الثالث ان العناصر يطرأ عليها التغيير والتحويل ، وتأتي الاشارة .

وبمرور الزمن اتفقت كلمة العلماء والفلاسفة على ان الطريق الوحيد لمعرفة الطبيعة وكنوزها هو الحس والتجربة ، وليس الحدس والاوهام . وبهذا سيطر الانسان على قوى الطبيعة ، واستخدمها لتحقيق اغراضه ، وتوالت فتوحات العلم في شتى جوانب الحيـاة حتى استحال على الانسان ان يحقق اي شيء بدون علم .

وفوق ذلك أصبح العلم شمشون العصر الحديث بقنبلته التي القاها فوق هورشيما وناجازاكي .. ولولا توازن القوى لكان الاقدر و « الاقذر » بطغيانه وعدوانه وهو الحاكم بأمره ، والمسيطر على كل ما في الطبيعة من اقوات وكل من في شرق

الارض وغربها من بشر ومخلوقـــات . وصدق الله العلي العظيم : « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ــ ٦ العلق ».

المــادة والنسبية

هنالك تضيتان عامتان ومحتومتان بمنطق علم الطبيعة ، وهما من أخص خصائص المادة وخطوطها الكبرى . القضية الاولى : أن المادة في حركة دائبة ومستمرة لا تستقر على حال واحدة أيا كان نوعها . القضية الثانية : ان كل الاحكام التي تطلق على شيء مادي يجب أن تكون نسبية بدون استثناء ، وهذه القضية فرع عن الاولى تماما كالنتيجة بالقياس الى مقدماتها ، ويتضح ذلك في رقم (٢) واليك البيان .

المــادة والــذرة

١ ــ أثبتت البحوث والتجارب أن العالم المادي بشتى انواعه واجزائه مكون من عناصر بسيطة ، لان اجزاء المركب لا بد أن تنتهي الى البساطة كالأوكسيجين والهدروجين ، والا فلا اجزاء على الاطلاق .. والجهود الآن مستمرة لاكتشاف عناصر أخرى .. وكل عنصر من عناصر المادة يمكن تقسيمه وتجزئته الى الجزء الاخير الذي لو امكن تجزئتـــه بطريق او بآخر لانتقل وتحول من عنصره وطبيعته الى طبيعة ثانية . وهذا الجزء هو المسمى بالذرة .

ومعنى هذا ان تكوين المادة يبدأ اول ما يبدأ بالذرة ، وهي اعجب العجب ، فقد شغلت الاذهـــان ، واثارت الجدال ، وملأت القلوب رهبة وخوفا على حياة الانسانية جمعاء ، لان تحطيمها وتحويلها الى طاقة يحول مدينة كبيرة الى هبــاء ويباب .. وللذرة علم خاص ، وعلماء مبدعون وملهمون ،

ولكن اكثرهم لا يصغون الى صوت الضمير !. قـال كاتب معاصر : « سلم آينشتين مفاتيح جهنم للعلماء ، وللساسة المجانين ، وللمجانين من هواة الحرب » .

علمـاء الـذرة

وقال علماء الذرة : انها مكونة من جزءين : أحدهما موجب وهو البروتون ، وآخر سالب وهو الالكترون ، يدور حول قطبه كما يدور الكوكب حول الشمس ، وانه يقطع في دورانه مسافة تبلغ ٣٠٠ الف كيلومتر في الثانية باعتبار فلكه .

وفي كتاب الالكترون واثره في حياتنا تأليف جين بنـدك ترجمة احمد ابو العباس ص ٩ ما نصه بالحرف : « بلغ الالكترون من الصغر بحيث لم يره انسان قط حتى باستعمال اعظم المكبرات قوة ، ونستطيع ان نتصور أن البلايين منه قد لا تصل الى وزن اخف ريشة . وكل شيء في الكون مهما بدا مختلفا عن غيره من الاشياء يستحيل أن يخلو مـن الكترون » .

واذا كانت كل مادة لا تخلو من الالكترون الدائب السريع في مسيره ، فمعنى هـذا انه لا شيء مـن الطبيعة بساكن جامد ، وان بدا كذلك للعيان . قال روجية جارودي في كتاب النظرة المادية في المعرفة ترجمة ابراهيم قريط ص ٦٤ ما نصه بالحرف الواحـد : « لقد اكتمل المفهوم الحديث للطبيعـة بخطوطه الكبرى ، فصار منحلا كل ما كان صلبا ، ومتحركا كل ما كان ثابتا ، وفانيا كل ما كان أزليا ، وثبت أن الطبيعـة تتحرك في سيالة ودائرة أبديتين » .

وهذه العبارة او النظرية الحديثة هي التفسير الصحيح

الصريح لقوله تعالى : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون ــ ٨٨ النمل » .

فهل هذا الذي اكتشفه العلم الحديث وقالته النظريــة النسبية ــ من فطرة محمد (ص) وفهمه ، أو من وحي بيئته وثقافته ، أو من التوراة والانجيل وبحيرى الراهب ؟.. كلا والف كلا . انه من خالق الجبال والطبيعة بمن فيها وما فيها من الكنوز والعناصر التي كلما بلغ العلم منها افقا غابت عنه آفــاق وآفــاق في كون لا حصر لــه ولا حد « فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ــ كالالكترونات ــ انه لقول رسول كريم ــ ٤٠ الحاقة » .

وكل من قرأت له في هذا الموضوع يذكر هذه الجملة : « كل ذرة هي مجموعة شمسية ، أي هي كالشمس تدور حولها كواكب سيارة . وفي مجلة المجلة المصرية السنة التاسعة العدد ٩٩ مقال لمحمد محمود غالي بعنوان الذرة ، جاء فيه أن الكاتب قرأ كتابا صدر في امريكا تاليف جون ني ، ذكر المؤلف أن علي بن ابي طالب اشار الى الذرة بقوله : « اذا فتحت الذرة تجد فيها شمسا » .

وفي ذات يوم تكلم الامام (ع) ما يشبه ذلك . فقال له من حضر وسمع : لقــد أعطيت يا أمير المؤمنين علمَ الغيــب . فقال : ليس هذا بعلم غيب ، وانما هو تعلم من ذي علم .. علّمه الله نبيه فعلمنيه ، ودعا لي بأن يعيه صدري ، وتضم عليه جوانحي .

النسبية العامــة

٢ ــ تنقسم النسبية الى نسبية محدودة وهي التي تختص

بموضوع معين كنسبية الزمـــان التي نشير اليها بعد قليل ، ونسـبية عامة تشمل جميع الحقائق الطبيعية بلا استثناء ، لان المادة في حركة سريعة ودائبة ، ومن المعلوم أن الحركـــة تغيير ، وأن المتغير يتحول من حال الى حال ، والمتحول لا تياس له ، ولا يحكم عليه الا مقيدا ومنسوبا الى شيء آخر .

وفوق ذلك تتحول المادة الى طاقة كابادة هيروشيما التي كانت نتيجة لابادة مقدار صغير من المادة ، حولها العلماء الى طاقة ، وهذه بدورها حولــت المدينة الى انقاض ، وايضا تتحول الطاقة نفسها الى طاقة من نوع آخر ، كما يقول العلماء ، أما تحويل الطاقة الى مادة فهو مـــن المسلمات الاولية ، وعلى سبيل المثال : أشعة الشمس تمتصها الاشجار فتنمو وتصبح كتلة لها ثقلها ووزنها .. وقد توصل العلماء الى تخزين هذه الاشـعة في بطاريات ، تدفع بالعجلات ، وتسد الكثير من الحاجات .

هذي هي المادة في واقعها ، على الضد تماما مما تبدو أمام اعيننا ، ونعرفه عنها .. حتى الظاهر منها للعيان يختلف من شخص لآخر — مثلا — اذا وقعت حصاة من يد راكب في قطار يسير على خط مستقيم — فانه يرى مسير الحصاة أيضا على خط عامودي ومستقيم ، أما الواقف على الارض فيرى مسيرها منحنيا ، ومعنى هذا أن مسرى الحصاة بالنسبة الى المسافر غيره بالنسبة الى الواقف .

وهكذا تختلف صور الاشياء المرئية تبعـــا لحال الرائي والشيء الذي يراه ، واذن فمحال على شخصين أن يتفقا على رؤية ظاهرة واحدة اتفاقا كاملا ومن كل وجه ، بل محال أن تتفق رؤيتان لشيء واحد من شخص واحد مع اختلاف أحواله وظروفه ، بل ذات الكثير من الناس تتقلب تبعـــا

للظروف ، فكم راينا رجالا اتقياء امناء في حال ، تحولوا الى خونة أشقياء في حال ارفع وامنع .. حتى الفولاذ يصير بخارا اذا كان في بيئة ملائمة .

وبكلام اجمع وامنع ان كل اشياء الطبيعة الصلب منها والمائع والنامي والجامد ، ان هي في واقعها المستقل عن معرفتنا الا ذرات أو وحدات أو شرارات ، قل ما شئت ، (١) لا وزن لها ولا طول ولا عرض ولا عمق ، اي تستعصي على الملاحظة والقياس ، وهي تدور في فلكها الواسع باستمرار وبلا قرار .. وما دامت هذه هي حال المادة في واقعها فكيف نحكم عليها بأحكام مطلقة وثابتة الى الابد .

اجل ، هي في ظاهرها صلبة وجامدة ، فاذا أردنا الحكم عليها بموجب هذا الظاهر وجب تقييد الحكم منسوبا الى حواسنا المحدودة ، وان اردنا التعبير عنها بما هي عليه من حركات وجذب ودفع وتفاعل ، قيدنا التعبير بصفاتها الحالية مع ملاحظة الزمان والمكان .. والمهم أن تعكس أقوالنا عن المادة الاعتراف بوجودها الواقعي المستقل بذاته ، وأنها تتغير وتتحول ، وقد يطرا عليها الزوال والافول ، وأنها في حالاتها وصفاتها لا يتعلق وجودها بادراكنا ومعرفتنا .

وعندئـــذ نكون في اقوالنا موضوعيين وملتزمين بالنسبية الطبيعية الاينشتانية .

---

(١) اختلفت كلمات العلماء والفلاسفة في هذه الوحدات ، فمنهم من عبر عنها بحوادث سريعة متتابعة ، وآخر بالتموجات والاشعاعات ، وثالث بالاشباح الشبيهة بالتي يتحدث عنها الروحانيون . والمراد واحد ، وهو ان اي شيء مـادي من الذرة الى المجرة ينطوي على العالم الاكبر . وقديما قيل : كل شيء فيه جزء من كل شيء .

الزمــان ــ المكان

قد يسأل متسائل : هل هناك شيء واقعي مستقل بذاته اسمه زمان ، وآخر كذلك اسمه مكــان ، تتحـرك فيهما الاجسام ، وتحدث الاحداث تماما كاناءين تملأهما ــ مثلا ــ بما أردت من شيء ، وان الزمان لا عين له ولا اثر ، وانما هو مجرد تسمية واصطلاح لحالات تمر كالليل والنهار وفصل الصيف والشتاء . وكذلك كلمة المكان تطلق على جسم يمكن ان يحوي شيئا آخر ؟.

الجواب :

كان من قبل في مفهوم الناس ان كلا من الزمان والمكان نوع من الاشياء الفارغة يُوضع بها اشياء أخر حتى جاءت النظرية النسبية فنفت الزمان من الاساس ، واعتبرته ملتحما بالمكان يؤلفان معا حركة واحدة ونسيجا واحدا كما سنوضح ، وايضا نفت المكان المطلق الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل ، وأثبتت المكان المقيد والمحدد بحال معينة ، لانه في حركة دائمة دائبة ــ مثلا ــ اذا اردت أن تحدد جبلا او بلدا في نقطة معينة تعذر عليك أن تحدده بقول مطلق دون قيد ، لان الارض تدور حول الشمس ، وعليه يكون البلد أو الجبل محاذيا لكوكب معين في هذه اللحظة الخاصة ــ على فرض ثبوته ــ وفي اللحظة الثانية يكون محاذيا لكوكب آخر .. وهكذا الى غير نهاية ، واذا تعذر التحديد المطلق يتعين التحديد النسبي المقيد ، فتقول ــ مثلا ــ كان البلد المسمى بغداد في الدقيقة الاولى من الساعة كذا محاذيا لعطارد . وهذا معنى نسبية المكــان .

ما الزمان فلا وجود له اطلاقا كما أشرنا ، غاية ما في

الامر ان الانسان أراد ان يرتب أعماله ويضبط السابق منها واللاحق ، فلم يجد قياسا لذلك اسهل وافضل من دوران الارض حيث تدور حول نفسها في اليوم دورة كاملة ، فجزأ الانسان هذه الدورة الى ٢٤ جزءا ، واخترع الساعة كرمز الى دورة الارض بالثواني والدقائق والساعات المشار اليها بانتقال العقرب من رقم الى رقم ، ثم أطلق على هذه العملية اسم الزمان ، ومعنى هذا في جوهره ان الزمان هو دورة الارض أو الساعة ، بل عقربها ، ولا شيء وراء ذلك .

وهذا عين ما أراده آينشتين بقوله : (الزمان ـ مكان) .

وبعد ، فقد عكفت على قراءة ما كتب عن الزمان عند آينشتين عشرات الصفحات ، وبذلت في ذلك جهدا مضنيا امدا غير قصير ، وما انتفعت بشيء مما قرات كما استفدت بهذه العبارة الجامعة المانعة على ايجازها : « ما السنون والفصول والايام الا مقاييس لمكان الارض من الشمس والنجوم » .

وحيا الله كل من سهل العسير على عباد الله وعياله ، واراحهم من العناء والبلاء .

البعد الرابع

البعد في اللغة : ضد القرب ، والمراد به هنا ما يقاس طولا وعرضا وعمقا ، وهذه الابعاد من اخص خصائص المكان حيث لا قياس ولا هندسة من غير مكان . وحصر الاولون ابعاد الجسم بطوله وعرضه وارتفاعه . ولكن آينشتين اضاف اليها بعدا رابعا ، وهو الزمان ، لان كل ظاهرة طبيعية لا بد ان تجري في المكان والزمان معا ، ولا سبيل الى فصل

احدهما عن الآخر . كيف وهل من الممكن ان يجري ويحدث شيء بلا حيز وآن ؟

وعليـه فاذا اردت أن تقيس اي جسم فيلزمك ان تذكـر مقدار طوله وعرضـه وعمقه والزمان الذي جرى فيه القياس والتحديد ، لان المادة كل لحظة هي في شأن ، فقد تنتقل من عنصر الى ضده ، وقد تنمو أو تذبل .. الى غير ذلك من الطوارىء ، واذن فلا يمكن الحكم على أي شيء من أشياء المادة حكما مطلقا بلا اي قيد ، بل يجب ان تكون كل أحكامنا نسبية ومقيدة بزمان المحكوم عليه حين الحكم مع ملاحظة مقوماته وخصائصه . وهذا هو بالذات ما تعنيه النظرية النسبية .

ومجمل القول ان النظرية النسبية ترى كل أشياء الطبيعة وقائع وحوادث من الذرات الى المجرات .. ومـن أقوال آينشتين : ان الذرة الصغيرة هي صورة عن عالم الأفلاك الكبير ، ومنسجمة مع قوانين الطبيعة ونواميسها .. ليس العالم سوى مادة متحركة ومتغيرة .

وعليه فكل الاحكام على الطبيعة واشيائها يجب أن تكون نسبية وآنية لا مطلقة ونهائية .

وهناك جوانب كثيرة للنسبية ، تركت الحديث عن بعضها ، لاني غير مؤهل لمعرفته ، وبعضها الآخر يتطلب فهمه وادراكه جهدا مضنيا من امثالي .. وحسبي من النظرية النسبية ما عرضت وأبديت .. ومع هذا اخشى أن يكون بعيدا عن دقة العلم .. ولكنه شيء قد يقرب القارىء الى هـذه النظريـة العالمية الحاسمة .. حتى آينشتين قال بصراحة وبلا تواضع :

ان علمي نقطة من بحر . وهو سبحانه المسؤول ان يزيدنا فهما وعلما .

اهــم المصــادر

١ ـــ تكوين العقل الحديث تأليف جون هارمان ترجمة جورج طعمة ج ٢ .

٢ ـــ النظرية المادية في المعرفـــة تاليف جارودي ترجمة ابراهيم قريط .

٣ ـــ مناهج الفلسفة تأليف ول ديوارنت ترجمة ابراهيم بيومي ج ١ .

٤ ـــ الفلسفة بنظرة علمية تأليف راسل ترجمة زكي نجيب محمود .

٥ ـــ نحو فلسفة علمية تأليف زكي نجيب محمود .

٦ ـــ الالكترون واثره في حياتنا تاليف جين بندك ترجمة احمد أبو العباس .

٧ ـــ المجلد الاول من دائرة المعارف اللبنانية .

حول كونفوشيوس وفلسفته

فئـــات الفلاسفة

من الم" بالفلسفة وتاريخها يلاحظ أن الفلاسفة فئـــات ثـــلاث :

١ ــ فئة تدعم الاوضاع القائمة أيا كان نوعها ، ويقال لهؤلاء رجعيون ، ومنهم افلاطون وأرسطو حيث اكدا معا بأن الشرفاء الاحرار لا يمارسون اي عمـــل بأيديهم ، بل ينصرفون الى التأمل العقلي المحض ، وكانت النتيجة لهذه النظرة تقسيم الناس الى صناع وعمال منحطين ، وسادة وأرباب عمل ممتازين .

ولا أعرف فيلسوفا أكثر رجعية من هيجل ــ على الرغم من نظريته الديالكتيكية التي جعلته الصدر الاعظم لاتجاهات الفلسفة المعاصرة ــ لانه أعتبر الفوارق العرقية والاجتماعية أمرا محتوما لا مفر منه ، وان كل رغبة في ازالتها مآلها الفشل والاخفاق لا محالة لانها تهرب مـــن وضع تاريخي ضروري بزعمه (١) .

٢ ــ تهدف الفئة الثانية الى قلب الفاسد من الاوضاع

(١) خصصت مجلة الفكر المعاصر المصرية العدد ٦٧ للحديث عن فلسفة هيجل ، واشترك فيه ١٦ كاتبا منهم فؤاد مرسي ، وعنوان كلمته الدولة عند هيجل ، ومنها ما ذكرناه عنه .

القائمة ، وتتطلع الى ما هو احسن وافضل . ويقال لهؤلاء تقدميون ، ومنهم الفيلسوف الانكليزي جون لوك الذي قال : الاخلاق توجد القانون ، وليس القانون يوجد الاخلاق .

٣ ـ ترفض الفئة الثالثة فلسفة الفئتين ، وترى أن مهمة الفيلسوف أن يدرك الوضع الحاضر ويفهمه لا ان يقره أو يغيره ، لان غاية الفلسفة نظرية لا علمية تطبيقية تماما كما يقال : الفن للفن والفهم للفهم ، ويطلق على هؤلاء كلمة محايدين ، وقال الفيلسوف الانكليزي رسل : أنا من هؤلاء ، كما جاء في كتاب رسل يتحدث عن مشكلات العصر ص ١٥٧ .

ولا صلة لهذه التقسيم والتنويع بالعصر والزمان ، فقد يجتمع التقدمي والرجعي والمحايد في عهد واحد ، او يسبق التقدمي عصره بمئات السنين ، فقد عاش كونفوشيوس في القرن السادس قبل الميلاد ، ومع ذلك ثار على تقاليد قومه وأوضاع عصره ، وفيما يلي نعرض طرفا من تعاليمه .

الانسان اخو الانسان

قال كونفوشيوس : « كل الناس أخوة ، فلا تمييز عنصري ولا مكانة اجتماعية ، فكل انسان هو الانسان ، ولا واحد منهم حيوان وآخر اله » .

وهذا الحكم طبيعي وبديهي ما دام الكل من معدن ومعمل واحد ، وفي طبيعة وماهية واحدة ، والى هذا اشار سبحانه بقوله : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم

شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ــ ١٣ الحجرات » . وقوله : « من ذكر وانثى » يشير الى ان الناس كلهم اخوة لأم واب ، وكلمة « لتعارفــوا » تومىء الـى ان الاختلاف في البلاد والانساب والالوان ليس جوهريا وفارقا اساسيا ، وانما الهدف منه التآلف والتكاتف على مصلحــة الجميع . ومعنى الآية بجملتها ان كل انسان هو مواطن عالمي شرقيا كان أم غربيا ، وان اية حكومة لا تكون ولن تكون حكومة حقا وصدقا في دين الله والانسانية الا اذا كانت عالمية في مقاصدها واهدافها ، تحب لغيرها ما تحب لنفسها .

ويؤكد هذا المعنى الحديث الشريف : « الناس سواسية كأسنان المشط .. لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لقرشي على حبشي الا بالتقوى .. ايها الناس كلكم من آدم ، وآدم من تراب » . وما دام كل الناس من تراب والى تراب يداسون بالاقدام ، فعلام يعلو ويفخر بعضهم على بعض ؟

ومن هذا الباب قوله تعالى : « من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما احيا الناس جميعا ــ ٣٢ المائدة » . وبالمناسبة يعتقد اليهود أن من قتل يهوديا فقد قتل الناس جميعا ، أما اليهودي فله ان يقتل من يشاء ولا اثم عليه ، لان اليهود هم شعب الله المختار دون العالمين جميعا .

الحكومــة وثقة الشعب

وقال كونفوشيوس : « يستحيل ان يستمر وجود الشعب الا بوجود حكومة يثق بها » . يريد باستمرار الشعب في وجوده قوته وازدهاره ، ويريد بثقة الشعب أن يكون من الامة وللامة .

وهذه الحكمة من جوامع الكلمة ، واغلى ما فيها انها امنية كل واع ومخلص ، وهي الاصل والباعث على لقائنا مع كونفوشيوس في هذا الفصل .. لقد تكلم العلماء والفلاسفة عن الدولة المثالية وأطالوا ، وبعضهم وضع فيها كتبا خاصة ، فلافلاطون جمهوريته ، وللفارابي مدينته الفاضلة ، وللعقاد كتابه القيم « فلاسفة الحكم في العصر الحديث » وللفيلسوف الشاعر اقبال .والشيخ محمد عبده آراء سديدة في الدولة ورئيسها .

والآن (سنة ١٩٧٧) ونار الحرب اللبنانية الاهلية التي اضرمتها الصهيونية وأذنابها ـ لم تهدأ بالكامل ـ يدور جدال عقيم وسقيم حول الدولة الاصلح للبنان : العلمانية ام الدينية ؟.

وعلى ضوء الاوضاع الحاضرة وبوحي من المصلحة العامة ، نقول مع الحكيم القديم : لا حول ولا قوة للشعب الا بحكومة يثق بها .. ومن البديهة بمكان انها لن تنال ثقة الشعب الا ان تكون كفؤاً وأهلا لممارسة السلطة والقيام بأعبائها على اساس الحق والعدل والمساواة بين جميع المواطنين . وبكلمة ان تكون حكومة بالمضمون حقا وحقيقة ، اما الشكل فلا يهم ، لان الحكومة وسيلة لا غاية ، وأداة لاحقاق الحق لا مجرد زعامة ورياسة ، وبهذا نجد التفسير السليم لقول الامام أمير المؤمنين (ع) : « والله لأسلمن ما سلمت امور المسلمين ، ولم يكن فيها جور الا علي خاصة » .

لا فضيلة بلا عدل في التوزيع

وقال كونفوشيوس : « الفضيلة استخدام الموارد الطبيعية

في تحسين معيشة الشعوب » . (١) يشير بالموارد الطبيعية الى الانتاج بشتى أنواعه ، ويريد بتحسين معيشة الشعوب توزيع الانتاج بالعدل ، وتنظيمه تنظيما مخططا تبعا لمصلحة الجميع بحيث لا يكون هناك انسان واحد بلا مأوى وغذاء ولا علاج وكساء .

وقد استقرات وتتبعت اقوال الفلاسفة وعلماء الاخلاق حين الفت كتاب فلسفة الاخلاق في الاسلام ، وما رايت احدا ادخل في تعريف الخير ومفهوم الفضيلة الانتاج والتوزيع مع العلم بأن العوز والفقر يؤديان الى أمهات الرذائل بنص الحديث الشريف : « كاد الفقر يكون كفرا » .

الاحتكار والفقر

ورب متسائل عن السبب الموجب للفقر وجرائمه ؟

الجواب :

قال كونفوشيوس — وكأنه يجيب عن هذا السؤال — ما معناه ان السبب الموجب للفقر ولكثير من المساوىء هو احتكار المحتكرين الطغاة وشغلهم الشاغل بما لهم من امتيازات .. ولولا هؤلاء ومن يقف وراءهم من حكام وسماسرة لما كان هناك مجرمون ، ولترك الناس أبوابهم مفتوحة ليلا ونهارا (١).

قال كونفوشيوس هذا يوم لا شركات مساهمة ، تحتكر ينابيع الذهب الاسود الذي يتدفق أبحرا في شرقي الارض

---

(١) مجلة الدراسات الأدبية التي تصدر عن الجامعة اللبنانية ، مجموعة السنة الرابعة ص ١٩٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩٣ .

وغربها ، وتمتلك مناجم الصلب والمعادن بشتى انواعها ، وتفـرض ارادتهـا على كل شعب مستضعف بمـا تشاء وتهوى .. قال هذا حيـث لا ماركس ولنين ولا انجلـز وستالين . واذن فمن اين استقى كونفوشيوس هذا الوحي المشرق ؟ هل نزل عليه من السماء ؟. كلا ، انه ليس نبيا ولا ادعى النبوة لنفسه ، ثم هل مـن الضروري ان لا تصدق الفكرة والنبوءة الا اذا كانت من السماء ؟ واذن باي شيء نثبت أن السماء تتكلم وتوحي بالحق والصدق ؟ ولو عَقِل عقلَ العاقل لاستوى الانسان والحيوان .

ان هذا الوحي من نتاج العقل الخالص والقلب السليم ، وثمرة يانعة لفطرة الله التي فطر الناس عليها ، جميع الناس، وكل عاقل يتجرد عن التقاليد والاهواء يدرك الكثير من الحقائق تلقائيا بلا تعلم ومعلم ، بل يصبح هو معلما ومصدرا للحكمة البالغة ، يزجيها الى الناس في كلمات اخاذة نفاذة تماما كما فعل كونفوشيوس .

قاعـدة العمل الصالح

وقال له احد تلاميذه : هل من كلمة واحدة تكون قاعدة لعمل الانسان طيلة حياته ؟

قال كونفوشيوس : اجل ، لا تصنع بالآخرين ما لا تريد ان يصنعوا بك .. لا تتصور نفسك كبيرا كيلا يصبح الناس عندك صغارا .. لا فضيلة اسمى من أن تحب جميع الناس على السواء .. ولا هدف لحكومة الحق الا أن تعمل الخير للجميع .. ان الانسان هو اهم ما يجب أن يهتم به الانسان .

وهذي هي بالذات رسالة السماء ، وعليها يجـب أن تقوم وترتكز كـل الاديان والعلوم والشرائـع ، وأي شيء

يبقى للدين والعلم والاخلاق والحضارة لو أهدرنا قيمة الانسان وكرامته ؟.

وبعد ، فان كونفوشيوس لم يتخرج من جامعة او يحضر حلقات الدروس أو يحمل اية شهادة ، وايضا لم يخترع شيئا ، أو يعتل عرشا ، أو ينظم شعرا ، بل كان مواطنا عاديا ، ومع هذا جعلوه الها ، واقاموا له معبدا ، ونصبوا له تمثالا من دون العديد من العلماء والشعراء والملوك والمخترعين .. ولماذا ؟.. لا لشيء الا لانه انسان بالمعنى الصحيح ، يهون عليه الموت ، ولا يهون عليه أن يتنازل عن انسانيته .

وهكذا الناس حتى شياطين الانس يعبدون الانسانية والاستقامة والنزاهة والامانة ولو من وجهة نظرية . ويلعنون اللؤم والنفاق والشعوذة والغش والخيانة . وفي مجلة العربي الكويتية عدد اغسطس آب سنة ١٩٧٣ ان عدد الكونفوشيوسيين في الصين ٤٠٠ مليون .

الاتحاد الدولي للجمعيات الفلسفية

المؤتمر الخامس عشر للفلسفة

ليس العالم مجرد حافظ للاصول والقواعد ، ولا المثقف مجرد سارد للوقائع والحوادث ، ولا الفيلسوف مجرد محلل ومعلل ، فعلى كل واحد من هؤلاء واجبات غير الحفظ والسرد ، ومن أهمها أن يحاول تغيير الواقع الى الافضل ولو بايقاظ الوعي والقضاء على الخرافة ، وان يشارك المستضعفين آلامهم وأحلامهم ، ولا يدع فرصة تمر الا اغتنمها للعمل من أجلهم .. فكم قرأت عن هيئات تألفت ، ومؤتمرات عقدت لهذا الهدف النبيل في غير بلادنا .

ومن ذلك كلمة مطولة نشرتها مجلة الطليعة المصرية في عدد ديسمبر كانون الاول سنة ١٩٧٣ بعنوان « العلم — التكنولوجيا — الانسان » (١) تحدث كاتبها الدكتور مراد وهبة عن الاتحاد الدولي للجمعيات الفلسفية ومؤتمره الخامس عشر المنعقد في « فارنا — بلغاريا » سنة ١٩٧٢ ، وبلغ عدد المشتركين فيه ١٨٧٧ فيلسوفا من شتى بلاد العالم ، وتدارسوا موضوعات كثيرة ومهمة جدا ، لانها من القضايا

---

(١) المراد بالتكنولوجيا تطبيق العلم على العمل . وهذا المعنى استوحيناه من سياق الكلام الذي استعملت فيه هذه الكلمة ، وقد يكون مخالفا لما جاء في بعض المعاجم الفلسفية .

الرئيسية وصميم الحياة الاجتماعية ، وكل موضوع منهـا يتسع لكتاب مستقل .

وعقدت هذا الفصل لأعرض الأهم والاكثر نفعا من تلك القضايا التي طرحها فلاسفة المؤتمر وما قالوه حولها . ثم ادلي بما أرى مؤيدا أو مفندا .

بين العلم والفلسفة

وابتدأ المؤتمر بالبحث حـول قضية الصلة بين العلـم والفلسفة ، فقال بعض الفلاسفة ما معناه ان الفلسفة اذا لم ترجع الى العلم بمعناه الحديث الضيق ، فما هي بشيء ، وكلنا يعلم أن كلمة العلم تطلق على ما يتصل بالانتاج كما أو كيفا ، فان ادت الفلسفة هذه المهمة فمرحبا بها حيث تكون ، وهذي هي الحال ، وإن لم تؤدها فهي مرفوضة ، لانها وهمية بحـت .

فاعترض عليه آخر بما معناه ان هذا الرأي يحصر المعرفة الانسانية بالعلوم الطبيعية ، ويرفض كل ما يدور في عقل الانسان ، ولا يفسح المجال لعلم الاخلاق وعلم النفس ولا للفن والآداب والفلسفة !. وهذا هو أفيون الشعوب بالذات.

ونحن مع هذا الفيلسوف المعترض ، وقد سبق لنا الحديث عن ذلك ، واقمنا الدليـل عليه في فصل « المنهـج العلمي في الاسلام » من هذا الكتاب ، وفي فلسفة الإخلاق وغيره مما كتبنا والفنا .

ونعطف على ما سبق : أن الفلسفة ترفض كل تقليد واعتقاد تعسفي ، وتصغي لكل ناقد ، وتسترشد بكل خبرة ، وتدعم

كل شيء وعلم نافع ، وتحدد منهجه الخاص به ، ومعنى ان الفلسفة متصلة بالحياة اتصالا مباشرا ، بل هي من صميمها تماما كالمعرفة العلمية ، وانكار ذلك تعسف ومكابرة .

بين الاخلاق والعلم

ثم تحدث فلاسفة المؤتمر عن الصلة بين العلم والاخلاق ، واحتدم النقاش ، وتعـددت الاجتهادات ، فبعضهم استبعد وجود العلاقة بين العلم والقيم الروحية ، وقال : ان ميدان العلم هو الكشف عن قوى الطبيعة والتغلب عليها ليستخدمها الانسان في مصلحته وسد حاجاته ، ولا شأن للعلم بالقيم الاخلاقية والاماني البشرية ، اما الاخلاق فميدانهـا الحياة الاجتماعية والقيم الروحية وتحديد الخير والفضيلة والشر والرذيلة ، ولا شأن لها اطلاقا بالكشوف والمخترعات .

ونحن مع الذي ردّ على هذا الفيلسوف وقال ما معناه ان الانسان هو الهدف الاسمى والقيمة العظمى ، وكل شيء ينبغي ان يكون لخيره وخدمته بخاصة العلم ، فانه من صنع الانسان وعمله ، ومعنى هذا أن العلم والاخلاق يلتقيان على صعيد واحد ، وهو خدمة الانسان وتحقيق أمانيه ورغباته . وبكلام آخر ان العلم يدور في فلك المادة ، وتدور الاخلاق في فلك الروح ، والانسان من جسم وروح ، فالعلم لمتطلبات الاول ، والاخلاق لمتطلبات الثاني .

وقال ثالث ما مضمونه ان العلم قد اتى بأسلحة جهنمية تهدد بازالة العالم من الاساس ، وعلى الفلاسفة أن يقوموا بدورهم في هذه السبيل ، ويطالبوا الدول الكبرى بالكف عن ابتكار الاسلحة الاشد فتكا والاكثر تدميرا .. وهذا هو الحد الادنى من الاخلاق الذي يجب ان يتفق عليه جميع الاطراف .

وهذا الفيلسوف الذي نصح الجمعيات الفلسفية أن تقوم بدورها ضد حزب الشيطان ، هو أمريكي ، واسمه « ارشي باهم » ولا أدري لاي حزب ينتمي ، او بأي دين يدين ، ولكني أعلم علم اليقين أنه انسان بكل ما في هذه الكلمة من معنى الطيبة والصفاء ، فقد راى الانسان يسعى لتدمير الانسانية جمعاء ، فاغتنم فرصة وجوده في مؤتمر لا يمت الى السياسة والحرب بصلة ، ودعا دعوة الحق بدافع من ضميره ووجدانه ، وناشد الجمعيات الفلسفية أن تحتج وترفع صوتها ضد الاسلحة التي تتحدى كل حي على وجه الارض .

وكم من مؤتمر عقد باسم الديانة الاسلامية ، والديانة المسيحية . . وفي حزيران من هذه السنة سنة ١٩٧٧ عقد مؤتمر في « قرطبة ــ أسبانيا » ضم رجالا من الديانتين ، وتكلموا من جملة ما تكلموا حول العداوات بين المسلمين والمسيحيين وعن افتراءات بعض المبشرين على نبي الاسلام (ص) . ودعوا الى المحبة .

وهذا جيد جدا ، ولكن بشرط واحد وهو ان لا يكون تمهيدا وتخطيطا مدبرا للاعتراف بدسائس الصهيونية وعدوان اسرائيل . . ومن قبل ، وفي سنة ١٩٦٥ بالضبط برأ بابا روما اليهود من تبعة صلب السيد المسيح (ع) .

وبيت القصيد في حديثنا هذا أن نتساءل : لماذا تجاهلت كل المؤتمرات الدينية حتى المختلطة ــ اسلحة الخراب والابادة بالجملة ؟ وما هو السر للسكوت على هذا المنكر ؟ الم يقل النبي (ص) بوحي من السماء : « الساكت عن الحق شيطان اخرس ؟ » .

واخيرا ، فأي مؤتمر او انسان يتجاهل هذه الاسلحة الجهنمية ومن هي في يده ــ فانه يفقد أهميته وانسانيته فضلا عن دينه وضميره .

وقال الدكتور وهبه في كلمته التي اشرنا اليها في أول هذا الفصل : « وثمة بحث طريف تقدم به هيوارد بارسنز الاميركي عنوانه ازمة تدمير الانسان في الولايات الامركية ، يقرر فيه أن أزمة المجتمع الامركي تكمن في تدمير الانسان ، لان اقتصاده محكوم بفئة قليلة ، وموجهة الى غايات غير انسانية ، ومن شواهد هذه الازمة انتشار الفقر والمجاعة بنسبة ٤٠٪ و ٥٠ مليونا من الاطفال يعانون من اضطرابات عقلية ، و ١٨ مليونا يدمنون شرب الخمر ، و ٨ ملايين يتعاطون المخدرات ، و ٢٠ مليونا من الأميين غير المؤهلين للوظائف ، بالاضافة الى تزايد الجرائم وفساد البوليس ورجال القانون .. وهذه كلها شواهد على انهيار منظم للمجتمع الامركي » .

ولا عجب فالى هذا مآل كل مجتمع لا همّ واهتمام ولا قصد وهدف لحكامه ونظامه ولزعمائه وتجارته وعلمائه وكل من له حول وقوة الا امتصاص ثروات الشعوب ودمائها ، والى هذه الغاية وحدها يوجهون كل ما في الوطن الامركي من طاقات مادية وادبية .

وفوق هذا ان الثروات المغتصبة من شرق الارض وغربها ، لا ينفق منها أي شيء في تأميم العلاج الطبي او مجانية التعليم — مثلا — وانما تذهب توا الى جيوب المحتكرين الطغاة وسماسرتهم ، وتتكدس في بنوكهم ومصارفهم ، أما بناء السفن الفضائية والاقمار الصناعية وانتاج الاسلحة الجهنمية ، فكل ذلك وما اليه فهو من أموال دافعي الضرائب وكدح المواطنين والمستهلكين .

ابعد هذا يجهل جاهل او يسأل سائل : لماذا تقف الولايات

المتحدة بكل ما لديها من قوة الى جانب الصهيونية واسرائيل ، وتهلل وتكبر لكل خائن وعميل ؟ وهل من عاقل يسأل : لماذا يسمع الانسان بأذنيه ، وينظر بعينيه ، ويمشي على رجليه ؟. ان أعجب العجب أن لا تبارك الولايات المتحدة ، وهذا وضعها ونظامها وديدنها وديدنتها ، كل عدوان وطغيان ، بل وتحث عليه ، بل وتشترك فيه بكلها وثقلها (١) . ولا اجد مظهرا لهذه الآية الكريمة : « ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ـ ٧ العلق » أطغى واجلى من الولايات المتحدة ، ومن شك في هذا فليقرأ تاريخها في حرب الشرق الاقصى وفي اليابان وفيتنام.

ومعذرة ايها القارىء ، فاني اكتب هذه الكلمات في صيف سنة ١٩٧٧ واهل بلدي وديني ومذهبي يشردون من جنوب لبنان نساء وأطفالا بمئات الالوف هربا من النار وبعد هلاك الاموال وخراب الديار ، والسبب الاول الصهيونية والولايات المتحدة . وقديما قيل : « وما المسبب لو لم ينجح السبب » .

نحن والرأسمالية والشيوعية

وعلى اية حال ، فنحن ضد الراسمالية الطاغية البشعة ، وضد كل نظام يقوم على تنازع البقاء وبقاء الاقدر الاقذر او فيه شائبة من ظلم واستغلال .. وايضا نرفض الشيوعية لا لانها ملحدة وكفى ، بل لانها توغل في المادية ، وتنكر الروح نكرانا تاما ، وتنظر الى الانسان على انه مجرد آلة يجب أن يعمل ليعيش ، وتجعل الانتاج الاقتصادي هو الاصل للاديان

---

(١) توالت غارات اسرائيل العدوانية على جنوب لبنان ، فشكت الحكومة اللبنانية الى مجلس الامن سنة ١٩٧٢ ، فتقدمت بعض الدول قرارا لا عقوبة فيه اسرائيل ولا ادانة لها ، وانما هو مجرد رجاء وطلب أن توقف غاراتها الانتقامية ، فاستعملت الولايات المتحدة الفيتو ضد هذا القرار . وقالت لاسرائيل بلسان الحال : زيدي من العدوان أضعافا مضاعفة .

والاخلاق ، وتمنح السلطة لفئة خاصة وهم العمال ، وتسلطهم على حياة الناس بشتى جوانبها ، ولا تسمح لأي مواطن ان يقول لها « لا » وان كان محقا .

أقول هذا عن علم وبعد ان قرات في هذا الباب عشرات الكتب والمقالات ، واختار للقارىء من مطالعاتي في هـذا الموضوع هذه الجملة القصيرة للدكتور طه حسين ، جاءت في كتابه الفتنة الكبرى (عثمان) وهذا نصها :

« قد ضمنت الراسمالية للناس شيئا من الحرية ، وقليلا من المساواة أمام القانون ، ولكنها لم تضمن لهم من العدل الاجتماعي شيئا ، والشيوعية قد ضمنت للناس قليلا أو كثيرا من العدل الاجتماعي ، فألفت ما بينهم من فروق ، وأتاحت للعاملين منهم أن يعملوا وينتفعوا بثمرة عملهم ، وأتاحـت للعاجزين منهم أن يعيشوا غير معرضين لذلة او ضعة او هوان ، ولكنها ضحت في سبيل ذلك بحريتهم كلها فلم تدع لهم منها شيئا ، والفاشية قد ضحت بالحرية والعدل جميعا » .

أبدا لا يجد الانسان ولن يجد ضمانا لحقوقه الطبيعية الا الاسلام الذي حدد رسالته بهذه الكلمات الثلاث : « ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ــ ١٥٧ الاعراف » . والطيبات تعم المال الحلال الذي لا يكون على حساب الآخرين قال سبحانه : « وان ليس للانسان الا ما سعى ــ ٣٩ النجم » . والخبائث تشمل المال الحرام ومنه الاحتكار والاستغلال .

اما وضع الاثقال والاغلال فانه اشارة الى حرية الانسان وقداستها قال تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم ــ ٧٠ الاسراء » . والكرامة ترادف الحرية حيث لا كرامة ولا انسانية بلا حرية .

وايضا قال : « بل الانسان على نفسه بصيرة ــ ١٤ القيامة » . والمعنى لا سلطان عليه ولا قائد له الا نفسه وعقله وضميره .

٣ لام الطبيعة البشرية على العموم والشمول بلا تمييز في عنصر ولون وجنس ، ووضع الجميع في مستوى واحد في الحقوق والواجبات ، واعتبر الانسان من حيث هو انسان القيمة العليا ، وجعل كل شيء لخدمته حيث قال عز من قائل : « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ــ ٢٩ البقرة » ولكن الولايات المتحدة جاءت بجديد هو أسمى وأعلى واجدى للانسانية وابقى ، جاءت بقنبلة « النيوتريون » التي تقتل كل الناس الذين تقع عليهم ، ولا تمس بأي سوء واذى المؤسسات والمباني والممتلكات . وهكذا علم الله الانسان ما لم يعلم ليدمر الانسانية في غير الولايات ، ويبقي لها كل املاكها وأموالها !! .

حوافز التقـــدم

مع الفيلسوف زكي نجيب محمود

انصرف الدكتور زكي محمود الى الفلسفـــة تدريســا وترجمة وتأليفا ومقالات ، كما يبدو من آثاره ، وقرأته في اكثرها او الكثير منها ، وكان من قبل يدين بتيار من فلسفة ضالة خاطئة ، وبقي عليها سنوات طوالا ، وانتقدته في بعض ما ألفت ، ثم اهتدى الى الحق ، فاعترف بخطئه صراحة في مقدمة تجديد الفكر العربي وفي مقال بعنوان « عصرنا مــن فلسفته » المنشور في مجلة العربي العدد ٢٢٢ ، ودابه في مقالاته ، بخاصة الاسبوعية منهـــا التي تنشرها الاهرام في كل خميس ، أن يسوق أمثلة من تجربة الحياة كان قد قراهـــا في الكتب أو الصحف العربية أو الاجنبية ، وينتهي من هذه الامثلة الى أوضــاع العرب والمسلمين ، ويوضح امام اعينهم رؤية الاخطاء على ضوء تلك التجارب ، لتكون دليل عمل وانطلاق الى ما هو افضل واكمل .

ومن ذلك مقال بعنوان حوافز التقدم ، نشرته جريدة الاهرام بتاريخ ١٩٧٤/٧/١٩ وانه لمفيد جدا في توجيهاته ، ويغني عن قراءة اكثر من كتاب في موضوعه وفيما يلي اعرض خلاصة هذا المقال بعد تجزئته ، وتنسيقه في فقرات ، وأضع الخلاصة او النص بين قوسين (...) وما عداه فهو من كلامي .

عامـــل التقـــدم

قال الدكتور زكي : قرات بحثا يستوقف النظر بطرافة منهجه ونتائجه لاستاذ بجامعة « هارفارد » وقد بداه بهذا السؤال : (ما هو العامل الرئيسي لتقدم الفرد او الامة على طريق الحضارة ؟) .

الجواب :

(ذهب الناس في الاجابة عن ذلك الى مذاهب شتى ، فقالت فئة منهم : ان العامل هو البيئة !. وليس هذا بجواب ، فكثيرا ما تكون عوامل البيئة واحدة بين فردين او شعبين ومع ذلك يتقدم احدهما ويتخلف الآخر) .

اما التفاوت بين فردين من بيئة او مدينة او قرية واحـــدة او في بيت واحد ـــ فهو اظهر من ان يذكر ، وبالاولى ان يحدث ذلك بين قوميتين او امتين يعيشان في بيئة واحدة ، ولا ادري هل القوميات في الهند الآن والصين القيصرية من قبل وامريكا واوروبا كلها على مستوى واحد تقدما وحضارة او تقهقرا وجهالـــة ؟.

(وقالت فئة ثانية : ان العامل الرئيسي للتقدم او التخلف هو التفاوت في عناصر الطبيعة البشرية ، فمنها العاجز عن التقدم ، ومنها القادر عليه !. وهذا خطأ واشتباه حيث نجد في جنس البشرية الواحد جماعة تقدمـــت واخرى تخلفت ، بل رأينا الجماعة الواحدة تتقدم حينا ، وتتأخر في حين) .

والشاهد على ذلك تقدم العرب على الغرب أيام زمان ، وتخلفهم عنه في هذا الزمان... ومن جملة ما قرات ان احدى الجامعات في انكلترا كانت تشترط ان يكون دارس الطب او

الهندسة ملما باللغة العربية تماما كما تشترط جامعات اليوم ان يكون ملما بلغة أجنبية . ومعنى هذا ان التقدم او التخلف لا يرتبط بعنصر وقومية ولا بدين او طائفية .

لا تقــدم بــلا عمــل

وبعد ان رد الاستاذ الباحث الاقوال الباطلة عنده وعندنا ايضا ، ابدى رايه — على رواية زكي محمود — بقوله :

(الشرط الاول والاساس للتقدم والنجاح هو العمل الجاد والهمة العازمة التي لا تترك حاملها ليستريح على جنبه الا ان يرى حياته مليئة بالعمل المنتج الذي لا ينفك يزداد انتاجا عاما بعد عام ، كأنما في راسه نحلة تطن وتلسع حتى تحول بينه وبين الاسترخاء البليد ، ومن لم تصبه هذه الحالة المؤرقة الهلوع على النماء المستمر والارتقاء المتصل ، قد ينظر الى غيره ممن أصيب بها ، فيظن به الهوس والجنون ، وقد يتساءل في عجب : فيم هذه العجلة المكروبة ، وعند هــذا المجنون من الرزق ما يكفيه ؟.. هذه الرغبة الحارقة عند الانسان في ان يعمل ، وأن يظل عمله يزداد فتزداد ثماره كثرة في الكم وتجويدا في الكيف : هي شرط التقدم الحضاري عند الفرد والجماعة) .

ولا ريب في حرف واحد من هــذا الكلام ، ولكن صاحبه الاستاذ الباحث تجاهــل أهم الاسباب الرئيسية للتخلــف كالاستعمار والصهيونية والشركات الاحتكارية العملاقة !. ومن الذي يجهل ان مخططات هذه القوى الشريرة تهدف الى القضاء على كل نهضة وعلى كل سبب يمت الى التقدم والتطلع الى الامام ، بصلة ؟.

ونعود الى قول الاستاذ الباحث : ان التقدم لا ينفك عن العمل الجاد والهمة العازمة ، لنعطف عليه : ان كل واحد منا يود أن يكون شيئا مذكورا حيا وميتا ، ولكن لن ينال شيئا من ذلك الا بشق الانفس وتعبيد الطريق اليه بتربية النفس طيلة العمر ، فالمرحوم عباس محمود العقاد لم يحصل من التعليم المدرسي على أكثر من المستوى الابتدائي ، ومع ذلك تحمل آثاره طابع الخلود ، والسر انه اعتمد على تربيته الذاتيـــة .

ومحال أن يكون لحامل الشهادات ثقـــل ووزن اذا هو اقتصر على ما سمعه من حلقات الدرس ولم يواصل القراءة والمطالعة ، ويتطلع الى مزيد من الثقافة والوعي . قال الامام أمير المؤمنين (ع) : « اعلم الناس من جمع علوم الناس الى علمه » . ومـــن الطريف قول بعض الفلاسفة : ان الله سبحانه لم يضع ابصارنا في جباهنا دون مؤخرات رؤوسنا الا لنطمح لحياة جديدة ومبتكرة .

وتكلم المفكرون حول التعليم والتربية من عهد كونفوشيوس حتى اليوم وأطالوا الكلام ، وفرقوا بينهما في أن التعليم يكون في المدرسة ، أما التربية فطريقها القراءة والمطالعة ، ومن اقوالهم : لا جدوى من تعليم بلا تربية ذاتية .. التربية بلا تعليم خير مليون مرة من تعليم بلا تربية . وضربوا العديد من الامثال على ذلك ، منها ان معركة حامية قامت عـــلى صفحات الجرائد المصرية بين زمرة من المعممين حول الحديث المنسوب الى نبي العقل والعلم ، وهو « اذا وقع الذباب في اناء أحدكم فليغمسه فيه ، فان في احدى جناحيه داء وفي الآخر دواء » .

وعلق زكي نجيب على هـــذه المعركة في جريدة الاهرام

تاريخ ١٩٧٧/٥/١٢ — بقوله : « ثار الجدال حول هـذا الحديث ، وامتد الى صفحات الجرائد ، وقرأت تلك المقالات.. كأن الموضوع يحتمل الاخذ والرد والدفاع والهجوم .. وهذي ثقافتنا بعدما صنعه لنا محمد عبده ولطفي السيد والعقاد وطه حسين » .

أما سلامة موسى فقد روى « ان أحد خريجي كلية الحقوق بجامعة القاهرة ألف كتابا يخبرنا فيه عن العفاريت والجن والشياطين كيف تتزاوج ، وكيف تتوالد ، ولماذا يزيد عددها على عدد الانس » .

ونحمد الله سبحانـه الذي كتم عـن زكي نجيب محمود وسلامة موسى ما هو أعظم .

احذر العجول الغضوب

لا مفر من التفكير

اكتب هذا الفصل بلا تصميم سابق ، علما بأن التصميم والتفكير يسبق العمل .. والحكاية : اني قررت — بعد الانتهاء من الفصل السابق أن يكون موضوع هذا الفصل « الفلسفة والديانات السماوية » لأن الكثير من الناس يظنون أن الغيب بشتى معانيه خرافة يرفضها العقل .. وقبل الشروع بما كنت قد قصدت وقررت ، وجّه الي أحد الشباب هذا السؤال : قال سبحانه : « خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون — ٢٧ الانبياء » واذا كان الانسان مخلوقا من العجل ومطبوعا عليه كما يدل اول الآية ، فكيف ساغ النهي عنه كما جاء في آخرها ؟ وهل من المعقول أن يترك الانسان ما هو مقود اليه بفطرته وطبيعته ؟.

فقلت له : المراد بالنهي هنا عين المراد بالنهي عن الزنا او الخمرَ او غيرهما من المحرمات اذا مالت النفس اليه ، وهو ضبطها بالكبح ، وترويضها بالصبر ، وتحذيرها من عاقبة السوء .. وما ان تركني السائل الى شأنه حتى غرقت في التفكير ، اقلب النظر في العجلة ومساوئها ، وحاولت جهدي ان اطرد هذه الفكرة من خيالي او اتجاهلها لانصرف الى الكتابة فيما قصدت ، ولكنها تجسدت أمام ناظري كأنها حقيقة ملموسة ، واملت عليّ هذه السطور العاجلة ، فاستجبت بلا رغبة وطيبة قلب ، وحبذا لو لزمت الصمت .

وعلى اية حال فان الحديث عن العجلة والحمق والغضب حديث فلسفي ما دامت مهمة الفلسفة أن تعلمنا كيف نفكر فيما نمارسه بحياتنا اليومية المألوفة .

العجلـــة طريـــق الهلكـــة

قال رسول الله (ص) : « انما أهلك الناس العجلة ، ولو أن الناس تثبتوا لم يهلك احد » وهذا الحديث يغني عن كتاب ضخم ، فكل ما نفعله على عجل فسرعان ما ينهار . ومن قواعد الارث في الفقه الاسلامي قاعدة تقول : « مـــن استعجل الشيء قبل اوانه عوقب بحرمانه » يشير الفقهاء بذلك الى أن القريب القاتل عمدا لا يرث من مال المقتول .. وللعجلة مصدران : سرعة الغضب لاتفه شيء ، والقطـــع الجازم باللمحة ومجرد التصور بلا روية .. أبدا لا يشك ولا يظن ، ولا يبحث ويسأل ! ومن يك هذا شأنه فلا دواء له الا الفرار منه .

وبالمناسبة نشير ان في علم اصول الفقه ثلاثة ابواب : الاول يبحث عن القطع بالحكم الشرعي وآثـــاره ، والثاني يبحث عن الظن به واحكامه ، والثالث يعالج الشك فيه ، ولاحظت ان بعض من يقراون هذه البحوث لا يشكون ولا يظنون في مرحلة العمل ، بخاصة السبة والرذيلة ، فانهم ينسبونها الى من يشاؤون بلا بحث وتردد تماما كالاطفال ، ولا غرابة ، فان كثيرا مـــن الكبار سنا صغار في عواطفهم وتصرفاتهم ، على ما يحملون من شهادات . وليس بعد العيان مـــن شاهد .

الغضب حمى الجنون

السير مع الغضب ينتهي بصاحبه الى مواطن العطب وفساد الدين والايمان والقول والعمل بـلا علم وروية ، والاساءة لمن لا ذنب له . سأل رجل النبي (ص) : اي شيء يدخلني الجنة ؟ فقال له : لا تغضب . ومن أحسن ما قرأت في هذا الباب قول أرسطو : « سهل على الانسان أن يغضب، أما ان يغضب مع الشخص المناسب ، والى الحد المناسب ، وفي الوقت المناسب فهذا ليس في المقدور » .

ولا مسكن لحمى الغضب المجنونة الا جرعة من صيدلية الامام امير المؤمنين (ع) حيث قال : « تجرع الغيظ فاني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ، ولا الـذ مغبة ، ولِن لمن غالظك ، فانه يوشك ان يلين لك ، وخذ على عدوك بالفضل فانه أحلى الظفرين » . وايضا قال : « ان لم تكن حليما فتحلم ، فانه قل من تشبه بقوم الا اوشك أن يكون منهم » .

العفو من شيم الكرام

القصاص عدل ، والعفو فضل ، وهو أقرب الى مرضاة الله من الاول ، ومرضاته تعالى اقصى الغايات لمن آمن به حقا وصدقا . قال سبحانه : « وان تعفو اقرب للتقوى — ٢٣٧ البقرة » والمراد بالتقوى العمل بمرضاته ، جلت عظمته ، والمعنى ان من عفا عن أخيه لوجه الله تولى هو عقابه بنفسه، ويؤيد ذلك الحديث القدسي الذي رواه الكليني في أصول الكافي : « يا ابن آدم اذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك ، فان انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك » .

ونحوى الحديث : وان ابيت الا أن تثـأر وتقتص بيدك

فدونك ، على أن لا تتعدى وتتجاوز عن المثل ، ولكن لا يسوغ لك بعد القصاص منه أن تشكوه الى الله ، لان العقوبة لا تتكرر على ذنب واحد . وتجدر الاشارة الى ان المراد بالمظلمة هي الخاصة دون العامة كالكلمة النابية وما اشبه .

أحمق الحمق

أحمق الحمق أن تجتمع في الشخص العجلة وسرعة الغضب ، ومثله لا يسوغ النقاش معه ، بل ولا الحديث بحال ، لانه لا يشك اطلاقا ، بل يجزم ويحكم بلا أساس ، ومن لا يشك يستحيل أن يقنع أو يقتنع ، قال كونفوشيوس : « لا أدري ما أفعل بالانسان الذي لا يشك ولا يسأل نفسه ما يجب أن يفعل » .

وكل ذي عقل ودين وضمير عليه ان يسأل هذا السؤال ، ويبحث عن الاجابة عنه في مظانها ومصادرها ، ومن لا يتهم نفسه ، ويتوقع منها الخطأ فداؤه مستحكم ، ولا دواء له على الأطلاق . فقد روى القمي في سفينة البحار عن السيد المسيح (ع) انه قال : « داويت المرضى فشفيتهم باذن الله ، وابرأت الأكمه والأبرص باذن الله ، وعالجت الموتى فاحييتهم باذن الله ، وعالجت الاحمق فعجزت عن اصلاحه . فقيل له : وما الأحمق ؟ فقال : المعجب برأيه ونفسه الذي يرى الفضل كله له لا عليه ، ويوجب الحق كله لنفسه ، ولا يوجب عليها حقا . فذاك هو الأحمق الذي لا حيلة في مداواته .

الفلسفة والديانـات السماوية

الفلسفة حــلال او حرام ؟

اختلف الاقدمون : هل طلب الفلسفة وممارسـتها حلال أو حرام ؟ واذا امعنا النظر في اقــوال المختلفين مــن العرب والمسلمين لم نجد اي خلاف فيما بينهم على المبدأ العام ، وهو وجوب النظر وطلب المعرفــة من مصادرها ، وانما الصراع في تطبيق المبدأ لا في صحته ، وان الفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات الدخيلة هل تؤدي الى الشك والالحاد ، او الى دعم الايمان ورسوخه ، أو لا ذا ولا ذاك ــ على الأقــل ــ ؟.

والجواب عن هذا السؤال لا يحتاج الى تبيان وبرهان اكثر من القول بأن الحكم في ذلك يتبع ويخضع لنوع الفلسفة واهدافها ، فالتيارات والفلسفات القائمة على الالحاد والقائلة بأن المادة هي الموجود الوحيد كالماركسية والوضعية ، أو الداعية الى التحرر من كل قيد كالاباحية والوجودية ، أو الهادفة الى الاستغلال والاحتكار كالصهيونية والامبريالية ، أو القائلة بوحدة الوجود وان مجموع الوجود الطبيعي هو الله ، كل هذه الفلسفات والنزعات حرام محرمة ومرفوضة من الاساس .

أما الفلسفة النزيهة السليمة التي ترفض كل جهالــة وضلالة ، وتردها بالمنطق القويم ، فهي مــن صميم الدين

الحنيف ، واي عاقل يحرم فلسفة تحرم ما حرم الله ، وتحلل ما احل ؟. لقد حث القرآن الكريم على النظر والتفكير ، وحرم التعصب والتقليد . وهذي عين الفلسفة التي حللها وقال بها الفلاسفة المؤمنون السابقون منهم واللاحقون .

ان الاصل الاول للدين الحنيف هو العقل وخالق العقل ، وايضا الاساس الاول للفلسفة الصحيحة هو العقل ، وما دام مصدر الدين والفلسفة واحدا يسوغ ، وهذي هي الحال ، وصف الدين الالهي السماوي بأنه عقلي ، والفلسفة الصحيحة بأنها الهية سماوية . . اللهم الا ان ترفض صراحة أو ضمنا العقل كمصدر لها ولمبادئها واحكامها ، والمعروف بين الناس أن الديانات السماوية ثلاث : الاسلامية والنصرانية واليهودية . وفيما يلي ننظر ونرى : هل هذه الديانات تقوم كلها على اساس العقل ، أو انها ترفضه بالكامل ، او بعضها تعترف به وبعضها ترفضه ؟.

الاقانيم الثلاثة في الكتاب المقدس

الكتاب المقدس عند المسيحيين يعم ويشمل العهد القديم (اي التوراة) والعهد الجديد (اي الاناجيل الاربعة) واعمال الرسل (اي رسائل الحواريين) . ولهذا الكتاب المقدس فهرس يرشد الى مكان الكلمات ، اشبه بالمعجم المفهرس للقرآن الكريم ، وايضا له قاموس ، يدل على الكلمات أين هي ؟ ويبين معانيها ، وما يتصل بها بايجاز بحيث يغني القارىء عن مراجعة الشروح والتفاسير اذا هو اقتنع بالكفاف ، وقد اشترك في وضع هذا القاموس ٢٧ من اللاهوتيين وذوي الاختصاص . وأتمنى لو أن نخبة من ذوي الكفاءة المسلمين اشتركوا في وضع قاموس القرآن الكريم

على غرار قاموس الكتاب المقدس .

وجاء في هذا القاموس ص ١٠٧ وما بعدها ما نصه بالحرف الواحد : « الله واحد ، وهو ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر : الله الأب ، والله الابن ، والله روح القدس ، فالأب هو الذي خلق العالم بواسطة الابن ، والابن هو الذي اتم الفداء وقام به ، والروح القدس هو الذي يطهر القلب والحياة ، غير أن الاقانيم يشتركون معا في جميع الاعمال الالهية » .

وفي المعجم الفلسفي للأب الدكتور جميل صليبا : « ان الاقنوم هو الجوهر والشخص ، والأقانيم الثلاثة جواهر متميزة ، والاقنوم عند اللاهوتيين يطلق على اتحاد الطبيعة الانسانية بالطبيعة الالهية » .

ويلاحظ من وجهة عقلية أن الواحد من حيث هو غير الثلاثة من حيث هي ، واذن فلا يسوغ بمنطق البديهة أن يقال : « الله واحد وهو ثلاثة » .

ثانيا : ان الخالق لا يتحد مع المخلوق (أي الانسان) ولا يماثله ولا يكون أحدهما جزءا من الآخر ولا هما معا جزأين لشيء ثالث .

ثالثا : ان مفهوم الاله ينفي بذاته وطبيعته أن يكون له شريك في أي عمل حيث لا يخلو الواقع من احد فرضين : اما أن يكون احد الالهين قادرا على خلق الكون وتدبيره ، واما ان يعجز عن ذلك ، فان كان قادرا يكون وجود الثاني عبثا ولزوم ما لا يلزم ، والاله منزه عن النقص والعبثية ، وان يك عاجزا احتاج الى كفيل ومعين .

ولكن الكنيسة بخاصة القديمة لا تعبأ بعقل وعلم ، وتعترف صراحة بأن الدين فوق العقل ، وان ما يخالف ظاهر النصوص فهو بدعة وضلالة ، وعلى هذا الاساس قتلت الكنيسة وحرقت العديد من العلماء والفلاسفة تحت عنوان الهرطقة والزندقة ، واستمرت على ذلك أزمانا طوالا وقرونا متعاقبة.

ولو أن الكنيسة على ثقة من ديانتها قوة وصدقا لشجعت العلم والعلماء ، وباركت الفلسفة والفلاسفة ، وناقشت المخطيء منهم بالحكمة والموعظة الحسنة . ونختم هذه الفقرة بكلمة جاءت في مقال بعنوان « كيركجورد في قبضة هيجل » نشرته مجلة الفكر المعاصر العدد ٦٧ سبتمبر أيلول سنة ١٩٧٠ وهي « على المسيحي ان يؤمن بلا عقل ، بل ان الايمان يزداد كمالا وسموا كلما ازداد معارضة للعقل » .

وبعد ، فان سر الاسرار لنفور المسيحية او الكنيسة من العقل ، يكمن في الاقانيم الثلاثة التي يرفضها القلب والعقل مع أنها الحجر الاساس في هذه الديانة ، وما وجد أتباعها سبيلاً للخلاص من هذه الورطة المحيرة الا القول بأن الدين فوق العقل والفلسفة .. ولكن هذا الحل يحتاج ايضا الى حل للقول المأثور : حدّث المرء بما لا يليق ، فان لاق لـه فلا عقل له علما بأن المسيحيين عقلاء .

الـه اسرائيل

والحديث عن الفلسفة اليهودية والعنصرية الصهيونية ، يتسع لاكثر من مجلد . ونكتفي هنا بكلمة موجزة عن الـه اسرائيل وحقيقته ومهمته كما هو في الديانة اليهودية ، لأن فلسفتها وجميع تعاليمها ترتكز على طبيعة هذا الاله وصفاته .

ومجمل القول فيه ـــ كما هو عند اسرائيل ـــ انه اعجب من ان يتصوره عقل ، انه صهيوني يعـــادي الانسانية فيأمر بالدمار وحرق القرى والمدن بمن فيها حتى الاطفال .. فيما عدا الذهب والفضة والنحاس والحديد ، لان هذه الاموال للاله الراسمالي الاكبر .. وأيضا هذا الاله عنصري قبلي على غرار اصنام بعض القبائل في الجاهلية .. ولا يعنيه من امر الخلق الا حل مشكلات اليهود ، ومن اجل ذلك سخر لهم الكون بمن فيه من انسان غير اليهودي وما فيه من كائنات وانعـــام .

وتورد التوراة فيما تورد عن هذا الامتياز في سفر يشوع الاصحاح ٦ فقرة ٢٤ ، خطابا مع بني اسرائيل : « أحرقوا المدينة مع كل ما بها .. انما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد اجعلوها في خزانة بيت الرب » . وفي سفر التثنية الاصحاح ١٤ : « قد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا فوق الشعوب على وجه الارض » . وفي سفر العدد الاصحاح ٣١ فقرة ١٢ : « خذوا كل الغنيمة وكل النهب مـــن الناس والبهائم » .

وفوق ذلك ان الله تصارع مع يعقوب الليل بطوله فعجز عنه ، بل عجز عن التخلص والفرار منه ، وبالتالي لم يجد الرب بدا من الرجاء والتوسل الى يعقوب كي يمن عليـــه بالاطلاق ، فقال له مستعطفا : « أطلقني لقد طلع الفجر ، فقال له يعقوب : لا أطلقك ان لم تباركني .. فباركه الرب ، وسماه اسرائيل (١) ومعنى اسرائيل في العبرية القوة ضد الله ، كما نقل العارفون بهذه اللغة .

---

(١) التوراة سفر التكوين الاصحاح ٣٢ فقرة ٢٢ ـــ ٢٩ .

وتشير هذه الفلسفة او هذه الخرافة ان اليهودي لا غالب له حتى الله يعجز عنه !. وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم بنص ابين واوضح في الآية ٦٤ من المائدة : « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا » .. وفي الآية ٨١ من آل عمران : « قالوا ان الله فقير ونحن اغنيــاء » .

وهذه الديانة السفاكة الأفاكة نابعة من الطبيعة الصهيونية وفلسفتها ، ولا صلة لها اطلاقا باي وحي او علم او عقل وضمير .. فقد روى الاسرائيليون أنفسهم ان التوراة المتداولة الآن هي من صنع احبار اليهود بعد عودتهم من الاسر البابلي الى ارض كنعان (انظر الرحلة المدرسية للشيخ جــواد البلاغي ، واظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي ، وفلسفة التوحيد والولاية فصل أهل الكتاب يعترفون بتحريف كتابهــم لمحمد جواد مغنية ، وموسوعة لاروس ، ورسالة لسيجموند فرويد » وذكرنا المصدرين الاخيرين رواية لا دراية .

ولا أدري : كيف جمع المسيحيون بين الايمان برب التوراة (أي اله اسرائيل السفاح الضاري) والايمان برب الانجيل وهو أرحم الراحمين .

ومن كــل ما تقدم يتبين لنا ان هــذا الاخاء واللقاء بــين الصهيونية والولايات المتحدة ــ ليس من باب الصدفة ، بل من باب المشاركة والالتحام في المبدأ والهدف والنظام ، وقد ظهرت هذه الحقيقة بوضوح على لسان بيغن رئيس وزراء اسرائيل الحالي بعد زيارته للولايات المتحدة واجتماعه برئيس جمهوريتها حين ساله مراسل صحفي عن نتيجة الاجتماع ، فأجاب بقوله : « اننا نؤمن بحقائق مقدسة مشتركة ، وذلك ما قربنا ووفق بيننا من أول نظرة » .

وبعد ، فقد كانت الكنيسة من قبل تعتقد ان المعطيات العلمية تنافر ظاهر النصوص المقدسة التي تعود الى الطبيعة ونواميسها ، فحدث الاصطدام بينها وبين العلماء والفلاسفة .. ومع الايام ارتفع الستار وظهرت الحقيقة ، وخضعت الكنيسة للامر الواقع ، وقالت للعلماء : لنا حقل العقيدة الدينية ولكم حقل العلم ، وانتهى كل شيء .

أما الفلسفة اليهودية الصهيونية الضارية ، فلا نهاية لها ما دامت نصوص التوراة ثابتة على امرها بالخراب والدمار والسلب والنهب .. وعلى اساس هذا النص ضم بالامس القريب رئيس وزراء اسرائيل الضفة الغربية وقطاع غزة الى دولة اسرائيل ، وقال بصراحة ووقاحة : « من التوراة ننطلق والى التوراة نعود » . وتقول التوراة : ان الله اعطى الارض للشعب اليهودي .

الاسلام والعقــل

تقدم الكلام اكثر من مرة عن مكانة العقل في الاسلام ، والحديث عنه عين الحديث عن العلم ، لان العلم من صنع العقل وثماره . وتسأل : هل الدين والايمان بالله أيضا من نتاج العقل وآثاره ، او ان الدين ، كل دين ، ينبع من مصدر آخر لا يمت الى العقل بسبب ؟.

الجواب :

هناك من يقول : ان الاديان بشتى الوانها مصدرها اللاشعور واللامعقول ، وان الانسان يكره على العقيدة الدينية من حيث لا يشعر عن طريق المحيط أو التربية أو أي عامل آخر غير العقل والفكر والتأمل .. وقد يكون لهؤلاء

بعض العذر ، لان أكثر الاديان على هذا الوصف ، ومنها ما اشرنا اليه قبل قليل .

ولكن العاقل ، بخاصة اذا كان من اهل الفكر ، لا يعطي حكم الخاص للعام والجزء للكل ، وأي عاقل يقول : انا أعرف من هم شيوخ النجف وهو لا يعرف منهم الا معلما او اثنين ! ومثله تماما الحكم المطلق على جميع الاديان من خلال دين او اكثر ؟ وقد تعجل ماركس وتورط حين قال : الدين افيون الشعوب وهو لا يعرف عن الاسلام شيئا ، وكان عليه ان يخصص بما رأى وعلم ولا يطلق ويعمم .

ان الدين على انواع ، منها بلا حجة وأساس معقول ، ومنها نتيجة التعقل والتفكير والتدبر كالاسلام . واليك الدليل :

١ — أوجب الاسلام النظر العقلي كوسيلة للايمان الصحيح ، وندد في العديد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية بالتقليد والمقلدين ، وأثنى على العلم وأهله ، ونذكر هذه الآية على سبيل المثال : « انما يخشى الله من عباده العلماءُ — ٢٨ فاطر » والمراد بالعلماء هنا هم المعنيون بقوله تعالى : « ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا — ١٩١ آل عمران » . ينظرون الى الكون وما فيه من أسرار وحكمة ونظام ، فتأخذهم الدهشة ويتساءلون : من اين هذا العلم والصنع المحكم ؟ وكيف حدث ؟ ولمن هذه القدرة الخارقة ؟ ولا يجدون جوابا تركن اليه القلوب السليمة وتقتنع به العقول النيرة الا انه من صنع قدير عليم ، يقول للشيء كن فيكون .

أما خشية العلماء منه تعالى فانها تشير الى العالم بالله حقا وصدقا لا يستعمل علمه الا في طاعة الله ومرضاته ، وفي خدمة الانسان وسد حاجاته ، ولا فضيلة اسمى من هذه وارفع عند الله والناس . ومحل الشاهد أن الايمان الصحيح في نظر الاسلام هو ما جاء نتيجة النظر العقلي والمنهج العلمي ، ويؤيد مكانة العلم والعقل في الاسلام هذا الحديث الشريف : « توزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء » .

٢ ــ يقر الاسلام كل ما فيه خير وصلاح ، ويبارك كل جديد مفيد حتى ولو لم يرد فيه نص ، ولا يسوغ بحال ان ينسب اليه أي شيء يجلب الشر والأذى لمخلوق او ينافر العقل بجهة من الجهات .

٣ ــ الانسان في دين الاسلام حر طليق في حدود العدل والمساواة ، وهو وحده المسؤول عن تصرفاته أمام الله بلا واسطة ، واذا بحث عن الحق واستقصى جهده للوصول اليه فأخطاه فهو معذور ، بل ومأجور ايضا على ما بذل من جهد . قال رسول الله (ص) : « اذا أصاب المجتهد فله أجران ، واذا اخطأ فله اجر» . وعلق كاتب معاصر على هذا الحديث بقوله :

« هل رايت احدا يؤجر على الخطأ ، ويحرص على ممارسة الحرية العقلية أكثر من ذلك ؟ نحن نفهم أن المرء يثاب اذا اجاد ، وان غاية ما يتوقعه اذا اخطأ ان يغفر له وان لا يعاقب ، ولكن الذي يبحث ويجتهد هو وحده الذي يؤجر اذا اخطأ ، لان الاسلام يلح في دعوته على ممارسة الحرية العقلية ، والكثير من آيات القرآن تثبت هذه الدعوة ،

وتتساءل : أفلا تتفكرون ؟ أفلا تعقلون ؟ » .

لا اسلام بلا عقــل

ومن المؤسف أن فئة منا نحن حماة الاسلام ، دين العقل والعلم والحياة أن يقول فرد من أفرادها باسم هذا الدين : العقل داء ومفسدة ، وآخر ينفي الايمان عن الذي يطلــب الحجة العقلية كشرط للطاعة ، وثالث يزعم بأن الاسلام بعيد وغريب عن كل العلوم !. فقد نشرت مجلة العربي الكويتية في العدد ٢٢٥ تاريخ آب ١٩٧٧ كلمة بعنوان العقل في قفص الاتهام ، جاء فيه ما نصه بالحرف الواحد :

« واحد من علمائنا في مركز رفيع خصص فصلا كاملا في كتاب اخير صدر له ، يهاجم فيه العقــل ، ويعتبره مفسدة للقلب وجرثومة ضارة يجب ان تعبأ الجهود من اجل القضاء عليها قبل أن يستفحل الــداء ، وينتشر البلاء على أمــة المسلمين ، فتشيع بينهم والعياذ بالله آفة استخدام العقل »!.

وعلى قول هذا « الرفيع » تكون الآيات القرآنية في تمجيد العقل كلها منسوخة ، والاحاديث القدسية والنبوية كلهــا موضوعة !. ولا يريد المبشرون ضد الاسلام وأعداؤه أكثر من ذلك .. قال سبحانه للعقل في حديث قدسي متواتر عند الشيعة والسنة : « مــا خلقت خلقا احب علي منك ، بــك اثيب ، وبك اعاقب » . وقال الرسول الاعظم (ص) : لكل شيء دعامة ، ودعامة المؤمن عقله (١) وقال هذا «الرفيع» : كلا ، ان العقل داء ووباء وجرثومة ضارة بدين الاسلام ، وصدق الله العلي العظيم : « ان شر الدواب الصم البكم الذين لا يعقلون ــ ٢٢ الانفال » .

---

(١) احياء العلوم للغزالي ج ١ ص ٨٣ .

وايضا جاء في هذه الكلمة : « قال ابو الاعلي المودودي الهندي في كتابه نحن والحضارة الغربية : الايمان وطلب الحجة العقلية كشرط من شروط الطاعة امران متناقضان لا يسوّغ العقل السليم اجتماعهما ابدا ، فالذي هو مؤمن لا يمكن أن يكون طالبا للحجة » .

ونسأل هذا القائل : هل كان خليل الرحمن مؤمنا أو غير مؤمن حين قال رب ارني كيف تحيي الموتى ؟ فان اختار الاول ناقض نفسه بنفسه ، وان قال بالثاني فقد جحد وخالف نص القرآن الكريم : « قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ــ ٢٦٠ البقرة » بأن الذي خلقني واختارني لرسالته هو دون سواه يخاطبني ، وما على عيني أو في أذني غطاء وغشاوة .

ولا ادري : لماذا هذا الاصرار والتركيز على تجميد الاسلام وتحجيره ، والابتعاد به عن نور العقل وأسباب التقدم والتطور على أساس الوحي ومبادئه ؟. وهل هذا لمصلحة الاسلام والتبشير بعظمته ومرونته ؟.

وفي مجلة الهلال المصرية تاريخ اكتوبر تشرين الاول سنة ١٩٧٣ كلمة بعنوان كيف نرقى بالتشريع المعاصر ؟ جاء فيها : « ان حكم الاسلام ينطلق من أساس الايمان بالغيب .. والحقيقة ان الفارق المميز بين الحكم الديني وبين الحكم الوضعي هو الايمان بالغيب ، بل هو الفارق بين التعاليم الدينية وبين العلوم المختلفة » .

ارايت الى هذا المنطق ؟ : ابدا لا يرقى التشريع المعاصر الا بالابتعاد عن كل العلوم والرجوع الى الغيب (أي الوحي) وكأنّ وحي الله وكتابه عدو للعلم والعقل ! معاذ الله . كيف

ولا شيء بعد العلم والعقل الا الضلالة والخرافة .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

ولو صدق هذا الكاتب في زعمه لما كان للاسلام حضارة وثقافة ، ولا شيء اسمه علوم اسلامية .. ورحم الله علماء السلف الذين أجمعوا قولا واحدا على ان علم الزراعة والصناعة والطب والهندسة وكل ما هو ضروري للحياة — واجب كفائي لان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب . وهذه القاعدة يحفظها الصغار من الطلبة ، ولكن الكاتب ذهل عنها .. اللهم الا ان يدعي أن على الناس أن يزرعوا ويصنعوا ويتطببوا وراء الطبيعة !.

واخيرا نتساءل : هل جاء هذا الانتظام والانسجام بين هذا الكاتب وزميليه السابقين — من باب الصدفة ، أو أن الهدف من تعاضدهم وتكاتفهم هو بث الوعي الديني والارشاد والثورة على الفساد والالحاد ؟. وطريف أن يعلن علماء الغرب ان الاسلام وضع اسس الحضارة في الشرق والغرب ، ثم يتفق هؤلاء الثلاثة على أن الاسلام ابعد ما يكون عن العلم والعقل !.

القرآن وكلمة الغيب

ولعل من المفيد — بعد الاشارة الى الغيب — ان نتحدث حول هذه الكلمة بايجاز ، وهي تستعمل لغة وعرفا في الجهل وضد الحضور ، يقال : غاب فلان عن البيت اي لم يحضر فيه ، وحفظت شيئا وغابت عنك اشياء اي جهلت بها . ولم يتجاوز القرآن هذين المعنيين ، ومن ذلك « الذين يؤمنون بالغيب » حيث أراد سبحانه الآخرة الغائبة عن الاعين . « اني أعلم غيب السموات والارض » أي ما غاب من

أسرارها عن الخلق . « ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك » وذلك اشارة الى من مضى من عباد الله .. الى غير ذلك من المعاني التي لا تناقض حكم العقل وتنافره .

وهل من المعقول أن يصطدم الاسلام مع العقل ، وهو الطريق الى معرفة الله واثبات نبوة محمد (ص) وصدق القرآن الكريم واعجازه .. ومن هنا قال علماء الدين الحنيف : اذا تعارض العقل مع ظاهر الشرع أخذنا بما دل عليه العقل ، واولنا ذلك الظاهر بما لا يصطدم مع العقل ، ان أمكن والا وجب الانتظار حتى تنكشف الحقيقة بطريق أو بآخر .

وخير ما نختم به هذا الفصل قول برناردشو الشهير : « ان دين محمد هو الدين الوحيد الحائز على اهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة لكل الناس .. ان محمدا يجب أن يدعى منقذ الانسانية ، ولو تولى رجل مثله زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام . بهذه الروح يجب ان يفهم محمد ، فهو اكمل البشر من الغابرين والحاضرين ، ولا يتصور وجود مثله في الآتيين » .

المادية والواقعية والمثالية

الماديـــة

المادة هي التي تشغل حيزا مـــن مكان . والماديـــة في الاصطلاح الحديث تعني ان المادة هي الموجود الحقيقي الوحيد والاصل وكل ما عداها فرع .. بها يفسر العقل والروح والحياة والانسانية وكل ما يحتاج الى تفسير ، اذ لا شيء فوقها على الاطلاق ، وهي أزلية لا أول لأولها ، وابدية لا آخر لآخرها .

ويتلخص دليل الماديين بان المادة هي وحدها التي ترى بالعين ، وتلمس باليد ، ولا وجود الا لمن هو على هذا الوصف. وهذا الزعم ـــ كما ترى ـــ مصادرة وليس بدليل ، لانها تتخذ من المدلول دليلا ومن النتيجة قياسا . وتتضح هذه الحقيقة من الحوار الآتي :

قال بعض الطلاب للماديين : لقد فسرتم كل شيء بالمادة ، فبأي شيء تفسرون المادة ؟

قالوا : هي في غنى عن كـــل تفسير ، لانها مـــن أوضح الواضحات .

قال : اجل ، ان المادة واضحة بوجودها ، ما في ذلك ريب، ولكن من الذي اوجدها ؟

قالوا : هي واجبة الوجود لا تحتاج الى موجد .

قال : من الذي يدير الكون والطبيعة هذه الادارة المحكمة ، ويدبرها هذا التدبير المنظم بوضع كل جزء في مكانه الملائم والمتفق مع جميع الاجزاء محققا للغرض المقصود من وجوده ؟

قالوا : في البدء كانت الطبيعة ذرات رقيقة ولطيفة ، يطلق عليها كلمة الاثير (١) وكانت هذه الذرات تسبح وتموج في اطراف الفضاء ، ودامت على هذا المنوال ملايين الملايين من السنين ، وبهذه الحركة الدائبة الطويلة الامد تطورت الذرات الى اشكال والوان وكائنات وحلقات متنوعة .. منها الكواكب والانعام والحشرات والانسان الخ .

قال : ومن الذي راى هذه الذرات اللطيفة ، وحضر طوافها واطرافها وشهد تطورها الآلي الى هذا النظام والانسجام والجمال والكمال ؟.

قالوا : ابدا ، ما من احد راى وشاهد .. ولكن أيا كان السبب فلا يمكن ان يكون عن قصد وتصميم ومن فعال لما يريد !.

ارايت الى هذا المنطق ؟ نظام بلا منظم معقول ومقبول ، اما النظام بمنظم فسخف وخرافة !. ولماذا يا « عقلاء » ؟ لانه ما من أحد فرد صمد يمكن أن يصنع هذا الكون العظيم !.

ومن قبل قال الكافرون « هذا ساحر كذاب جعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ــ ٥ ص » .

وهكذا ينتهي الماديون في كل أقوالهم الى المصادرة والقول بالظن والتخرص تماما كأهل الجاهلية الجهلاء . وفي العدد الاول من السنة الاولى لمجلة عالم الفكر الكويتية ص ١٣٤

(١) قالوا في تفسير هذا الاثير : « هو شيء لا لون له ولا كثافة ، ونخالف صفاته الصفات التي نعرفها في المادة » .

ما نصه بالحرف : « ان الماديين الذين يزعمون انه لا وجود الا للمادة قليلون بين المفكرين ، وهم في الحقيقة ليسوا اصحاب مذهب في تفسير الكون ، بل هم اصحاب راي في طبيعة الوجود ، وهو راي سطحي تعسفي وغير نقدي ، لان المادة كما نراها لا تفسر شيئا ، وليست علة حقيقة لشيء » .

وللمادية اقسام واصناف كالذرية والاقتصادية والتاريخية والجدلية والساذجة والنقدية . والكلام عنها يستوعب مجلدا ضخما . وقد نشير الى بعض اقسامها فيما يأتي .

الواقعية

ابعد شيء عن خاطر العاقل ان يشك ويتردد في الشيء الذي يراه ويحسه ، وايضا لا يشك في ان هذه الاعيان الخارجية قد وجدت وجودا مستقلا عن عقله وعلمه وعلم غيره ، ولا اظن احدا من هذا السواد وهؤلاء الناس يتصور ، ان هناك من يشك في وجود الشمس والارض والقمر وجودا مستقلا عن عقول الخلق — مثلا — او يقول : كل ما غاب ومن غاب عن علمي وعلم الآخرين فلا عين له ولا اثر . . اما ادراكنا واحساسنا بوجود شيء من الاشياء فهو مجرد صورة له وانعكاس عنه تماما كصور الوجه التي تراه العين في المرآة.

وهذا هو معنى الواقعية ، معناها بكل وضوح وبساطة ان في الواقع والخارج أشياء لا يناط وجودها ويرتبط بأي علم وتصور الا بعلم خالقها وارادته (١) .

وقديما قال الفلاسفة واهل المنطق : العلم هو صورة

(١) قسم بعضهم المثالية الى ذاتية تنكر وجود المادة ، وتاتي الاشارة اليها ، والى موضوعية تعترف بوجود المادة ، ولكن تسندها الى مبدأ لا مادي ، وهو الله كما يقول المؤمنون ، او الى العقل المطلق كما يقول آخرون ، وتركنا الاشارة الى هذه لانها تندرج تحت الواقعية ، وتمتزج بها .

الشيء عند العقل ، ومـــن المعلوم بالبديهة أن الصورة فرع والشيء المتصور اصل ، ولكن اهل التحقيق والنظر يسمون هذه الصورة أو هذه المعرفة بالواقعية الساذجـــة اي ان السواد الاعظم من الناس هم الذين يرون هذه الصورة علما حقا وواقعا ، وعلى هذا الاســاس يتفاهمون في حياتهم اليومية المألوفة بلا تحقيق وتمحيص .

وهذا خطأ واشتباه ، لان الكثير من المرئيات تبدو لاعيننا عن بعد اصغر حجما واقصر طولا من واقعها ، وكذلك نرى المربع مدورا من مكان بعيد ، وعليه فلا يسوغ القول او الحكم بأن ادراكنا لأي شيء هو صورة طبق الاصل عنه ، بل يجب أن نقف من هـــذا الادراك أو هذه الصورة موقف الناقـــد والفاحص فننظر : هل هي من صلب الواقع قطعا أو على الارجح او مرددة بين السلب والايجاب حيث لا وسيلـــة للترجيح ، ثم نصدر الحكم على الادراك العقلي والصورة الذهنية تبعا لنتيجة النقد والتمحيص ، فان انتهينا الى القطع واليقين بأن هذه الصورة الذهنية الموجودة الآن هي طبق الاصل عن الواقع رتبنا جميع آثاره بلا تردد حتى يثبت العكس والا توقفنا عن الحكم . وقد نعود الى هذا الموضوع لسبب أو لآخـــر .

المثاليـــة

للمثالية معان شتى ، منها المثالية الذاتية أو اللامادية ، وعنها نتحدث في هذه الفقرة ، وخلاصتها انه لا وجود لأي شيء في الخارج الا اذا ادركه عقل من العقول ، وما لا يدركه عقل يستحيل أن يكون موجودا ـــ مثلا ـــ السمك موجود في البحر لاننا نعلم بذلك ، ولو لم نعلم به لم يوجد ، ومن أخص خصائص هذه المثالية القول بأن الروح اصل والمادة فرع على

العكس من الفلسفة المادية القائلة بان المادة اصل والروح فرع . وسبقت الاشارة الى ذلك في الفقرة الاولى من هذا الفصل .

ويتلخص دليل المثاليين بان ما من احد يستطيع ادراك اي شيء منفصل عن ادراكه واحساسه ، فكيف يؤمن بوجوده ؟ وهل يستلهم العلم من الجهل أو مـــن مقدور الانسان ان ينفصل عن احساسه وانفعاله ؟.

ورد الواقعيون على هذه المثالية بما يلي :

١ ــ ان تصور الشيء والعلم بــه لا ياتي جزافا وبلا سبب ، وانما هو انعكاس مسبب عن الواقع العياني الملموس ، وهذا الواقع هو الاصل والسبب ، فما الذي جعل المسبب سببا ، والسبب مسببا ؟

٢ ــ فرق بعيد بين الشيء المحسوس وبين الاحساس به ، فالاول عين من الاعيان الخارجية المستقلة عن رؤية العين وعمـــل الفكر ، والثاني موقف تأملي عقلي واحساس داخلي صرف ، فأين هذا من ذاك ؟.

٣ ــ اذا نفينا وجود المادة قبل العلم بها فاي شيء يبقى للمكتشفات العلمية ؟ فنيوتن لم يخلق الجاذبية بعلمه والاطباء لم يخترعوا الدواء ، لقد كان كـــل شيء موجودا من قبل ؛ والعقل اكتشفه واستخدمه في مصالح الخلق .. الى غير ذلك من الردود والنقوض.
وكان الفيلسوف باركلي من أنصار المثالية الذاتية ،

موجودا فيها من قبل ؟.

والفيلسوف جونسون من انصار الواقعية ، فقيل لهذا : بماذا تفند فلسفة باركلي القائلة بعدم وجود الاشياء الخارجية ؟ فركل حجرا برجله وقال : افندها بهذا ، وكيف اقبل فكرة تقول : الشمس لا وجود لها اذا توارت عن الاعين ، او ان اللحم الدفين في الفطيرة سيقفز الى الوجود بمجرد أن افتحها دو أن يكون .

وبعد ، فنحن نعلم بوجود هذا الكون المحسوس بالعيان والوجدان ، وأيضا نعلم علم اليقين انــه ينطوي على أسرار وآفاق لا يبلغها العد والاحصاء ، وانه كلما بلغنا منها أفقا غابت عنا آفاق وآفاق . . حتى اكثر الاشياء وضوحا في افهامنا تبطن اسرارا لا نعرف عنها شيئا ، بل نجهل الكثير الكثير مما تحمله ارواحنا واجسامنا من آيات ومعجزات ، وهي التي اشار اليها القائل : « وفيك انطوى العالم الاكبر » .

ابعد هذا هل يجرؤ احد على القول بأنه لا عين ولا اثر لما يغرب عن علمه او علم مخلوق مثله حتى ولو كان مثقال ذرة في الارض ولا في السموات ؟.

حول العلوم الانسانية

بين الكون والطبيعـــة

تطلق كلمة الكون على العالم بما فيه ومن فيه من مـــادة وطاقة أو جسم وروح أو الظاهر منه والباطن ، قل ما شئت ، ولا تطلق كلمة كائن على ما يدل عليه اسم الجلالة لان كلمة كائن تومىء الى حدوثه .

وتطلق كلمة طبيعة على السجية والصفات الذاتية المقابلة للمكتسبة ، اما العلوم الطبيعية فانها تبحث في المادة واحوالها حية كانت أو جامدة ، وتسمى ايضا بالعلوم التجريبية ، لان طريقة البحث فيها الملاحظة والاستقراء والاختبار .

العلوم الانسانية

العلوم الطبيعية يدل اسمها عليها لان موضوعها الطبيعة ، وكذلك العلوم الانسانية لان المراد بكلمة انسانية مجموع خصائص الجنس البشري التي تميزه عن سائر الأحياء في الطبيعـة .

وللعلوم الانسانية اقسام : منها علم التاريخ ، ويبحث في الوقائع والحوادث الماضية ، وعلم النفس ، وموضوعه نشاط النفس وأحوالها وصفاتها الذاتية ، وعلم الاجتماع ، ويتناول الحياة الاجتماعية وما تخضع له من قوانين ، وعلم الاخلاق ،

وهو مجموعة من المبادىء التي ينبغي ان يجري السلوك البشري على مقتضاها ، وعلم الاقتصاد ، ويبحث في انتاج الثروة وتوزيعها واستهلاكها .. الخ، غير ذلك مما يتصل بحياة البشر كالتشريع والسياسة .

منهج العلوم الانسانية

كان في سالف الازمان للعلوم الانسانية مقامها الاعلى والأرضى يوم كان للقيم الاخلاقية وزن وشأن ، وكانت هذه الحكمة : « اعرف نفسك » هي الهدف والرسالة لكل عالم ومعناها ظاهر وواضح ، وهو يجب أن تفهم وتعرف ما لك وما عليك لكي تقف عند حدك ، ولا تتجاوزه الى غير حقك .

ولما تقدمت العلوم الطبيعية ، وطغت المادة على كل شيء — تخلفت العلوم الانسانية ، وتزعزع ايمان الاكثرية الغالبة بكل فضيلة ومعرفة الا اذا كانت معملية و « شهية » وما عداها سخف وخرافة .. وعلى هذا الاساس قالت بعض الفئات المعاصرة : يجب أن تتحرر العلوم الانسانية من النظريات الفلسفية ، وتخضع للحس والتجربة تماما كالعلوم الطبيعية .

وهذا القول على عمومه واطلاقه بعيد عن الصواب ، لان طبيعة موضوع العلم هي التي تحدد المنهج الملائم لبحثه ودراسته ، فالعلم الطبيعي يعتمد على التجربة ، والرياضيات على العقل ، والتاريخ على النقل والآثار ، ويخطىء من يعتقد ان التجربة هي الطريق الوحيد الى المعرفة ، أو ان النظر العقلي الفلسفي اقل شأنا من العلم المعملي ، قال رسل في كتاب الفلسفة بنظرة علمية : « ليست النتائج التي تنتهي اليها الفلسفة بالمختلفة من حيث الاساس عن النتائج التي يصل اليه العلم » .

ونتائج العلوم الانسانية منها ما ننتهي اليه عن طريق الحس والتجربة كعلم الاقتصاد ، ومنها ما نتوصل اليه عن طريق العقل او الضمير كالقيم الاجتماعية ، ومعنى هذا أن العلوم الانسانية تتقبل الفلسفة والعلم بمعناه الحديث ، وانهما يعيشان فيها جنبا الى جنب .

نقد الفلسفة

وقال بعض المتأخرين : ليست الفلسفة في شيء من العِلم والمعرفة ، بل هي مجرد تفكير وتأمل يخضع لاهواء الفيلسوف ومزاجه أو لظرفه وأحداث عصره أو لتربيته وعقيدته الموروثة .

الجواب :

هذا اعتراف من غير شعور بأن الذنب ذنب الفيلسوف لا ذنب الفلسفة .. فان الشرط الاول والاساس في كل باحث عالما كان أم فيلسوفا ان يتنزه عن الميول والمصالح الخاصة ، ويتخلص من كل المعتقدات والآراء السابقة ، ويقف موقف الناقد والممتحن لكل ما يمر بخاطره .

هذا الى أن كل العلماء والفلاسفة معرضون للخطأ مهما تجردوا ودققوا ، فكم من عالم متمكن ومتثبت حكم على الباطل بانه حق ، وعلى الحق بانه باطل من حيث يظن العكس ، ومن اجل هذا يحسب العالم الراسخ دائما حساب الخطأ المحتمل ، ويقرر احكامه على سبيل التقريب لا على سبيل اليقين .

علماء الغرب والرياء

يثق أهل الشرق أو جلهم بعلماء الغرب اكثر بكثير من علماء

الشرق وفلاسفته ، لأن اقوال الغربيين وآراءهـم — كما يزعمون — تقـوم على التجربة العلميـة لا على الحدس والتخمين .. وعلى هذا الاساس صدّق العديد من شبابنا دارون في قوله : ان أصل الانسان قرد لا لشيء الا لمجرد زعمه هو بأن منهجه علمي !. وبمرور الايام ثبت لكل الناس أن في علماء الغرب مدلسين ومرائين ، وفيما يلي نعرض — على سبيل المثال — بعض افكار هؤلاء المزيفين .

في سنة ١٩٧١ مات عالم بريطاني شهير ، اسمه سيريل بيرت ، وكان يتمتع بقدر هائل من الاحترام في كل الاوساط ، وكان ينشر آراء بالغة الاهمية مدعيا انها نتيجة التجارب والاختبارات ، وبعد موته تبين انه كان يكذب ويخدع ، وانه نشر العديد مـن المقالات المزورة ، ووقعهـا بأسماء وهمية لمؤلفين وباحثين لا عين لهم ولا اثر ، يمدحونه ويثنون على جهوده وصحة آرائه ونظرياته .

وليست هذي هي المرة الاولى من علماء الغرب في تزوير العلم رغبة في حب الظهور والشهرة ، فمنذ ربع قرن الّف فاينز وكلار كتابا في المزورين والدجالين من علماء الغرب ، وقد شهدت السنوات الاخيرة اكتشافات قلبت الآراء السائدة حول أصل الانسان وانه قرد ، وكثير مـن العلماء الآن يعيدون تقديراتهم السابقة حول علاقة القرابة بين الانسان والقردة العليـا (١) .

---

(١) من مقال مطول بعنوان ماذا يحدث في علوم الانسان والمجتمع ، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتية في العدد الاول من المجلد الثامن .

قوى الشر والعلوم الانسانية

دابنا في كل او جل ما نكتب ان نشير بأدنى مناسبة الى وحشية الحضارة في هذا العصر وافتراسها حقوق الانسان وامتصاصها دمــاء الشعوب واغتصابها الأقوات والثروات بكل وسيلة وسبيل ، ايمانا منا وايقانا ، بأن الاسلام في جوهره الصافي يربط الدين بالحياة ، ويمدها بكل قوة ، ويذب عنها بكل سلاح ، ويحتم على كل من قال : لا إله إلا الله ، ومحمد رسول الله ان يجاهد في هذه السبيل بكل ما يملك ، ولا يخشى في الحق لومة لائم ، بخاصة المسلم الصالح ، وبوجه اخص من ظهر امام الناس بجبته وعمامته .

وفيما تقدم من صفحات هــذا الكتاب ذكرنــا ــ لبعض المناسبات ــ أن قوى الشر في هذا العصر اتجهت بالعلوم الطبيعية الى أسلحة الفناء والابادة ، والآن ، ونحن نتكلم عن العلوم الانسانية التي تهدف بطبيعتها الى خدمــة الانسان ومصلحته ، نشير : كيف صرفت قوى الشر هذه العلوم عن طبيعتها ، وانحرفت بها الى صياغة الانسان المعاصر صياغة ملائمة لاطماعها وأهدافها .

لقد استغل طغاة الاحتكار والاستعمار في هــذا العصر العلوم الانسانية وثمارها في التمكين لأجهزة الدعاية المضللة ومناهج التعليم لخلق المواطن المطيع للسيطرة الاستغلالية .. وأيضا تستغل هذه الثمار والنتائج في ممارسة الارهــاب والتعذيــب الوحشي واكتشاف أقصر الطرق لالغاء ارادة الاشخاص المعادين للانظمة الجائرة ، ولم تعــد الاشكال الانتقامية في القرون الوسطى الا لعبة مــن لعب الاطفــال

بالقياس الى العلم المنظم الذي ينقل الناس من عقيدة الى عقيدة ومن موقف الى موقف .

وقد شاع وذاع أن الولايات المتحدة تسخر عددا كبيرا من العلماء المتخصصين بالعلوم الانسانية بشكل واضح وعلى نطاق واسع ، وتجندهم لدراسة القبائل وكل بلاد العالم ، وتستعملهم في خدمة أهدافها ، وتلحق العديد منهم بالمخابرات العسكرية وبالسفارات (١) .

اقـرأ باسم ربـك

وخير ما نختم به هذا الفصل كلمة طيبة من مقال للدكتور عبد العزيز كامل بعنوان النبي والعلم ، نشرته مجلة الهلال المصرية في العدد العاشر من سنتها الـ ٨٠ ، ونذكـر نص الدكتور المسلم عبد العزيز بين قوسين (...) وما عداه فهو من قلمنا لمجرد التوضيح .

قال : (اقرأ باسم ربك . ولنقف قليلا عند هـذا الامر القرائي الاول لنرى فيه بعض توجيهات الله لنا في طلـب العلم) . سواء أكان مـن العلوم الطبيعية ام الانسانية أم الرياضية .

(وان أكبر تكريم للعلم هو الامر الاول الـذي انزلـه الله على رسوله) . ذهب أكثر المفسرين والعلماء والرواة الى ان أول ما نزل على رسول الله (ص) . اقرأ باسم ربك

---

(١) كتاب المخابرات الامركية ، نشرته مجلة الحوادث البيروتية في أعداد متتابعة سنة ١٩٧٧ ، ومجلة الكاتب المصرية العدد ١٠١ من السنة التاسعة ، ومجلة عالم الفكر الكويتية العدد الاول من المجلد الاول وغير ذلك .

الذي خلق .. اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم . وعليه يكون الواجب الاول في الاسلام هو العلم ، ثم الايمان والعمل . ولا فضيلة أسمى من هذه واعظم .

(اقرأ باسم ربك . ونحن في حياتنا نرى أنواعا كثيرة من القراءة ، فقد تكون القراءة باسم التسلط والهوى والشهوة والاستعلاء الكاذب ، قراءة الدول الاستعمارية ، وما عندها مـــن علم وضعته في خدمة عدوانهـــا الاستعماري ، قراءة الاستعمار الامريكي في أرض فيتنام ، وقراءة اسرائيـــل في فلسطين والارض العربية السليبة ، كل اولئك علم وقراءة ، ولكنها ليست باسم الله ، ويبدو من ذلك ضرورة ربط العلم في الاسلام بهدفه الأخلاقي ، ان يكون باسم الله ، وان يكون في خدمة الانسان ، بل لو تعمقنا في هذا الامر الاول (اي اقرأ) لوجدنا فيه عمقا عميقا في قول الله باسم ربك ، ولم يقـــل باسم الله ، لأن لفظ رب يدل على التربية والرعاية) .

ولماذا أوجب الاسلام العلم اولا وقبل الايمان والعمل ؟ لانه لا خير في اي دين او مبدأ او عمل يأباه العلم والعقل ، وايضا لا خير في علم يأباه ويلعنه العقل والضمير والانسانية جميعـــاء .

وختاما فان الدين الذي يحث على طلب العلم ، ويعتبره الاول والاســاس ـــ لا يطلب منه الدليل على صدقه وصحته ، لانه يحمل هذا الدليل في صلب تكوينه وطبيعته .

فلسفة الآخرة وجمال الدين الافغاني

تحـدث العلماء والفلاسفة عن الآخرة قديما وحديثـا ، ووضعوا فيها وفي اثباتها الكتب الطوال والقصار وما بين ذلك .. وشاركتهم بنصيب ، ولله الحمد ، واعتقد جازما ان ما كتبه حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني في هذا الباب — على ايجازه — هو اعظم نفعا واقوى تأثيرا في القلوب والعقول مما كتب الفلاسفة والعلماء مجتمعين .. ولا ارى عملا انتفع به في موقف العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب ، خيرا وافضل من المساهمة في نشر ما قاله هـذا العظيم واذاعه . قال فقيد الدين والانسانية :

« الاعتقاد بأن الانسان انما ورد في هـذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوي ، والانتقال من دار ضيقة الساحات ، كثيرة المكروهات ، جديرة أن تسمى بيت الأحزان واقرار الآلام — الى دار فسيحة الساحات خالية من المؤلمات ، لا تنقضي سعادتها، ولا تنتهي مدتها » .

« فهذه العقيدة اعظـم صارف للانسان عـن الوحوش المفترسة في معيشتها والثيران البرية في حالتها ، والهوام التي لا تستطيع دفع مضرة ولا الوقاية مـن عادية ، ولا تهتدي طريقا لحفظ حياتها ، وتقضي آجالها في دهشة الفزع ووحشة الانفراد ، هذه العقيدة أشد زاجرا لأبناء الانسان عن التقاطع

المؤدي لافتراس بعضهم بعضا كما يقع بين الاسود الكاسرة ، والوحوش الضارية ، والكلاب العاقرة ، واشد مانع يدفع صاحبها عن مشاكلة الحيوانات في خسائس الصفات » .

« وهذه العقيدة احجى حاد للفكر في حركاته ، وانجح داع للعقل في استعمال قوته ، واقوى فاعل في تهذيب النفوس ، وتطهيرها من دنس الرذائل ، وان شئت فارم بنظر العقل الى قوم لا يعتقدون بالبعث : كيف لا يتسابقون الى شرائف الامور وفضائل الصفات .. ان من مقتضيات الجزم بأن الانسان ما ورد هذا العالم الا ليتزود منه كمالا يعرج به الى عالم ارفع ، ويرتحل به الى دار أوسع ، وجنات أمرع — ان اشربت هذه العقيدة قلبه بنبعث بحكمتها ، وينساق بحاديهـا للاضاءة بالعلوم الحقة والمعارف الصافية ، وينصرف همه الى الخير وتهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل ، وينااله التقصير في تقويم ملكاته النفسية ، وينزع لكسب المال مـن الوجوه المشروعة متنكبا عن طريق الخيانة ، ووسائل الكذب والحيلة، معرضا عن أبواب الرشوة ، مترفعا عن الملق الكلبي ، والخداع الثعلبي ، ثم ينفق ما كسب في الوجه الذي يليق وعلى الوجه الذي ينبغي ، ولا يأتي فيه باطـلا ، ولا يغفل حقا عاما أو خاصـا » .

« ان هذا الاعتقاد أشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التي لا عماد لها الا معرفة كل ذي حق حقه وحقوق الآخرين عليه ، والقيام على صراط العدل المستقيم ، وهذا الاعتقاد أنجح الذرائع لتوثيق الروابط بين الامم ، اذ لا عقد لها الا مراعاة الصدق ، والخضوع لسلطان العدل في الوقوف عند حدود المعاملات ، هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الأزلية ، تهب على القلوب ببرد الهدوء والمسالمة ، فان المسالمة ثمرة العدل

والمحبة ، وهما زهر الاخلاق والسجايا الحسنة .. كل ذلك وغير ذلك من الفضائل هو من ثمار العقيدة باليوم الآخر » (١).

ان قائل هذه الكلمة هو العدو الاول للظلم والباطل وهو الذي ركل بحذائه منصب الصدر الاعظم في بلده افغانستان وقال لبريطانيا حين عرضت ان تعينه سلطانا على السودان : « هل تملكين السودان حتى تبعثي اليه بسلطان ؟.. ان تخوف بريطانيا من اعزل مثلي لدليل على ضعف شوكتها ، وانها في الحقيقة اضعف من الشعوب التي تستذلها » .

وهنا سؤال يطرح نفسه ، وهو-لقد رأينا شعوبا لا تؤمن باليوم الآخر ، علما بأنهـا أرقى وأكثر حضارة من بعض الشعوب التي تؤمن به على عكس ما قال السيد الأفغاني ؟

الجواب :

ان ما ذكر السيد من آثار الايمان باليوم الآخر وثماره هو بنفسه يدل على أن مراده بالايمان عين ما أراده الامام أمير المؤمنين (ع) بقوله : « بالايمان يستدل على الصالحات ، وبالصالحات يستدل على الايمان » . ومعنى هذا أن العمل الصالح امتداد للايمان ، وان الايمان مصدر العمل الصالح ، وان من يدعي الايمان ولا يعمل فهو اما جاهل بجهله ، واما مخادع كذاب .

وبعد ، فان الايمان الحق باليوم الآخر هو المدد الذي لا ينضب معينه لكل مكرمة وفضيلة ، والرابط الوثيق بين الله

---

(١) هذا النص مقتبس من رسالة الرد على الدهريين للسيد المفكر المصلح ، ومنشور في مجلة العربي الكويتية العدد ٢٢٢ بعنوان اثر العقائد الدينية في تقدم البشرية .

والانسان ، ومن لا يؤمن به فقد قطع كل الصلات والعلاقات بينه وبين خالقه ، واذا عمل الخير لوجه الخير والانسانية فهو اجير مأجور ، ما في ذلك ريب ، لقوله سبحانه : « هل حزاء الاحسان الا الاحسان ــ ٦٠ الرحمن » . ولكن الأجير المأجور شيء ، والقريب من الله شيء آخر . وهل كل من يعمل لك بأجر هو قريب منك وحبيب ؟.

فلسفة الالحاد في العصر الراهن

كان الناس امـــة واحـــدة

هناك نظرية تقول : ان الطفل منذ سن مبكرة يعي ومؤمن فطريا وآليا بوجود قوة عليا يلجأ اليها للحماية وهو يحترمها ويعبدها بطريقة غريزية ، ولكن النظرية الاكثر شيوعا تقول : ان الانسان يولد لا متدينا ولا ملحدا ، وكل ما يملكه من شيء هو الاستعداد لذا وذاك ، وانه يتكيف تبعا لتربيته وبيئته . والى هذا تشير الآية ١٩ من يونس : « وما كان الناس الا امة واحدة ــ لا ضالين ولا مهتدين ــ فاختلفوا » . ومـــا أكثر الخلافـــات والحماقات ! فبعث اللـــه النبيين ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وروى صاحب مجمع البيان هـــذا المعنى عن اهل البيت (ع) في تفسير الآية ٢١٣ من البقرة .

اجل ، لا عذر لذي وعي وعقل في كفره بالخالق وجحوده حتى ولو جهل دعوة الانبياء ما دام لله في كل شيء من أشياء الكون آية تنطق بوجوده وعظمته . فقد نقل ناقل عن كتاب « بحث عن العقل الانساني » للفيلسوف الانكليزي جون لوك مـــا يلي :

« ان كان الله لم يعطنا أفكارا فطرية عن ذاته ، ولم يطبع حروفا أصيلة في عقولنا نستطيع بها أن نقرأ وجوده ، فانه بما اودعه في عقولنا من ملكات لم يجعل وجوده بلا شيء يشهد له ، لأن لنا الاحساس والادراك والعقل ، فلا نحتاج الى

برهان واضح على وجوده ما دمنا نحمل ذاتنا معنا ، ولا نحن نستطيع أن نشكو من جهلنا في هذه النقطة ، لان لنا من كثرة الوسائل لمعرفته بقدر ما يلزم للغاية من وجودنا »

اسباب الالحــاد

وقد يسأل سائل : اذا كانت الدلائل والآيات البينات على وجود الله سبحانه بهذه الكثرة الكاثرة مع الوضوح والظهور ـ فكيف انتشر الالحاد في كل عصر ومصر ؟.

الجواب :

١ ـ ان مجرد ظهور الدلائل امام الاعين لا يجدي شيئا اذا كانت القلوب والعقول منصرفة عنها ، قال بعض الفلاسفة : « طالما حدث لي أن اتلفت في كل ناحية لآخذ منظاري وهو امام عيني ، وهذه حقيقة كثيرا ما تحدث للفلاسفة ، فليس في مستطاعنا اذن القول من شخص انه يدرك هذا الشيء لمجرد انه ينظر اليه ببصره » .

فالمهم الانتباه والتفكير ، القلب والعقل ، وليس العين وحدها .. واكثر الجاحدين او الكثير منهم في شغل شاغل بمعيشهم عن النظر الى الكون وعجائبه ونظامه ، ثم الاستنتاج السليم مما يرون ويشاهدون . ومن هنا قال سبحانه اكثر من مرة : افلا تتفكرون ؟ أفلا تعقلون ؟.

٢ ـ أن بعض الملحدين يتعمدون محاربة الايمان بالله لا لشيء الا لان اسمه دين !.

٣ ــ قال آينشتين : « اشد الامور غموضا في الكون انه غير غامض » . ولعله أراد ان كل شيء في الكون فني وعلمي بتنسيقه وتنظيمه واحكامه ، وهذا ظاهـر للعيان ، ولا ينكره جاحد مهما بلغ به انعناد ، أمـا الغموض فنسره أن خالق العالم ليس كمثله شيء ، يرى ولا يُرى الا بخلقه وآثاره .

٤ ــ اقبال الشباب على كل دعوة وفلسفة تقول : لماذا الدين والثواب ؟ ولماذا الانسانية والقيم الروحية ؟ فعلى الانسان أن يتحرر من كل قيمة وقيد ، وأن يعمل لنفسه في هذه الحياة ، فانها كـل الحياة ، واهم المذاهب الفلسفية في العصر الراهن وأكثرها شيوعا واتباعا ــ تهدف الى هذه الغاية ، وهي اربعة : الوضعية المنطقية ، والبراجماتية ، والوجودية ، والمادية الجدلية ، واذا اختلفت هذه المذاهب في جانب أو أكثر ، فانها جميعا تهدف الى شيء واحد ، وهي أن تجعل الدنيا هي الاولى والاخيرة .

وفي الصفحات الآتية نتكلم عن كل مذهب من هذه المذاهب في فصل مستقل ، ونحاول جهدنا ان نعرض أمام القارىء صورة واضحة عنه ، ثم نعقب عليه بما نرى ، وبخاصة فيما لا يلتئم وينسجم مع الاسلام ومبادئـه .

الوضعية المنطقية

معنـــاهـــا

المراد بالوضعية المنطقية هنا التجربة العلمية ، وهي تتخذ من شهادة الحواس وحدها طريقا للعلم والمعرفة ومعيارا للحق والحقيقة ، وتنكر وجود العقل بالمعنى الذي نعرفه في مقابل من يتخذون من العقل وحده اداة ووسيلة للعلم والمعرفة ، ولا يثقون بالحواس كطريق الى المعرفة الصحيحة .

وتحجر هذه الوضعية على الفلسفة ان تتحدث عن الكون او الانسان ، وتعطي عنه نظرة شاملة ، او تعبر عن رأيها في اي شيء من اشياء الطبيعيات او الانسانيات ، وتحصر مهمة الفلسفة بتحليل الكلام تحليلا يميز بين ما له معنى ومضمون ، وبين ما هو فارغ عن المعنى والمحتوى بالرجوع الى الخبرة الحسية ، ويأتي التوضيح .

اقسام القضيـــة

تبدأ الوضعية المنطقية بقضية قبلية لا اصل لها ولا اساس ، وهي ان المادة هي الموجود الوحيد ، وعليه فكلمة عقل وروح وآخرة وخير وشر ، كل ذلك وما اليه كلام فارغ من المعنى والجدوى تماما مثل كلمة غول وعنقاء والمربع المدور .

ويقسم الوضعيون القضية الى ثلاثة اقسام ، منها قضيه الكلام الفارغ :

١ ــ القضية الرياضية وهي التي يكون المحمول فيها عين الموضوع بحيث يصدقها السامع بمجرد النطق بها من غير شاهد من خارجها كقولنا : الاثنان عدد زوجي لا فردي ، او يكذبها كقولنا : الاثنان عدد فردي لا زوجي . وتسمى هذه القضية تحليلية .

٢ ــ القضية الطبيعية وهي لا تدل بنفسها على صدقها او كذبها ، لان الموضوع فيها غير المحمول ، ولكن السامع يستطيع ان يتحقق ويتثبت : هل هي صادقة او كاذبة بمعونة الحس والتجربة كقولنا : الحديد يتمدد بالحرارة . فهذه جملة صادقة بالملاحظة والمشاهدة ، وعندما نقول : الحديد لا يتمدد بالحرارة . فيعد هذا القول كاذبا لانه خلاف الواقع المحسوس . وتسمى هذه القضية تركيبية .

٣ ــ القضية الفارغة من المعنى وهي التي لا تحمل في صلبها صدقها او كذبها كما هو شأن القضية الرياضية ، وايضا لا يمكن امتحانها واختبارها بالمشاهدة أو التجربة كالقضية الطبيعية حيث لا عين ولا اثر لمدلولها في الخارج مثل العقل يدرك والروح تشعر ، فهل من أحد رأى شيئا اسمه عقل أو روح ؟

والفرق بين الكلام الكاذب والكلام الفارغ ــ ما زال الحديث للوضعيين ــ ان الاول يمكن أن يكون صادقا بموافقة الواقع ، اما الثاني فلا واقع له على الاطلاق ، فكيف يوصف بصدق او بكذب ؟ واذن هو كلام فارغ . وبتعبير آخر ان التقابل بين الصدق والكذب تماما كالتقابل بين الاعمى والبصير ، فلا يقال هذا اعمى الا لمن شأنه ان يكون بصيرا ، اما

الحجر — مثلا — فلا يتصف بالعمى ، وان وصفه واصف بذلك فكلامه لغو وعبث ، وهكذا كلمة عقل ونفس وخلود وما اشبه في الوضعية المنطقية .

ملاحظـــات

ويلاحظ على الوضعية والوضعيين :

١ — من البداهة بمكان انه لا يسوغ لعاقل على وجه الارض أن يثبت شيئا او ينفيه بلسان جازم حازم الا بدليل ، اما أن يثبت او ينفي بلا دليل ومعرفة فهذا النفي أو الاثبات هو الكلام الفارغ .. والمعرفه لا تخلو من أحد فرضين : حسية او عقلية تبعا لطبيعة الموضوع ، فان كان من النوع الظاهر المحسوس اعتمدنا في اثباته على المعرفة الحسية ، وان يك كامنا وراء الحس ، ولا أثر نعرفه له فلا ننفيه ولا نثبته ، وان ظهرت آثاره للحواس والعيان انتقل العقل منها الى وجود المؤثر تماما كما انتقل نيوتن من سقوط التفاحة على الارض الى وجود الجاذبية .

فالدليل الذي نعتمد عليه في اثبات ما غاب عن الحس هو فعله وآثاره ، وبهذا صرح العديد من العلماء والفلاسفة ، ومنهم على سبيل المثال آينشتين الذي قال « هناك عالم موضوعي وحقيقي وراء الحواس » (١) وفي كتاب المنطق للدكتور جميل

(١) من مقال بعنوان ماخ وآينشتين ، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتية في العدد الثاني من المجلد الثاني .

صليبا ص ٣٩٥ ان جونروا قــال : « ابداً لا نسلم بأن الحقيقة محصورة فيما يقع تحت الحواس من حوادث » .

- ان الانسان يحمل في أعماقه العديد مــن المعاني والغرائز ، ولا احد يجرؤ على انكارها ، لان انفعالها وآثارها ظاهرة في كل مجال من مجالات الحياة ومنها تفزة الانسان من الارض الى القمر مع العلم بأن الغرائز والملكات لا تقع تحت الحواس ، ولا تكتشف بأية وسيلة حتى بالتحليل والمجهر .

- ان هذه الجملة : « اذا لم تكن القضية رياضيه أو طبيعية فهي كلام فارغ » التي قالها أنصار الوضعية المنطقية ـــ ليست رياضية ولا طبيعية ، واذن هي كلام فارغ .

ارايت الى هذا التهافت والتناقض من الوضعيين المتجسد في التحذير من الكلام الفارغ بكلام فارع ، على مبدئهم ومنطقهم ؟.

ن والقيم الأخلاقية

انصار الوضعية : ان العبارات الأخلاقية لا تحكي ء موجود في الخارج ، بل هي مجرد انشاء يقال بصيغة لا تفعل ، واي كلام ليس له مدلول محسوس في الخارج الطبيعيـــة ، أو دل عـــلى نفسه بنفسه كالقضية ة ـــ فهو كلام فارغ ، وبكلمة ان القيم مجرد امـــان انسانية ، ولا شأن لها بعلم أو فلسفة !.

الجواب :

ان القيم الأخلاقية تعليم وتوجيه الى حياة أفضل ، فاذا كان هذا التوجيه كلاما فارغا فعلينا ان نرفض دعوة الانبياء والمفكرين والمصلحين ، وان نهدم المدارس والمسارح والجامعات ، ونلغي جميع الشرائع والارشادات ، ونعيش في الغاب والمغاور مع الوحوش والطيور الكواسر . وهذا بالفعل هو الكلام الفارغ .

فلسفة التحليل

وايضا حجّر الوضعيون على الفلسفة ان تحل اية مشكلة او تكشف عن أية حقيقة ، لانها تتعدى الحواس الى ما وراءها ، ولا شيء وراءها الا مضغ الهواء — كما يزعمون — واذا سألهم سائل : وماذا نصنع بهذه الصفحات المسهبة في مجلدات الفلسفة ؟ اجابوه : القها طعاما للنار . وان قال لهم : هل عندكم من بديل ؟ قالوا : اجل ، عندنا فلسفة التوضيح والتحليل .

وخلاصة هذه الفلسفة انها تقول للفيلسوف : اياك أن تتفلسف ، لان الفلسفة ليست ميدانا للعقل والفكر والتأمل.. ابدا لا يحق لك أن تشك وتنتقد وتبدي رايك في اي شيء ؛ بل عليك أن تقف موقف الحياد من كل شيء !. واذا قال الفيلسوف للوضعيين المنطقيين : واذن فماذا اصنع وانا مثقل بهذه القيود ؟ قالوا له : تحلل وتوضح معاني الالفاظ والمصطلحات التي يستعملها علماء الرياضة مثل نقطة وضلع ومستوى .. وعلماء الطبيعة مثل ذرة وموجة والكترون .. اجل لا بأس ان تفسر أيضا العبارات التي يقولها الناس في حياتهم اليومية.

هذي هي فلسفة التحليل عند الوضعيين المنطقيين ، تترجم كلمة الى كلمة أخرى مساوية لها في المعنى ، شأنها في ذلك شأن المعاجم اللغوية .. وحاول زكي نجيب أن يخلق لها امتيازا وفضيلة على القواميس والمعاجم ، فقال في كتاب خرافة الميتافيزيقا ص ١٤٧ : « ليس المراد بالتحليل الترجمة من لغة العبارة الاولى الى لغة العبارة الثانية ، بل لا بد ان تجيء الثانية أكثر ابرازا للعناصر التي تنطوي عليها العبارة الاولى » .

وهـذا اعتراف صريح بأن التحليل معجم فلسفي تمامـا كقاموس اللغة ، ولا فرق الا في زيادة الشرح والتوضيح .. وهكذا خرج الدكتور من باب القاموس ، وتسرب اليه من النافـذة .

والعجيب الغريب في فلاسفة التحليل أنهم ينكرون الفلسفة بالفلسفة ، ويذهلون عن هذه الحقيقة : « من أنكر الفلسفة فقد تفلسف » !. واعتذر احدهم بقوله : ان الفلاسفة وعلماء الدين والاخلاق يخطئون في بعض ما يرون ، لانهم يتجاوزون الى ما وراءه ، وتحفظا من الخطأ والاشتباه حصرنا طريق المعرفة بالمشاهدة والتجربة ، وعزلنا الفلسفة عن العقل الخالص ، وأخضعناها للتحليل العلمي الحسي .

الجواب :

أيضا علماء الطبيعة يخطئون في تجاربهم الحسية لا لشيء الا لانهم بشر تماما كعلماء الدين والاخلاق ، وما أكثر الأمثلة على ذلك ، ومنها أن المادة كانت في نظرهم صلبة متماسكة ، واتفقوا الآن قولا واحدا على انها مجموعة من ذرات وكهارب سالبة وموجبة ، ومنها أنهم ثاروا على النظرية النسبية ، ثم

أصبحت عندهم قدس الاقداس . قال جون هرمان في كتابه مدخـــل الى الفلسفة ترجمة الدكتور ملحم قربـــان ص ٧٤ طبعـــة ١٩٦٣ :

« لا يدعي الأسلوب العلمي (أي الحس والتجربة) العصمة من الخطأ ، بل هو ابرز ما يتميز به عن الاساليب الأخرى ، وهذا يفسر تقدم العلم ، اذ من الواضح ان تقدمه لم يكن ممكنا لو رضي بنتائجه التي حصل عليها من قبل ، ولا يمكن أن تكون ثمة نهاية لعملية اختبار النظريات العلمية وفحصها» .

وتتلخص هذه العبارة بجملة واحدة هي ان المعرفة الحسية ليست بأفضل من المعرفة العقلية الفلسفية ، وهذا المعنى ذكره رسل في كتاب الفلسفة بنظرة عصرية ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ، وايضا فيه ما نصه بالحرف : « ان احتمال وقوعنا بالخطأ يظل قائما لاننا بشر غير معصومين ، وللفلسفة أن ندعي لنفسها حقا ، وهو أنهـــا تحاول أن تحصر امكان التعرض للخطأ في أضيق دائرة ممكنة ، بل ربما ضيقت دائرة الخطأ المتحمل الى حد يمكن تجاوزه ، وليس في مقدور البشر ان يبلغ درجة أعلى من هذه الدرجة في الكمال » .

والاشتراكيون يرفضون فلسفة التحليل ، لانها لا تصلح سلاحا نضاليا للثورة الاجتماعية ، بل تقف عقبة في سبيلها ، أما نحن فنرفضها بالخصوص ، لانها تكبل العقل وتقيده ، وأيضا نرفض معها كل فلسفة مادية بلا استثناء ؛ لان الانسان لا يحيا بالعلم المعملي وحده ، وفي الوقت نفسه نرحب بأية فكرة تلتصق بالحياة ، وتسير بها الى الرخاء والهناء والحرية والكرامة والامن والامان لجميع الناس على السواء .

لقد نزل الاسلام من السماء الى الارض لهداية الانسان وسعادته ، ومن أجل هذا امتن عليه سبحانه بقوله : « ولقد

كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ــ ٧٠ الاسراء » .
وأيضا من أجل هذا حارب الاسلام الظلم والفقر والاستغلال والجهل والخرافات ، وكل ما يعوق الحياة عن النمو والتقدم .
هذا هو الاسلام في حقيقته وجوهره ، ومن فكّر فيه بعيدا عن هذه الحقيقة وهذا الجوهر فهو جاهل أو مضلل .

البراغماتية

الرغبـــة والرهبـــة

كل انسـان يفعل او يترك رغبة في منفعة او رهبة مـــن مضرة حتى الانبياء كانوا يدعون الله رغبا ورهبا كما في الآية ٩٠ من سورة الانبياء ، ولا ضير في شيء من ذلك ما دام الانسان بطبعه وكيانه مطبوعا على الدفاع عن نفسه والعمل على مصلحتها ودرء الضرر عنها ، وعلى هذا الاسـاس تقوم الشرائع والمبادىء السماوية والانسانية .

أبدا لا فرق بين انسان وآخر في العمل لمصلحته ، وانما الفرق بين من يعمل لها وهو مؤمن بالتعاون والاخاء والمشاركة والمساواة ، بل وبالتضحية بحياته لغاية من الغايات النبيلة ، ويتصرف ضمن هذا النطاق ولا يتجاوزه بحال ، وبين من يعمل لمصلحته بلا حدود وقيود ، ولا يفهم الا بلغة خذ كل شيء ان استطعت ولا تعط أي شيء ، فان عجزت فخذ اكثر مما تعطي تماما كالتاجر . وهذا هو البراجماني كما يتضح بعد قليل .

وبهذه المناسبة نشير الى أن الاسلام ينظر الى العلم على انه طريق وتخطيط للعمل المطلوب ، والى الايمان على انه التزام واحساس بالمسؤولية عنه ، ومعنى هذا أن الهدف الاول لكل من العلم والايمان هو العمل ، وان الايمان وحده أو العلم وحده تماما كالشجرة بلا ثمرة والمصنع بلا صناعة .. ونندد

سبحانه بمن لا يعمل الا لمصلحته الذاتية بلا قيد وشرط ، وسعته في الآية ٢٣ من الجاثية بأنه عبد لهواه ، وفي الآية ١١ من الحج بأنه يعبد الله على حرف ، اي على شرط ان يقبض ثمن عبادته في الدنيا لا في الآخرة ، ويدل على ارادة هذا المعنى قوله تعالى : « فان أصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه » .

هذي هي البراجماتيـة

اصل هذه الكلمة يوناني ، وقد اشتقت من براغما أو براجما ، ومعناه العمل .. والبراجماتية في العصر الراهن مذهب أو منهج ، ويتلخص بأنه ينكر الواقع وحكم العقل ، ويقيس الحق والصدق والخير والواجب بما يحقق للفرد او الجماعة من ميول ورغبات ، فالشيء الواحد يكون حقا وخيرا بالنسبة الى من ينتفع به ، وشرا وباطلا اذا تضرر منه آخر ، ولا يوصف بشيء ان نسب الى حيادي ثالث لا يضره ولا ينفعه .

ومعنى هذا كله انه لا علم وفكر في الواقع ولا حق وصواب ولا دين وأخلاق ولا خير وعدل .. ابدا لا شيء يوصف بشيء يذكر الا الفعل المحسوس الملموس الذي يجلب نفعا أو يدفع ضرا . وحتى يكون القارىء على علم اليقين من هذه الصورة أو هذا المضمون ، نعرض امامه طرفا من عبارات البراجماتيين بحروفهـا .

من اقوال البراجماتيين

قال الدكتور زكي نجيب محمود في كتاب حياة الفكر في العالم الجديد ص ١٩٤ : « ثلاثـة عمالقة خلقوا الفلسفة البراجماتية خلقا ، واشاعوها في ارجاء العالم طرا بحيث لم

يعد في وسع مثقف الا أن يتابعهم في نتائجهم قبولا أو رفضا ، وهؤلاء الثلاثة هم پيرس وجميس وديوي » .

وفي ص ٢٠٢ وما بعدها من الكتاب المذكور : « المنهج الذي بنى عليه ديوي تفكيره هو أن العقل في سلوك الانسان ذو طابع معين ، وليس هو الكائن الروحي الكامن في الجسم كما يقول المثاليون .. ان كل فكرة هي عين الفعل والسلوك المحسوس ، والفكرة الصائبة هي التي تنتهي بنا الى ما نبتغي ، والفكرة الخاطئة هي التي لا تؤدي الغاية المقصودة .. أبدا يستحيل فصل الفكرة عن التطبيق العملي » .

ومعنى هذا بصراحة أن العقل والفكر جزء من السيارة والطائرة والسفينة ، وليس في دماغ المصمم والمخترع تماما كالباب والدولاب ، ووجه من وجوهها كالدهان والألوان !. وايضا معنى هذا ان التخطيط والتصميم ليسا علما بل ولا شيئا حتى ولو كان صحيحا الا أن يبرز للوجود والعيان ، وكذلك أفكار العظماء المصلحين الا اذا سمع الناس لهم وأطاعوا !. وايضا معنى هذا انه لا فرق بين الجرائم عن سهو ونسيان وعن قصد وعمد ما دام الفعل من حيث هو يوجب المؤاخذة والعقوبة (١) واشتهر عن الرئيس الامريكي السابق ايزنهاور انه قال : اذا كانت القنبلة الذرية تحقق لي النصر في الحرب فان استخدامها حق وواجب !. وايضا شاع عن موسوليني قوله : لقد أفادتني البراجماتية ، والفاشية تدين لها بنصيب كبير .

---

(١) قانون الولايات المتحدة يدين رب العمل في كل ضرر يحدث للآخرين حتى ولو كان الضرر ناتجا عن سبب آخر ، لا يمت الى رب العمل وآلاته وأدواته بسبب قريب أو بعيد .

هذي هي ثمار البراجماتية : فاشية دكتاتورية ارهابية ، وامبريالية تمثل اعلى مراحل الراسمالية الاحتكارية .. ولا يباركها الا جاهل بسماتها وعوراتها ، او نازي فاشي .

وايضا جاء في كتاب حياة الفكر ص ١٧٨ وما بعدهـا : « قال جميس : كل ما يؤدي الى النتائج المرجوة فهو حق ، وكل ما لا يؤدي الى هذه النتائج فهو باطل .. ان كلمة الحق وكلمة النفع مترادفتان ، فنقول عن فكرة : انها حق لأنها نافعة ، وانهانافعة لانها حق ، والقولان في المعنى سواء .. وايضا هذا هو معيار الأخلاق ، فالذي يجعل الفعل فضيلة هو انه فعل ناجح » .

وفي كتاب فصول في الفلسفة للفيلسوف جود ترجمة عطية محمود وماهر كامل ص ٢٦٧ طبعة ١٩٥٦ : تقول البراجماتية : « الاعتقاد الصادق باختصار هو النافع فقط فيما يتعلق بالفكر ، كما أن الصواب هو النافع فيما يتعلق بالسلوك .

ارايت الى هذا المنطق ؟ كل شيء مباح ، بل هو خير وفضيلة وحق وحقيقة وصدق وعدل ما دمت قادرا عليه !. ولماذا ؟ ابدا لا لشيء الا لأن الحياة فريسة الغانم تماما كحياة الوحوش في الغاب ، اما القيم والأخلاق فكلام فارغ ! واذن فعلام الانظمة والشرائع ؟.

لقد اتفق اهل العصور على مجموعة من القيم لان حياة المجتمع لا تستقيم بدونها ، ولكن البراجماتية تقول : ولماذا المجتمع والجماعة ؟ فالمهم حياة الأقدر « الأقذر » اما اصوات الضعفاء وانين البؤساء فانها تذهب مع الرياح . ومثلها تماما عقول العباقرة الا أن تمد الجسور ، وتشيد القصور .

ونحن ايضا نقول : ان العلم بلا فاعلية وعمل ليس بشيء حيث لا حياة ولا حضارات الإ بالكفاح والنضال ، وان على الانسان ان يعمل من اجل مصلحته ومنفعته ...وفي نفس الوقت نؤمن بالقيم وحكم العقل ، لان العلم بلا عدل كارثة ، والعمل بلا ضمير سلب ونهب ، ولكن البراجماتية تقول : المهم هو النجاح ، ومتى تحقق صار حقا وعدلا حتما وبالضرورة من اي سبيل كان ويكون ، اما العدل والضمير فكلام فارغ . ومن هذه الفلسفة واخواتها انطلقت قوى الشر بأسلحتها وثروتها الى أن تفرض سياستها ، وتملي ارادتها على كل شعب اقل منها قوة واضعف صناعة .

ومن جملة ما قرأت ان احدى الشخصيات البارزة في الولايات المتحدة قال ما نصه بالحرف الواحد : « نحن اكثر الدول انتاجا ، واقواها راسماليا ، واغناها آليا ، وعلينا اذن أن نحزم أمرنا كي نملك غالبية الاسهم في كل الشركات الكبرى التي يطلقون عليها اسم العالمية ، ولا ينبغي أن يكون ذلك الى اجل مسمى ، بل الى الأبد » .

هذي هي البراجماتية نصا وروحا ، وهي في العصر الراهن الاقوى والاعظم حيث تنفذ أحكامها بالسلاح الأشد فتكا والاكثر تدميرا .. من الصواريخ الموجهة الى القنابل النووية ، ومن حرب العقول الالكترونية الى المواد السامة .. الى ما لا نهاية من سلاح جديد اقوى وامضى .

وان سأل سائل : أين الحق والعدل والدين والضمير ؟ فجوابه : في الأسلحة الجهنمية . وان قال : كيف ؟ واين هيئة الامم ومجلس الامن ؟ فجوابه : تحت أقدام الصهيونية والشركات الاحتكارية .

الوجودية

كتاب المذاهب الوجودية

وضعت كتابا صغيرا في الوجودية ، نشرته دار التعارف ببيروت ، وفي مكتبتي لسارتر نبي الوجودية في العصر الراهن ثمانية كتب مترجمة الى اللغة العربية ، ومنها الكتاب الضخم : الوجود والعدم ٩٩٢ صفحة ، اضافة الى ما قرأته عن الوجودية في الصحف والعديد من الكتب .

وحين عزمت العودة الى الوجودية في هذا الفصل ، بحثت في المكاتب عن مصدر آخر ، عسى ان يزيدني علما بها ، او يصحح من فهمي لها ، فعثرت في بعض المكتبات على كتاب في ٣٣٤ صفحة ، اسمه المذاهب الوجودية تأليف (ريجيس جوليفيه) ترجمة فؤاد كامل ، فاشتريته وقرأته ، وما زاد في خبرتي الا من الناحية التاريخية : متى وجدت هذه الفكرة ؟ وكيف تطورت ؟ لأن خطة الكتاب — كما يبدو — تاريخية ، وليس هذا من همي واهتمامي ، وكل ما ابتغيه أن أعرف الوجودية كما هي في أذهان شباب اليوم لأخاطبهم بلغتهم .

الوجودية واللامعقول

وذكر جوليفيه في مقدمة كتابه المذكور ، السبب الموجب لفلسفة اللامعقول كالوجودية واخواتها ، وأطال الكلام ،

ويمكن تلخيصه بما معناه أن كل انظمة هذا العصر ، وكل الأدوار التي تلعبها قوى الشر من اثارة الحروب والسيطرة على الأقوات والمقدرات وتشكيل العقول بالاعــلان الكاذب والدعاية المضللة ، كل أولاء وغيرها كثير ـــ بعيدة أقصى البعد عن العقل والمعقول ، واذن فلا بدع ان يثمر مثل هذا المجتمع تفلسفا أو ادبا غير معقول .

وفي الترجمة العربية للموسوعـــة الفلسفية الصادرة في موسكو سنة ١٩٦٧ : « الوجودية رد فعل لا عقلاني ظهرت بعد الحرب العالمية الاولى في المانيا وبعدها في فرنسا وبعد الحرب العالمية الثانية في بلاد اخرى ، منها الولايات المتحدة ، وقد اثرت تأثيرا كبيرا على الفن والادب الحديثين في المجتمع الراسمالي وفي الاطار العقلي لقطاع كبير من المفكرين » .

وقال جوليفيه في ص ٢٤ وما بعدها : « لقد بدا عالم اليوم وكأنه قد اسلم نفسه للجنون ، ولاح كأنما الكون قـــد فقد معناه ، وان الحياة باطلة ، وان الكون خال من اله .. فمس الناس طائف من جنون ، وانكروا العقل والقيم الأخلاقية وسمو الانسان .. وهذا كله قد هيأ جواً للتردي في مهاوي اليأس والفوضى .. والدفاع عن الكذب والنفاق ، وانحطاط الاخلاق العميق الذي نشأ عن شيوع السوق السوداء والاتجاهـــات المضطربة في عصرنا » .

ومن هنا تفجرت ثورة الشباب سنة ١٩٦٨ في امريكا وأوروبا على الاوضاع ، واهتز لها ضمير العالم كله ، وكان مع هذا الانفجار اضرابات عمالية في امريكا وانكلترا وايطاليا واليابان وغيرها . وأدب اللامعقول وفلسفته نوع من هذا الانفجار والاضراب « لولا انه غير معقول » وكثيرا ما يقال أدب الرفض او فلسفة الرفض بدلا من كلمة اللامعقول ، بل تسرب هذا

الرفض او اللامعقول الى الموسيقى ، على ما قرات لاني افقد حاسة التمييز بين المعقول من الموسيقى وغير المعقول .

الوجودية منهج لا فلسفة

في القديم كانت الفلسفة مرادفة للعلم بمعناه العام ، ثم انفصلت عنها العلوم واستقلت ، فتعددت الفلسفات وتباينت ، كما رأيناها في العصر الراهن ، وتعذر تعريفها على وجه شامل وكامل .. وقد عرفها كل فيلسوف من خلال الفلسفة التي يأخذ بهـــا .

وقال رسل في جواب من قال له ما هي الفلسفة : « هي ما لا نعرف ، لأن المسائل تنتقل باستمرار مـــن اختصاص الفلسفة الى اختصاص العلم كلما تقدمت المعرفة ، اي ان الشيء المثبت بالحس يخرج من الفلسفة الى العلم » .

ولعل اقرب تعريف للفلسفة بالمعنى الحديث ان يقال : انها تبحث الموضوعات التي لا تبحثهـــا العلوم الطبيعية ولا العلوم الرياضية ، كعلم مـــا وراء الطبيعـــة وعلـــم النفس والأخلاق .. ومهما يكن فان الوجودية ليست فلسفة ، وانما هي منهج خاص ومحدد لنشاط الانسان الفرد وتصرفاته ، ويتضح ذلك فيما يأتي ، وكان بعض اقطاب الوجودية يأبى ان يقال له : فيلسوف .

الوجوديون المؤمنون

قسم الباحثون ، الوجوديين الى معترفين بالله وجاحدين به .. وبعد أن تتبعت وقرأت اقوال هؤلاء وأولئك انتهيت الى ان الجميع بمنزلة سواء من حيث اللامنطق واللامعقول

لان الوجوديين بالكامل يتخذون من ارادتهم وعاطفتهم مقياسا لكل حق وحقيقة ، ولا يعترفون بحكم العقل ولا بنظام أو شريعة ارضية كانت أم سماوية ، وعلى سبيل المثال ، ننقل العبارة الآتية لكيركجورد ، وهو من الوجوديين المؤمنين ورائد من رواد الوجودية المؤسسين ، قال ما نصه بالحرف :

« ان النتائج التي نتوصل اليها العاطفة هي وحدها الجديرة بالثقة ، وهي وحدها الكافية في البرهنة » . (من كتاب المذاهب الوجودية ص ٣٩) وفي ص ٤٢ « لماذا اقامة البرهان ؟.. فان الذي يصدّق الحقيقة ، ويقبلها ليس هو العقل الخالص ، بل الانسان الموجود من حيث هو موجود » . يريد من حيث هو حر في فعل ما يشاء بلا رقيب وحسيب .

وقد يصح الايمان عن عاطفة وتقليد اذا كان انعكاسا عن الحق والواقع ، ولكنه لا يجدي شيئا اذا اتخذ المقر بالله من عاطفته وارادته وحريته شريعة للحق والعدل .

الوجوديــة المعاصرة

وتتلخص الوجودية المعاصرة التي يتعلق الكثير من الشباب بأذيالها ــ كالآتي :

١ ــ ان كل فرد من افراد الانسان هو قلعة في نفسه ، وله أن يتصرف وكأنه هو الموجود الوحيد والشيء الماثل أمامه ، بــلا اي شيء كان قبله .. لا خالق ولا شريعة وقانون ، بل لا بشرية ، وتاريخها يتصل بحياة الانسان الموجود بالفعل من قريب أو بعيد ، لان الصدفة وحدها هي التي القت به في هذا الوجود القاء ، وتركته وحيدا فريدا لا شيء معه الا حرينه

وارادته ، فهي الحد التام لحقيقته ، والمعيار الوحيد لقيمته ، وليس ثمة أية قوة وسلطة تحرم عليه أو تحلل له تصرفا أو اعتقادا واتجاها .

٢ ــ على كل انسان أن يتحرر ويعيد النظر في المجتمع الانساني الذي يعيش فيه ، ولا يلتزم بشيء من التقاليد والعقائد والفلسفات ، لانه مطلق الحرية في اختيار ما يشاء حتى الانتحار ، ولا يؤاخذ بشيء او يسأل عما يفعل بشرط واحد ، وهو أن لا يعتدي على حرية الآخرين حرصا على حريته هو بالذات .

٣ ــ ان وجود الانسان في هــذه الحياة يرادف اليأس والخوف والقلــق والقرف والاشمئــزاز والضياع والعبث والتضخم السرطاني والنزيف وفوق ذلك من الآلام .. ولماذا كل هذه الويلات والنكبات والآفات ؟ أبدا لا لشيء الا لأن العالم وجد بلا علم ولا حكمة ولا قانون الا قانون انه لا يستطيع الا أن يوجد والا أن يفترس كل من فيه وما فيه (١) .

تساؤلات

أبدا لا أرد على الوجوديين بأن مذهبهم هذا كفر والحاد ، وان الايمان بالله يجعل لحياتنا معنى ومن وجودنا قوة ، وانه تعالى قد جعل الدنيا لما بعدها ، وابتلى فيها أهلها ليرى أيهم أحسن عملا ؟ ولا أن اقول للوجوديين : كيف وجد هذا الكون ؟

---

(١) أنظر رواية الغثيان لسارتر ص ١٤٥ وما بعدها والمذاهب الوجودية ص ١٣١ ومقال بعنوان أمراض الفكر في القرن العشرين في مجلة عالم الفكر الكويتية العدد الاول من المجلد الاول .

ومـــن نظم وأحكم ؟ بل اريد ان أتجاوز ذلك الى التسـاؤلات الآتيـــة :

اذا كان الكون والانسان والحياة عبثا في لغو وهباء وخواء . فما هي اذن حقيقة الوجودية ؟ وهل للفرع مصدر الا أصله ؟ وهل الوجودية دعوة اصلاحية او نظرة انسانية الى البائسـين والمعذبين أو نظرية علمية ينتفع بها الناس جيلا بعد جيل أو مسرحية للترفيه والتسلية أو مجرد فلتـــة مـــن اللامفهوم واللامعقول ؟ ثم اذا حررنا الانسان من سلطان العقل وكل القيم ، وعزلناه عن تاريخ البشرية وتراثها وخلالها . فهل يبقى له من كيان ووجود ؟ وأخيرا ان الحرية لا بد منها ولا غنى عنها ، ما في ذلك ريب ، ولكن لا بد للحرية أيضا من ذات تتصف بها ، والفرض انه لا شيء الا العبث والضياع ، وعليه فالحرية مجرد ضياع وخداع !.

وهكذا انكر الوجوديون كل قيمة حرصا على الحريـــة . فدمروها وقضوا عليها من حيث يريدون أو لا يريدون ، راوا الاوضاع الفاسدة والسياسة الجائرة والدعايات المضللـــة والمجازر التي افنت الملايين ، فخرجوا على كل تقليد ، وحكموا على كل نظام بأنه كذب ، وعلى كل قيمة بأنها خرافة ، وعلى كل دعاية انها مصيدة ، وقالوا : ما دام الامر كذلك ، ولا طبيب وشفاء فليكن كل فرد أمة براسه وعالما بنفسه ، يتولى أمره كيف يشاء ، ويختار مصيره كما يريد غير مكترث بشيء على الاطلاق .. فهدموا وما بنوا ، وفرقوا وما جمعوا ، بل زادوا الخرق اتساعا والنار تأججا .

المادية الجدلية

ماركس والفلسفة

قال قائل : ان ماركس ليس فيلسوفا ، بل عالما اجتماعيا . والصحيح أنه فيلسوف حاول أن يكشف عن حقيقة العالم وطبيعة الانسان وان يحل المشكلات الاجتماعية ، ولكن فلسفته تنطلق من المادة وانها هي الموجود الوحيد والواقع الأزلي الأبدي ، وان ما عداها من عقل وعاطفة واحساس ، هو من آثارها وانعكاس عنها .

وايضا كل ما في الطبيعة من حركة ونظام وتدبير هو من صنع المادة واعماقها ، ولا يمكن ان يكون من خارجها بحال من الاحوال ، وعليه فيجب ان يفسر الكون بجميع ما فيه ومن فيه تفسيرا ماديا لا عقليا ولا دينيا ، ومعنى هذا أن المادة تعي وتفسر نفسها بنفسها ، وانها هي المدرك والمدرك .

هذا ما قاله ماركس والماركسيون . ولا ادري من اين جاءهم هذا العلم ؟ هل هو من وحي عقولهم ؟ والفرض — على منطقهم — ان عقولهم صورة عن المادة الصماء العمياء ، فكيف وعت ورأت واحست ونطقت صورة الشيء الأعمى والأبكم والأصم من دونه ؟ علما بأن صورة العاقل الناطق والمبصر لا تعقل ولا تبصر ولا تنطق ، فكيف انعكس الامر في المادة ؟.

لقد اثبت العلم الحديث ان هذه المادة التي تظهر للعيان جسما صلبا كالحديد وغيره ، هي في واقعها عبارة عن ذرات تتحرك وتسير في الثانية بسرعة ٢٩٠ الف كيلو متر بالنسبة الى عالمها ، وان فيها جذبا ودفعا وحرارة وكهرباء .. هذا كل ما يعرفه علماء الطبيعة عن المادة ، اما حقيقتها فهي من الألغاز التي اعترف العلماء بالعجز عن حلها .

وسبقت الاشارة الى الرد على المذهب المادي في فصل « المادية والواقعية والمثالية » وغيره ، ولا موجب الى الاعادة والتكرار الا من باب الكلام يجر الكلام .

الجــدل الهيجلــي

يرى هيجل أن الروح او الفكر المطلق هو الأصل السابق على وجود المادة ، وهي متأخرة عنه وانعكاس له ؛ على العكس من قول ماركس بأن المادة هي الأصل والكل في الكل ؛ ويكشف هذا الفكر عن نفسه في ثلاث مراحل مـــن التغير والتطور :

الاولى تكشف عن بعض صفاته ، وقد عبّر عنها بعض الفلاسفة بالوضع ، وآخر بعنصر التفكير . والمهم ان نعلم أن الفكر الأصل والاول كان ينطوي على نقيضه ، وانه ليس واحدا في الظاهر والباطن ومن كل وجه .

المرحلة الثانية ظهور هذا الفكر المطلق الذي لا يقع تحت الحس ، في صورة الطبيعة المحسوسة الملموسة ، اي ان الفكر قد تقمص في ضده المباين له ، وبهذا يجتمع النقيضان في كائن واحد : الفكر المطلق والطبيعة .

المرحلة الثالثة هي مرحلة الدمج والتصالح بين الضدين حيث يصبح كل منهما وجهـا لشيء ثالث نتيجة التضاد والصراع .

وعلى سبيل التقريب الى الفهم نضرب مثالا بالبيضة ، فهي بوضعها الفعلي ليست دجاجة بل ضدا لها ، وكذلك الدجاجة بوضعها الفعلي ليست دجاجة بل ضدا لها ، وكذلك الدجاجة تكمن في أعماق البيضة والا يستحيل ان تخرج من البيضة اذا لم تكن هذه منطوية على تلك ، أما عملية الصراع فتتمثل في أن الدجاجة الكامنة في قلب البيضة تحاول بطبعها الخروج منها في نفس اللحظة التي تحاول البيضة بطبعها أيضا أن تحتفظ بكيانها واستمرار بقائها كما هي ، ويمتد هذا الصراع الى أن تتحول البيضة الى دجاجة تكمن فيها البيضة ، وعندئذ تتم المصالحة ، ويجتمع الشمل .

وبتعبير أجمع وابلغ « ان الديالكتيك الهيجلي يقوم على ثلاثية الموضوع ، ونقيض الموضوع ، ومركب الموضوع ونقيضه » .

واشتهر عن هيجل أنه قال : « ما هو واقعي هو عقلي ، وما هو عقلي هو واقعي » . يريد أن كل واقعة ملموسة هي داخلة في صميم الفكر والعقل ، وان بدت بعيدة عنه ، وان كل حقيقة عقلية هي واقعية ولها معنى معقول ومقبول ، وان لم يكن محسوسا وملموسا ، ولا شيء على الاطلاق من أحكام العقل وحقائقه كلام فارغ من المعنى .

ونحن مع هيجل في فلسفته التطورية ، وضده في أن العلم المطلق أو المبدأ الاول يكمن في الطبيعة ويستقر فيها بصورة من الصور ، لان الاول الذي لا أول له فوق الطبيعة ومباين

لها ، ولا صلة بينهما الا علاقـــة المسبب بالسبب والأثـــر بالمؤثر ، وللحديث عن هذا الموضوع مكان آخر .

الجـــدل الماركسي

واستغل ماركس فلسفة هيجل التطورية بعد ان جعــل عاليها سافلها حيث انتقل هيجل من الفكر الى المادة ، امـــا ماركس فقد انتقل من مادة الى مادة ، واشتهر عنه انه قال بما لفظه او معناه : « اوقف هيجل الجدل على راسه ، وانا اوقفته على رجليه » يريد بالرأس هنا المادة لانها الأصل ، وبالقدمين الفكر لانه الفرع عن المادة في منطق ماركس .

وتجدر الاشارة الى أن الديالكتيك مرادف للجدل الذي لا يراد به هنا من المناقشة ولا الحركة بانتقال الشيء من مكان الى مكان ، بل المراد بالجدل هنا الحركة بالتغير وانتقال الشيء من حالة الى ضدها كانتقال النواة الى الشجرة والبيضة الى الدجاجة ، وهذه الحركة او هذا الانتقال يعم ويشمل كل شيء « من حبة الرمل الى الشمس ومن دودة الأرض الى الانسان » على حد تعبير جارودي الماركسي في كتابه النظرية المادية في المعرفـــة .

وخلاصة المادية الجدلية عند ماركس ان المادة هي الموجود الوحيد ، ولا شيء قبلها ولا بعدها ، وكل ما يسمى عقلا وروحا وعاطفة وحياة وغريزة فهو من ثمار المادة وآثارها كما سبقت الاشارة ، أما ما في الطبيعة والمادة من تطور وتغير ونظـــام وقوانين واحكام وتدبير ، أما كل ذلك وغير ذلك فهو من صنع المادة وباطنهـــا ، وليس من خارجهـــا على أي فرض من الفروض !.

نحـــن والماديـــة الجدلية

ونحن نتفق مع منطق الجدل الذي يدعو الى نجنب الأوهام والخرافات ، وايضا نحن معه في نظرية الانتقال والتحول ، ولكن نقول : ان الشيء ينطوي عـــلى ضده بالقوة لا بالفعل بنص القرآن الكريم في الآية ٨٠ من يس : « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انتم منه توقدون » . وفي الآية ١٩ من الروم : « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت مـــن الحي » .. الى العديد من الآيات والروايات الاسلامية في هذا الباب .

وفي المجلد الاول من اسفار الملا صدرا فصل مستقل اثبت فيه أن كل اشياء الطبيعة تتجدد وتتحرك ، وان الحركـــة « عبارة عن خروج الشيء من القوة الى الفعل تدريجا » كخروج الدجاجة من البيضة . وايضا قال : « الانسان يترقى دائما وهو لا يشعر بذلك ، ونقل في هذا الفصل عن ابن العربي ان الموجودات بكاملها تتحرك دنيا وآخرة » .

ونحن وهذه المادية الجدلية على طرفي نقيض ، لانها تتخذ من المادة الها واحدا ، وبها وحدهـــا يفسر الكون بجميـــع محتوياته مـــن عقل وقصد وحريـــة وارادة وقوى واكتمال ونواميس ونظام وحكمة وتدبير !.. ونحن لا نملك اية أداة ووسيلة للادراك والمعرفة في هذا الموضوع الا بديهة العقل ، وهي تأبى وترفض نفسير الكون بنفس الكون لمجرد ان المفسر لا يعرف شيئا عن علته .

وبعد ، فقد كررنا فيما سبق ونعيد الآن كلمة فولتير : « ان فكرة وجود الله فرض ضروري ، لان الفكرة المضادة حماقات »

وهو سبحانه وراء الكون يديره ويدبره بما أودع فيه من قوانين كونية ، يسير في حدودها كل ما فيه ومـــن فيه الى الهدف المطلوب منه من الذرة الصغيرة الى المجرات الكبيرة .

الماديـــة التاريخيـــة

ولا فرق عند الماركسيين بين المادية الجدلية والتاريخية من حيث أن كلا منهما مادية مقابلة للمثالية ، وانما الفرق بينهما أن المادية الجدلية تعـــم وتشمل كـــل الظواهر بشتى أنواعها كما سبقت الاشـارة ، أما المادية التاريخية فانها تختص بالظواهر الاجتماعية ، ويردها ماركس بالكامل الى دوافع وأسباب اقتصادية خاصة ، قال في مقدمة كتابه نقد الاقتصاد السياسي : « ان كل حركة من الحركات الاجتماعية والسياسية والروحية ، تتبع نمط الانتاج الاقتصادي » . (المعجم الفلسفي للدكتور صليبا م. د. ي.) .

ونسأل ماركس واشياعه : مـــا رايهم بشهداء العقيدة والحرية ؟ هل استشهدوا في سبيل المعدة أو من أجل الايمان والكرامة ؟ وباي شيء يفسرون أريحة الجود والكرم وعاطفة الآباء والأمهات والصوفية والتصوف ؟ وفي سنة ١٩٣٦ تنازل ادوار الثامن عن عرش الامبراطورية البريطانية من أجل امراة اسمها واليس .

وفي كتاب فلاسفة الحكم للعقاد ص ١٤٨ : « الذين يقولون : ان الانسان يعمل لطلب المنفعة يجهلون أنه يقدم على الخسائر وهو عالم بها ، ويهون عليه الموت ، ولا يهون عليه فوات أمل من الآمال ، والذين يقولون ان الانسان يعمل ليعيش ينسون أن يسالوا أنفسهم : ترى لماذا يحرص على أن يعيش ؟ فما صلحت الحياة قط على علة واحدة ولا الدنيا قط على فكرة واحـــدة » .

الطبقة العاملة والراسمالية

قال ماركس : ان الصراع بين الطبقة العاملة والراسمالية حتم لا مفر منـــه ، وان الظفر بالعقبى السالمة الدائمة هي للعمال حيث سيكونون هم أنفسهم أصحاب الاموال لا محالة .. ويلاحـــظ :

١ ــ لا عين ولا اثر لهذا الصراع في العديد مـــن البلاد الراسمالية ، لان أرباب العمل استجابوا لمطالـــب العمال ، وتـــم بينهما التعايش السلمي ، وعاش العامـــل في مستوى يغبطـــه عليه عمال البـــلاد الاشتراكية .

٢ ــ ان الحق او العدل او القانون لا يملك بذاته أية قوة تمكنه من التحقيق والتنفيذ ، وانما الانتصار والغلبة لمن يملك القوة والقدرة على البقاء محقا كان أم مبطلا .. وعليه فنبوءة ماركس بأن الطبقة لا بد ان تنتصر ، وان النظام الراسمالي لا بد أن يندثر ــ مجرد امـــان وخيال .

٣ ــ ان الجدل والديالكتيك لا يتقدم دائما بالمجتمعات الى الامام والحياة الافضل فقد ترجـــع القهقرى بالانقلابات الرجعية ، ومنها اختلاف الدول الاشتراكية الذي بلغ اليوم أشده بين روسيا والصين ، ومن قبل بين تيتو وستالين ، اما الغد فهو طي الكتمان .

المال شيء وليس كل شيء

هـــذا الفصل

تحدثنا في الفصل السابق مباشرة حول المادية التاريخية ، ونقلنا عن كتاب نقد الاقتصاد السياسي لماركس أنه يرد النشاط البشري وجميع الاعمال الانسانية الى دوافع وأسباب اقتصادية خاصة ، ونحاول في هذا الفصل ان نثبت ان الاقتصاد والمال وحده لا يحل كل مشكلة تواجه الانسان ، ولا يحقق كل مــا يبتغيه من حياته ، فهناك التمتع بالصحة والامان ، والتربية السليمة ونمو الشخصية وتطورها ، وتكافؤ الفرص بين الناس والقانون العادل الذي يخضع له الحاكم والمحكوم ، ويضمن الحرية لكل الأفراد والمشاركة في توجيه وطنهــم الى خير الجميــع .

لا بــد مع الخبز مــن ادام

ومن يشك في ان الاقتصاد من أهم عناصر الحياة ومقوماتها ؟ كيف ؟ وهل للحياة غنى عن الخبز ؟ ولكن الخبز شيء وليس كل شيء .. وما من عاقل يجرؤ على القول بأن المال والانتاج يحل جميع المعضلات بشتى أجناسها وانواعها ، بل اذا تضخم وتراكم خلق لأهله عقبات وصعوبات .. فقد تقــدم العلم ووسائل الانتاج في العصر الراهــن ، وتضاعفــت المواد الاستهلاكية كما وكيفا ، فماذا كانت النتيجة ؟.

تحول الانسان الى آلة تستهلك ، واصبح عبداً لها بعد ان كانت وصيفة له ، وضاعت جميع القيم النبيلة للانسان .. كل شيء متوافر وميسور في الولايات المتحدة .. وايضا كل انواع الرذيلة والجريمة والفسوق والفساد متوافرة ومتكاثرة، وكلما زاد الانتاج والثراء في هـــذه الولايات زادت الجرائم والمآثـــم .

وايضا زاد الانتاج والاقتصاد في البلاد الاشتراكية ، ولكن اهلها يشترون الخبز بالحرية ، ودولها تتعايش بسلام مع حماة الشركات الاحتكارية العالمية ، وتتسلل من خلف هذا التعايش الى زيادة السلب والاستغلال ، واثارة الفتن والمعارك الأهلية وغير الاهلية هنا وهناك ليصفو لها الجو وتتصرف كما تشاء بلا حسيب ورقيب .

وفي المقابل لهذا التعايش والتقارب بين النظام الاشتراكي والراسمالي ، نرى التباعد والعداء اللاهب بين اكبر واعظم دولتين اشتراكيتين : روسيا والصين ! فأيـــن المبـــاديء والمقاييس ؟ وكيف صار العدو المشترك صديقا ، والصديق عدوا ؟. الصين تلتصق بالولايـــات المتحدة قائدة الاستعمار الحديث ، وتلتقي معها على صعيد واحـــد ، وتبتعد عـــن الروس .. وهؤلاء يتعايشون مع الامركيين من دون الصين !.

وفي تصوري ان هذه الجريمة الاشتراكية الروسية الصينية تعادل كل الجرائم مجتمعة ، وتتضاءل أمامها جرائم البلاد الرأسمالية بالكامل .. واذا لم تكن هذه الرذائل والويلات في بلاد النظامين من نتاج المال ونمو الاقتصاد شيئاً — فان هذا النمو لم يغن عن الموبقات والمشكلات التي يعانيها الفريقان — .

مقياس الحضـــارة

نشرت جريدة الاهرام المصرية في عددها الصادر بتاريخ ١٩٧٤/٤/١٢ مقالا بهذا العنوان . ولا يريد الكاتـب بكلمة الحضارة هنا مجرد التقدم في التصنيع واختراع الآلات وتشييد القصور والحدائق وشق الطرقات ، بل والثقافة والوعي ومكارم الأخلاق والحياة الوادعة الهادئة ، كما اشرنا في الفقرة الاولى ، وكل محتويات المقال تدخل في صلب الموضوع الذي نحن بصدده .

منها أن جماعة من ذوي الكفاءة والاختصاص اجتمعوا سنة ١٩٧٤ وبحثوا عن معيار يقيسون به الامم تقدما وتخلفا ، وانتهوا الى أن المجتمع الانساني لا يحيا حياة العزة والكرامة بالاقتصاد والدخل وحده ، بل لا بد مع ذلك مـــن التعاضد والتعاون بين جميع افراده وفئاته على ما فيه خير وصلاح لكل المواطنين من غير فرق بين انسان وانسان .

وكان من جملة ما قاله أولئك العلماء الباحثون : ان دخل افراد المجتمع قد يتغير من حين الى حين ، فهل يدل هـــذا التغير على تغير حياة المجتمع في تقاليده وعاداته ؟. وايضا قد يختلف دخل الفرد ويتفاوت بين بلد وبلد ، فهـــل يكون التفاوت بينهما في الحياة الكريمة بمقدار التفاوت في الدخل والاقتصاد ؟.

لقد جرت مقارنة احصائية سنة ١٩٧٣ بين عدد مـــن البلدان ، فكان دخل السويد أعلى مستوى من الولايـــات المتحدة ، وبعدهما جاءت كنـــدا ، فسويسرا ، ففرنسا ، فالدنمارك ، فالمانيا الغربية الخ . ثم هبط الدخل في بعض هذه البلاد ، وارتفع في بعضها الآخر ، ولكن الدين والاخلاق

والآداب بقيت على ما كانت دون تقليم أو تطعيم ، ومعنى هذا أن الصلة والعلاقة بين الحياة المادية والحياة المعنوية ، ليست كعلاقة المعلول بعلته التامة ، والمقدمات الكافية الوافية بنتيجتها الحتمية كما يدعي ماركس والماركسيون .

الاسلام بين اليمين واليسار

يدعي اليمينيون انهم أنصار الحرية ، وعلى هذا الاساس اختاروا النظام الراسمالي ، ويدعي اليساريون أنهم انصار العدل ، ومن أجله حبذوا النظام الاشتراكي ، والاسلام يجمع بين الحرية والعدالة ، ومن هنا اقر العدالة الاجتماعية ، واليها أشار الرسول الأعظم (ص) بقوله : كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته .. المؤمنون كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الاعضاء .

وبما أن التقسيم الى اليسار واليمين يقوم على اساس حرية التصرف في كسب المال وامتلاكه وادخاره أو عدم هذه الحرية — نشير الى أن الاسلام يحترم الملكية تماما كما يحترم الدماء ، قال الرسول الاعظم (ص) : « دماؤكم واموالكم عليكم حرام » ولكن الاسلام ينظر الى المال على انه وسيلة لسد الحاجات الضرورية والكمالية ، وما زاد فهو اسراف وتبذير محرم لقوله تعالى : « ولا تبذروا تبذيرا ان المبذرين كانوا أخوان الشياطين — ٢٧ الاسراء » .

وأيضا حرم الاسلام الاستغلال والاحتكار وقال : « من احتكر طعاما يريد به الغلاء فقد برىء من الله ، وبرىء الله منه » . وأحل الاسلام الامتلاك وادخار الفائض من المال لتأمين الحياة في المستقبل البعيد ، قال رسول الله (ص) : « اعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا » .

والشرط الاساس في الملكية أن تكون من حــل لا من غصب أو غش او ربا ، لانه امتلاك بلا مقابل ، أما شرط الادخار فهو اداء الواجب المالي كالخمس والزكاة .

والنتيجة الحتمية لهذه التعاليم الاسلامية وغيرها ، أن الاسلام يرفض النظام الراسمالي الذي يستغل ويحتكــر ، وأيضا يرفض النظام الاشتراكي ، لانه يلغي حرية الفرد ، ويجرده من انسانيته ، وهذا عين الجور والعدوان .

ويقف الاسلام موقفا وسطا : لا اشتراكية تسحق الفرد ، ولا راسمالية تستغل وتقسم الناس الى طبقات على اساس المال والعيش ، بل تكافل وتضامن بين الفرد والجماعة ، هي مسؤولة عنه ، وهو مسؤول عنهــا ، وبهذا يتم الجمع بين العــدل والحريــة ، ويمكــن التعبير عن ذلك بالعدالــة الاجتماعية (١) .

وبهذه المناسبة نشير الى ما قالــه الفيلسوف الانكليزي الشهير رسل في كتاب المجتمع البشري ترجمة عبد الكريم احمد ص ١٩٢ :

« اعترف بأني افضل ان أرى العالم كله مسيحيا على ان اراه ماركسيا ، فانا أعرف الايمان الماركسي اكثر مــن اي ايمان آخر .. ولكن لست مستعدا بأي حال من الاحوال ان اقبل بوجهة نظر من يرى التماسك الاجتماعي مستحيلا » .

---

(١) قرأت في صحف ١٩٧٧/٩/٢٥ أن نقص الغذاء يهدد فقراء العالم ، والولايات المتحدة ترفض زراعة ٦٠ مليون فدان ، وتدفع تعويضات للمزارعين لتحافظ على ارتفاع الاسعار ، ولو اخذت بنظام العدالة الاجتماعية حقا وواقعا لشجعت الزراعــة .

ومعنى كلام رجل هـذا انه يفضل ان يسود التماسك الاجتماعي بين الناس على ان تسود المسيحية ، لان المسيحيين متعصبون ، بدليل قوله في ص ١٩٣ : « في المعارك الاولى بين المسيحية والاسلام كان المسيحيون هم المتعصبين ، والمسلمون هم المنتصرين ، وقد اخترعت الدعاية المسيحية قصصا عن التعصب الاسلامي ، ولكنها جميعا كاذبة .. فقد تعلم كل مسيحي قصة الخليفة الذي دمر مكتبة الاسكندرية ، وفي الواقع لقد دُمرت هذه المكتبة مرارا ، وكان اول من دمرها هو يوليوس قيصر .. وقد تسامح المسلمون على نقيض المسيحيين مع اهل الكتاب .. وهذا ما سهل عليهم فتوحات كثيرة » .

يريد بقصة الخليفة ان المبشرين ضد الاسلام من المسيحيين قد نسبوا زورا وبهتانا الى عمر بن الخطاب حرق مكتبة الاسكندرية مع العلم بأن أول من أحرقها قيصر المسيحي . وفي كتاب الاسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده أن أول من احرقها قيصر ، ومن بعده بطريرك الاسكندرية بقصد اثارة الفتنة والثورة ، ومن بعده تيوفيل المسيحي ، ثم أتى على البقية سيريل !. وهكذا يرتكبون اكبر الجرائم ضد العلم والانسانية ، وينسبونها الى المسلمين حقدا وتعصبا .

المنهج المتبع
في الرياضيات والطبيعيات والفلسفة

المنهـــج

والمراد بالمنهج هنا الطريقة المتبعة في دراسة الموضوع ، وهو يتعدد ويتنوع تبعا لتعدد العلم وتنوعه ، وبكلمة منهج كل علم او موضوع بحسبه . وقيل : ينبغي أن تبحث كل العلوم باسلوب واحد وهو الحس والتجربة تماما كالعلوم الطبيعية !. وهذا القول يحجر على العقل أن يترجم عن نفسه ، ويسد باب العلم الا المادي الالحادي .

منهج العلوم الرياضية

ليست الرياضيات علما تجريبيا يفتقر الى مختبرات وآلات، وانما هي علم عقلي مثل « ١ + ١ = ٢ » والرياضيات تعم وتشمل الحساب والجبر والهندسة والفلك والميكانيك وهو علم يدرس الزمن والحركة والقوة .

وقال أصحاب المذهب العقلي : ان الحقائق الرياضية هي من ابداع العقل وحده ، ولا تستند الى اذن او عين أو اية قوة خارجة عن الذات .

وقـــال اصحاب المذهـــب الحسي التجريبي : ان المعاني الرياضية منتزعة من صورة الأشياء المادية المحسوسة ، ترى

العين هذا وذاك ماثلين امامها ، فينتزع العقل الاثنينية منهما مجتمعين مع ان هذه الاثنينية غير موجودة في الخارج وجودا مستقلا .

وسبقت الاشارة ان للعقل احكاما فطرية مستقلة ، وأحكاما اخرى هي نتيجة التفاعل بينه وبين ما تراه العين من اشياء الطبيعة . وعلى اية حال فان المنهج الرياضي هو استنباط عقلي لحقيقة من حقيقة سابقة عليها كالمثال السابق والآتي في الفقرة التالية .

الاستدلال الرياضي والقياس المنطقي

الاستدلال الرياضي صادق ابدا ودائما حتما وبالضرورة ، ويستحيل الكذب في حقه ، لان النتيجة تنبع وتتبع مقدمة واحدة تنطوي على نفس النتيجة مثل « المتساويان لثالث متساويان » فالمقدمة : المتساويان لثالث ، والنتيجة : متساويان .

اما نتيجة القياس المنطقي فانها تصدر من مقدمتين أو أكثر ، ولا تصدق على كل حال ، بل تدور مدار مقدماتها صدقا أو كذبا ، ومثال الصادقة : سقراط انسان ، وكل انسان فان ، فسقراط فان . ومثال الكاذبة : سقراط فيلسوف ، وكل فيلسوف يعيش مئة سنة ، فسقراط عاش مئة سنة .

منهج الطبيعيات

تخضع الطبيعيات بشتى أنواعها للملاحظة والتجربة ، وهذا هو السبب الأساس لحاجتها الى المختبرات والآلات على عكس الرياضيات ، وقسموا العلوم الطبيعية الى قسمين اساسيين :

١ ـ العلوم الفيزيائية والكيمائية ، وتبحث في ظواهر المادة الجامدة فقط .

٢ ـ العلوم الحيوية ، وتبحث في الكائنات الحية وتطورها .

ويدخل في كل من هذين القسمين علوم فرعية ومختلفة ، تدرس في الجامعات ، وقد ينسخ بعضها ويُصبح في خبر كان حيث تغني عنه علوم جديدة لم تكن في الحسبان ، فقد أثبت العلم الحديث أن الكون آخذ في التوسع بسرعة فائقة ، ونص القرآن الكريم على ذلك بصراحة ووضوح في الآية ٤٧ من الذاريات : « والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » .

واخيرا فان منهج الطبيعيات هو الحس والتجربة والفرض عندما يكون السبب غير واضح . (انظر فصل المنهج العلمي في الاسلام من هذا الكتاب ، فقرة ضرورة الفرض) . وزيادة في التوضيح نجمل فيما يلي وجه الفرق بين المنهج الرياضي والطبيعي .

بين المنهج الرياضي والطبيعي

مما تقدم يتبين معنا ان المنهج الرياضي لا يشترط فيه شيء سوى اتساق الفكر مع نفسه بغض النظر عن الواقع ، وانه لا داعي الى الاستقراء وتكرار الأمثلة للاختبار والتثبت ، لان القضايا الرياضية قطعية وتحليلية ، تحمل صدقها في صلب تكوينها ، ولا تقبل شكا ولا نقدا باية حال ، واي عاقل يشك ان المثلث له ثلاثة اضلاع ، وان الواحد نصف الاثنين ؟.

اما القضايا الطبيعية فصدقها مرهون بموافقتها للواقع

المستقل عنها والخارج من حدودها مثل هذه النبتة فيها مادة سلمة حيث لا شيء يدل على الصدق أو الكذب الا التجربة والاختبار ، ومن هنا اتفق العلماء على ان الحقيقة الطبيعية لا تثبت الا اذا توافرت فيها الشروط التالية :

١ ــ الملاحظة والتجربة .

٢ ــ تكرار التجربة على عدد غير قليل من الأفراد .

٣ ــ ان تكون نتيجة التجربة واحدة .

٤ ــ استنتاج الحقيقة الطبيعية بشرط أن يكون عمومها وشمولها لكل فرد على سبيل الرجحان لا على سبيل الجزم والقطع اذ من الجائز ان لا يكون جميع الأفراد على نسق واحد .

الفلسفة منهج المناهج

لا احد يشك في أن العلوم الرياضية والطبيعية هي الاساس والمقياس لنمو الحياة وتطورها نحو الرقي والرخاء ، فقد كان للعلم وما زال تأثيره العميق في حياة الانسان المادية والاجتماعية والثقافية ، بل يستحيل العيش في عصرنا الراهن بدون العلم .

أما الفلسفة فقد حامت الشكوك حولها حتى قيل : هي من لغو الحديث ، وقال آخر : انها تعقد الواضحات ، وتعجز عن حل المشكلات . وتقدم مثل هذا القول مع نقده ورده في فصل الوضعية المنطقية فقرة فلسفة التحليل . وقال رسل في كتاب الفلسفة بنظرة علمية (الفصل الاول) ما نصه بالحرف :

« هناك طائفة من المشكلات يجد الناس في بحثها لذة ، ومع ذلك هي ليست مما تبحثه العلوم في يومنا الحاضر ، وهي مشكلات تتميز كلها بانها تثير الشك فيما يقع عند عامة الناس موقع التسليم ، فاذا أردت ازالة هذه الشكوك ، لم يكن لك بد من دراسة خاصة هي التي نطلق عليها اسم الفلسفة » .

ومعنى هذا الكلام أن اي شيء لا يمت بصلة الى العلوم الطبيعية والرياضية لا ينبغي الخوض فيه بحال ، ولكن الناس يجدون متعة في الحديث عما وراء الطبيعة ومصير الانسان بعد الموت والتوفيق بين العقل والوحي ، وما الى ذلك مما تبحثه الفلسفة ، فأوجدوها للكلام عن هذه الامور والا فهي كلام فارغ عند رسل ، لانه من انصار الوضعية المنطقية التي لا تؤمن بوجود شيء اطلاقا الا اذا لمسته اليد او رأته العين . (انظر فصل الوضعية المنطقية من هذا الكتاب) .

وقرأت للفلسفة العديد من التعريفات ، وخلاصة كل ما قيل او يمكن ان يقال في تعريفها ان الفلسفة هي العلم العقلي المنظم الذي يبحث عن الدعائم الاولى للمعرفة أيا كان نوعها ، وعلى ذلك تكون الفلسفة هي المنهج والتخطيط العقلي لكــل تفكير قويم علما كان أو منهجا أو اي شيء لا غنى له عن التعقل والتكامل ، وعلى ذلك فلا منهج للفلسفة لانها هي المبدأ الاول لكل منهج ، وما عداها من المناهج مجرد فروع عنها ، ولو كان لها منهج لكان هو الاسبق في التفكير والتعقل ، وذلك خلاف الفرض .

ويدعم هذا ويؤكده قول الفيلسوف الانكليزي سبنسر : ان حظيرة الفلسفة تعم وتشمل الآلة والطبيعة والانسان .. فهي تجمع هذه الحقائق وتكملها .. وقد شبه بعضهم العلم بنهر يجري في أرض مستوية واضحة ، ولكنه مجهول المنبع والمصب،

والفلسفة هي التي تكشف عن منابع العلم ، وتجلو لنا الغامض من نتائجه » .

بين المعرفة الفلسفية والعلمية

وذكر احد الفلاسفة ثلاثة وجوه للفرق بين المعرفة الفلسفية والعلمية ، نختم بها هذا الفصل .

١ ـ ان المعرفة الفلسفية لا تقتصر على دراسة الظواهر، بل تغوص على الحقائق العميقة ، فتبحث في الوجود والجوهر ، وتبتغي الوصول الى الحقائق المطلقة .

٢ ـ المعرفة العلمية تكتفي بدراسة الاسباب المباشرة ، أما المعرفة الفلسفية فتبحث عن الاسباب القصوى والمبادىء الاولى .

٣ ـ المعرفة الفلسفية اكثر تعميما من المعرفة العلمية . ولكنها تتفق بكاملها على أن اهم مميزات الفلسفة وخصائصها عن الحقيقة على قدر الطاقة العاقلة من الانسان ، وهذه الطاقة والقدرة هي المصدر والاساس لكل ما يقتنع به الفيلسوف من حقائق . وعليه يسوغ لك أن تسمي هذه القدرة العقلية منهجا عاما تندرج تحته كل المناهج أيا كان نوعها .

السبب والمسبب

معنى السببية واقسامها

توجد السببية وتتحقق بين شيئين اذا كان بينهما علاقة ضرورية تستدعي وجود أحدهما عند وجود الآخر ، وتنقسم السببية الى أقسام تبعا لنوع الموضوع وطبيعته ، واليك البيان :

١ ــ السببية العقلية ، وهي التي يدركها العقل تلقائيا وبلا معونة الحس والتجربة كالتلازم والتلاحم بين وجود البناء ووجود الباني ، والجناية والجاني (١) .

٢ ــ السببية الانسانية أو الارادية ، قل ما شئت ، وهي العلاقة بين السبب والمسبب اختيارية كالتلازم بين أفعال الانسان والرغبة فيها والدافع اليها .

٣ ــ السببية الطبيعية البديهية التي لا تفتقر معرفتها الى الحس والتجربة كالثمرة على الشجرة والجريان في الماء ، فكلنا يعلم بالبديهة ان الماء يجري بطبعه ، وان الشجرة الحية النامية تورق وتزهر وتثمر آليا وطبيعيا .

---

(١) في نهج البلاغة « بالايمان يستدل على الصالحات ، وبالصالحات يستدل على الايمان » والايمان هنا سبب ، والصالحات مسبب ، والقدامى يسمون الاستدلال بالسبب على المسبب البرهان اللمي من (لم) والاستدلال بالمسبب على السبب البرهان الاني من (ان) المشددة والمراد بها الثبوت والوجود .

وهذه الاقسام الثلاثة ليست محلا للشك حتى تثير التساؤل والجدل .

٤ ــ السببية الطبيعية النظرية التي تحتاج الى الامتحان والخبرة الحسية .. وأنكر هذه السببية العديد من فلاسفة العصر الراهن تبعا للفيلسوف المثالي الانكليزي الذي قال : « لا يمكن أن نستخلص وجود علاقة بين العلة والمعلول بالحدس أو بالتحليل أو بالبرهان ، فاذا سبقت ظاهرة ظاهرة أخرى فلا يمكن أن نستخلص ان الاولى علة والثانية معلول ، وحتى اشد الأحداث تكرارا لا تعطينا معرفة بقوة خفية ــ يريد العلاقة العلية ــ بها يسبق الشيء الشيء الآخر » .

ومثل أنصار هيوم للتتابع والتقارن بين ظاهرتين ، بهبوب الريح يتبعه اضطراب أمواج البحر واقتلاع الشجر ، ان نك الريح عاصفة ، وايضا مثلوا بتمدد المعدن بالحرارة ، وما الى ذلك من الاحداث المتلاصقة المتجاورة في اطراد مستمر .. وقالوا : لا داعي لافتراض العلاقة السببية في شيء من ذلك ، وانما نشأت فكرة السببية من العادة ورؤية الاقتران المطرد لا من نفس الواقع ولا من الفطرة وبديهة العقل تماما كما نشأت فكرة دوران الشمس حول الارض من مجرد الرؤية علما بأن الارض هي التي تدور حول الشمس .

الدليل العليل والاجابة عنه

واستدلوا على ذلك بأنهم يشاهدون شيئا يسمى قوة او علاقة بين الظاهرتين ، وكل الذي رأوا ولاحظوا هو اقترانهما في الوجود ، واقتران الاشياء المحسوسة شيء ، والقوة

والعلاقة التي لا تمتد اليها الخبرة الحسية شيء آخر ، اجل لا بأس بالقول : ان في أعماق الطبيعة قوانين تربط وتلصق حادثة بأخرى في عالم الخارج المحسوس لا في عالم العقل والادراك بحيث يكون هناك قاعدة كلية وقبلية تقول : لكل حادثة سبب . ابدا لا شيء فطري وغريزي من هذا النظير ، لان العقل يمكنه أن يتصور وجود الشيء بلا سبب موجب !.

الجواب :

١ — ان الوجود لا ينحصر بما يقع تحت الحواس . فكم في انفسنا وفي الآفاق أشياء وقوى هي فوق الحس ، نؤمن بوجودها عن طريق العلم بآثارها وثمارها المحسوسة الملموسة ، وسبق القول في ذلك مفصلا .

٢ — ان العقل يدرك بصورة فطرية وقبلية مستقلة عن الحس والتجربة — ان لكل حادثة سببا ، وان الممكن ما لم يجب ما لم يوجد ، يدرك العقل ذلك كمبدأ عام ونظري مجرد ، ثم يأتي دور التطبيق بعد الملاحظة والتجربة التي نكتشف بواسطتها وجود العلاقة السببية بين الحادثتين المتشابكتين ، وانهما من افراد ذاك المبدأ العام .

ومن يرفض هذا المبدأ فانه يقع لا محالة في مشكلة الصدفة المستحيلة حيث لا فرض ثالث هناك .

الهندي والارض

في كتاب الفلسفة بنظرة علمية لرسل ترجمة زكي نجيب محمود ص ١٠٢ ، ما نصه بالحرف : « اننا لا نلاحظ الا الاحداث في تتابعها المطرد ، ومن اطراد التتابع تتألف القوانين الطبيعية ، أما لماذا كانت هذه القوانين فشيء لا يأتي عن طريق

الخبرة الحسية ، ولو حاولنا تعليل القوانين لاحتاج التعليل الى تعليل ، وهكذا الى ثالث وهلم جرا ، وعندئذ نكون كالهندي الذي سأل : لماذا لا تسقط الأرض ؟ واجاب نفسه بقوله : لأنها تستند الى فيل ، ثم سأل مرة اخرى : ولماذا لا يسقط الفيل ؟ واجاب نفسه : لانه يستند الى سلحفاة ، ولكنه سأل لماذا لا تسقط السلحفاة ؟ فأخذته الربكة وقال : انه قد مل البحث ولا يريد المضي فيه » .

اجل لقد عجز هذا الهندي عن المعرفة والادراك بأن الارض تدور في فلكها بفعل الجاذبية ، ولكن هل يسوغ لعاقل ان يتخذ من عجز الهندي دليلا على نفي الجاذبية ؟ أن العالم بحق اذا بحث عن شيء ولم يحط به علما يسأل من هو أدرى واعلم ، ولا يتخذ من جهله دليلا على النفي ، ويقول العلم والمحققون من العلماء : ان الاستقراء شاهد عادل وفاحص ، وانه أصل اصيل لكل قانون من قوانين الطبيعة ، وكلنا يعلم أن أهم ما يمتاز به القانون الطبيعي امران : الاول ان يسقط ما هو خاص من جوانب الموضوع ، ويستبقى ما هو عام منه . الأمر الثاني ان يكون على سبيل الحتم والجزم ، ولن يكون كذلك الا على اساس وجود العلاقة السببية ومبدأ العلية حيث لا شيء سواه الا الصدفة وهي مستحيلة كما أشرنا .

وتسأل : واية جدوى من هذا الكلام والخلاف مـــا دام الاتفاق قائما بين الجميع على تلازم الظاهرتين أبدا ودائما ؟ وهل من ضرورة الى التعليل والتحليل ؟.

الجواب :

ان ثمرة الخلاف هنا مهمة وخطيرة جدا ، لانه لولا مبدأ العلية والعلاقة السببية لانسد العلم بالقوانـــين والقواعد

الكلية ، وتعذر التنبوء باي شيء ، ومعنى هذا انسداد باب العلوم من الاســاس حيث لا علم بلا قوانين ومبادىء عامــة ، وفوق ذلك تتعذر اقامة الدليل على وجود الخالق ، لانه ، وهذي هي الحال ، لا نستطيع أن نثبت وجود قوة وراء الطبيعة تكون علة لوجودها وتدبيرها : « يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ــ ٣٢ التوبــة » .

الفلسفة القرآنية

دعـوة القـرآن

القرآن كتاب الله الى عباده ، يدعوهم فيه أن يستقيموا على صراط الحق والعدل فيما يقولون ويتصرفون ، ويبشر من اطاع بالخير والثواب ، وينذر العاصي بالشر والعقاب .. فان تجاوز القرآن ذلك فالى ما فيه مثل وعبرة لمن يتذكر او يخشى ، والى هذا أشار سبحانه بقوله : « ويضرب اللـــه الامثال للناس لعلهم ينذكرون ـــ ٢٥ ابراهيم .. وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ـــ ٢٣ العنكبوت » .

ومن هذه الامثال ما يصلح مادة لعلم التاريخ وآثار الامم الماضية ، أو للجغرافيا والفلك ، او لعلم الطبيعة والاخلاق او التشريع وما اشبه ، ومنها ما يصلح مادة للفلسفة كالبحث عما وراء الطبيعة وسبب الخلق وصفات الخالق ، ومصادر المعرفة ومكانة العلم والعقل وحرية الانسان وعلاقته بخالقه ومصيره بعد موته .. الى غير ذلك .

وفيما يلي نعرض طرفا من هذه المواضيع التي تبحث في كتب الفلسفة ، ونفسرها تفسيرا يستقيم مع ظاهر القرآن ومبادئـــه .

علم الكلام لا يكفي

في سنة ١٩٧٦ درّست في دار التبليغ بقم فلسفة الاخلاق

في الاسلام والفقه على المذاهب الخمسة ، وفي ذات ليلة دعاني أحد التجار بطهران الى العشاء ، فأجبته على غير علم مني بأسباب الدعوة ، ولدى وصولي الى بيته رأيت ثلة حملة الشهادات العالية ، وما استقر بي الجلوس حتى وجهوا اليّ انواعا من الأسئلة ، واستمر السؤال والجواب من الساعة السابعة مساء الى الواحدة والنصف .

وكان من بينها هذا السؤال : ما رأيك في الكتب التي تتحدث عن الفلسفة الاسلامية ؟ هل تمثل هذه الفلسفة حقا وصدقا ؟

قلت : لا بد اولا من تحديد معنى الفلسفة الاسلامية : هل المراد بها مجرد الدعم والتبرير للديانة الاسلامية والدفاع عنها بمنطق العقل ، او ان المراد الهدف العام الذي تقاس به جميع قيم الاسلام وتعاليمه دون استثناء ؟ فان اريد المعنى الاول فعلم الكلام الاسلامي يؤدي هذا الغرض ، ما في ذلك ريب ، وان اريد المعنى الثاني فعلم الكلام لا يفي بذلك ، لانه يحامي عن العقيدة وكفى ، ومن هنا سمي بعلم التوحيد ايضا .

الفلسفة القرآنية

ان القرآن بعقيدته وشريعته وجميع مبادئه وتعاليمه ، يدفع بالحياة البشرية الى الامام ، ويوجه الانسان الى العمل من اجل حياة طيبة دائمة حتى كانه يعيش ابدا ، قال سبحانه : « يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ــ ٢٤ الانفال » . واستنادا الى هذه الآية يسوغ لنا ان نحدد الاسلام بأنه دين الحياة ، ولا نزيد ، وأيضا قال سبحانه : «ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ــ اي لحياة افضل ــ ٩ الاسراء » وأيضا قال : « فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها ــ ٣٠ الروم » .

وكل انسان مطبوع ومفطور على حب الحياة الافضل والاكمل ، وقد زوده سبحانه بكل المواهب والطاقات والادوات التي تعينه على تحقيق آماله وغاياته القصوى حتى ولو شاء الصعود الى القمر والمريخ ، وقرات من جملة ما قرات : « لو تعلقت همة بني آدم بما وراء العرش لنالته » . فاذا اهمل وتكاسل فلا يلومن الا نفسه « وما ظلمناهم ولكن أنفسهم كانوا يظلمون ــ ١٨ النمل » .

وخلاصة ما نستفيده من هذه الآيات ونظائرها أن الفلسفة او التربية القرآنية تهتم بحياة الانسان حاضره ومستقبله اهتماما يكفل له سد حاجاته المادية والروحية بحيث لو طبق الاسلام كما اراد الله ورسوله لكانت النتيجة لمصلحة العالم كله دعة وأمنا .. ابدا حياة بلا مشكلات وويلات . وعن درس وعلم قال الشاعر الفيلسوف الالماني غوته الذي اثرت آراؤه تأثيرا بالغا في تطور الفكر الاوروبي : « اذا كان هذا هو الاسلام ، أفلا نكون كلنا مسلمين ؟ » .

وغريبة الغرائب ان يقول هذا مسيحي الماني ، ويقول معمم اعجم : الاسلام غيب في غيب !. لقد سبق الاسلام دعوات كثيرة في تاريخ الاديان ، ولكنها جاءت وانتهت دون أن تغرس في الأذهان فكرة انسانية عامة حتى جاءت رسالة محمد (ص) فقامت بهذه المهمة على الوجه الاكمل ، ومن هنا ختمت النبوة بسيد الأنبياء .

الفلسفة القرآنية واقعية لا مثالية

قال أنصار المثالية : ان الفكرة تسبق الواقع ، وان العالم ليس الا امتدادا لما يدور في ادمغتنا ، وقال الواقعيون : العكس

هو الصحيح اي أن الواقع يسبق الفكرة ، وان ادمغتنا ليست سوى امتداد للعالم الخارجي المستقل بذاته ، وهذا عين ما نطق به القرآن : « ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ــ ١١٦ الانعام .. ان الظن لا يغني عن الحق شيئا ــ ٣٦ يونس » أي ان الحق والواقع مستقل عن الفكرة ، وهي انعكاس عنه ، فان كانت مطابقة له فهي صادقة والا فهي تخمين وتضليل .

وليس معنى هذا أن العقل يعجز عن استجلاء الحق والواقع ، كيف ؟ وقد حث القرآن على الأخذ بــه ، وشبه المقلدين بالانعام حيث قال : « ان هم الا كالأنعام بل هم اضل سبيلا ــ ٤٤ الفرقان » ــ بل المراد ان الموجودات الخارجية مستقلة في وجودها عن العقل والادراك ، وان العقل طريق من طرق العلم بالواقع ، ومــن أوضح البديهيات أن الواقع شيء ، وطريق العلم به شيء آخر .

القرآن ومصادر المعرفــة

المعرفة انعكاس الواقع في الفكر الانساني ــ كما قيل ــ وكثير من الفلاسفة يعتبرون العمل والممارسة جزءا لا يتجزا من العلم والمعرفة ، وكلام الامام أمير المؤمنين (ع) يوحي بذلك حيث يقول : « العلم يهتف بالعمل ، فان اجابه والا ارتحل عنه » . ومصدر المعرفة : الطريق المؤدي اليها .

ويعتقد الماديون انه لا طريق الى الصدق والمعرفة الا الحس والتجربة ، وانه لا يمكن الوصول الى الواقع بالاستدلال العقلي السابق على التجربة بأية حال حيث لا اثر ولا عين الا لما يقع تحت الحواس . وقال المثاليون : لا طريق الى المعرفة الا العقل وحده حيث لا وجود لأي كائن الا في رؤوسنا ما دمنا لا نستطيع

العلم بشيء الا اذا تحول الى صورة في العقل . وسبق الكلام عن ذلك في فصل المادية والواقعية والمثالية .

اما القرآن الكريم فيقسم مصادر المعرفة الى ثلاثة اقسام : العقل ، والتجربة والوحي ، لأن للانسان عينا ترى وعقلا يدرك ، وفوق كل شيء عليم بكل شيء ، وقد جمع الاقسام الثلاثة في آية واحدة : « ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ـــ ٨ الحج » . فالعلم اشارة الى الملاحظة والتجربة ، والهدى الى العقل ، والمراد بالكتاب المنير الوحي ، والعقل يصحح أخطاء الحس ، والوحي يرشد العقل الى ما غاب عنه ، لأن عقول الناس متفاوتة ، وحكم الوحي هو العدل والفصل .

مصادر العقيدة الاسلامية

اصول العقيدة الاسلامية ثلاثة : الايمان بالله ورسوله محمد واليوم الآخر ، والايمان مأخوذ من الامانة ، ومن ذلك قولهم : الايمان أمانة ، ولا دين لمن لا امانة له . وجاء في الموسوعة الفلسفية السوفياتية ما نصه بالحرف الواحد : « الايمان ادراك شيء ما على انه صادق دون برهان ، والاعتقاد الأعمى جزء جوهري من أي دين ، وبهذا المعنى لا يوجد اختلاف بين الايمان والخرافة ، ويقف الايمان الديني على طرفي نقيض مع المعرفة » !.

بل هذا التعميم لكل دين وايمان لا يستند الى برهان ، بل ويقف مع الواقع على طرفي نقيض (١) فمن استقرأ القرآن يجد العديد من آياته تندد بالجهل والتقليد والتعصب ، وتحث

---

(١) انظر فصل فلسفة الاديان السماوية من هذا الكتاب .

على اتباع العقل وطلب العلم ، وتعده فريضة ، وترفع العلماء درجات . واي عاقل يتصور ان يرفع العدو من شأن عدوه ؟.

وايضا تحدى القرآن خصومه بقوله : « هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » وكرر هذا التحدي في العديد من السور والآيات ، وذم القائلين بغير علم ، وقال لهم من جملة ما قال : « فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم — ٦٦ آل عمران » . وسبق الكلام حول الآية ٢٨ من فاطر : « انما يخشى الله من عباده العلماء » حيث ربطت الخشية منه تعالى بمعرفته ، وقال الامام امير المؤمنين (ع) : « اول الدين معرفته » جل وعز ، وذهب أكثر علمائنا الى ان التقليد في أصول الدين غير مقبول وان طابق الواقع مع القدرة على التعلم ، ونحن على خلاف هذا الرأي . وأخيرا ، فهل دين الاسلام بلا برهان ، او قول الموسوعة السوفياتية زور وبهتان ؟.

ونعود الى عقيدة الاسلام ومصادرها وهي العقل والحس والوحي كما اشرنا في فقرة القرآن ومصادر المعرفة ، ولكن على التفصيل الآتي :

١ — ذكر سبحانه في كتابه ان الطريق الى وجوب الايمان به هو النظر الى الكون في جملته حيث يرى العاقل فيه وفي موجوداته أثر الصنعة والترتيب المقصود تماما كما قال ، عز من قائل : «وخلق كل شيء فقدره تقديرا — ٢ الفرقان » . والصنعة تدل على وجود الصانع بحكم العقل وبديهته ، ويتألف هذا الدليل من الاستقراء الحسي والاستنباط العقلي معا ، وعليه يكون الايمان بالله نتيجة يقينية بل وضرورية تماما كالنتيجة الرياضية مع فارق واحد هو ان النتيجة الرياضية تعتمد على العقل وحده ، ولا تستعين بالحس ، اما الايمان بالله فانه يستند الى

العقل والحس معا . ومعنى هذا ان دليل الايمان بالله حجة قائمة ولازمة على منطق المثاليين لمكان العقل وعلى منطق الماديين لمكان الحس والملاحظة .

٢ ــ وذكر سبحانه في كتابـــه ان الدليل على الايمان بالتوحيد ونفي الشرك هو بديهة العقل وحكمه آليا بأن فساد اللازم يدل على فساد الملزوم ، واشار سبحانه الى ذلك في الآية ٢٢ من سورة الانبياء :
« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » .

وقلنا في تفسيرها : اي لو كان في السماء والارض آلهة سوى الله لما استقامتا اطلاقا ولفسد من فيهما وما فيهما ، وذلك انه لو وجد الهان لكان كل منهما قادرا بحكم كونه الها، ومن شأن القادر أن يكون مريدا ضد ما يريده الآخر ، وعليه فاذا أراد أحدهما خلق شيء ، وأراد الآخر خلافه ، فاما ان يوجد مرادهما معا ، فيلزم ان يكون الشيء الواحـــد موجودا في الخارج وغير موجود في آن واحد ، وهو محال ، واما ان يوجد مراد أحدهما دون الآخر ، وعليه يكون هذا الآخر عاجزا ومغلوبا على أمره ! والعاجز لا يكون الهـــا .

وبكلام آخر : لو وجد الهان فاما أن يكون أحدهما قادرا على تدبير العالم ، واما ان لا يكون كذلك ، فان كان قادرا كان وجود الثاني عبثا ولزوم ما لا يلزم ، وان لم يكن قادرا فلا يصلح للألوهية لعجزه من جهة ، وعدم الفائدة من وجوده من جهة ثانية .

٣ ــ وذكر سبحانه في كتابه ان الطريق الى الايمان بنبوة محمد (ص) هو العقل بواسطة المعجزة الالهية ،

وهي انه سبحانه تحدى المعاندين وقال لهم بلسان نبيه : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين — ٢٤ البقرة » .

فتهاوى المعاندون حين سمعوا كلاما « ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن .. وانه يعلو ولا يُعلى عليه » كما قال سيدهم الوليد بن المغيرة وسيد الفصاحة والبلاغة في العرب، ويسمى هذا النسق من الاستدلال بالاستدلال المباشر ، لان النتيجة تستخرج من مقدمة واحدة مباشرة وبلا واسطه ، فاذا استخرجت من مقدمتين أو أكثر سميت بالاستدلال المتشابك .

٤ — اما الايمان بالبعث فدليله أنه ممكن عقلا وثابت الوقوع نقلا فيجب التصديق به ، ومن آيات الامكان قوله تعالى : « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه — ٩٠ البقرة » . ومن آيات الوقوع : « وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور — ٧ الحج » . انظر فصل فلسفة الآخرة وجمال الدين الأفغاني ، من هذا الكتاب ، وكتابنا الآخرة والعقل

نظرية النبوة

تقدم ان أصول الاسلام ثلاثة : التوحيد والنبوة والبعث ، واذا كانت النبوة اصلا لعقيدة الاسلام فانها فرع عن الايمان بالله ، ومن الناس من يؤمن به تعالى ، وينكر النبوة من الاساس ، ومنهم من يؤمن به وبها ، ويجحد بنبوة محمد (ص).

وعلى أية حال فان النبوة سفارة بين الخالق والخلق لهدايتهم الى الحق ، ومعنى هذا أن النبي لسان الله وبيانه ، ويومىء الى ذلك قوله تعالى : « من يطع الرسول فقد اطاع الله — ٨٠ النساء » . ولا ينال الانسان هذا المنصب الأعلى الا أن يكون على خلق عظيم كمحمد (ص) : « الله أعلم حيث يجعل رسالته — ١٢٤ — الانعام » . واظهر صفات النبي واهمها على الاطلاق قوة الارادة والبعد عن الميول الشخصية والتفاني في احقاق الحق حتى ولو عارضه الوجود كله بمن فيه وما فيه تماما كما قال امام العابدين (ع) في وصف جده سيد الكونين (ص) :

« حارب في رضاك اسرته — الخطاب مع الله سبحانه — وقطع في احياء دينك رحمه ، واقصى الأدنين على جحودهم ، وقرب الأقصين على استجابتهم لك ، ووالى فيك الأبعدين وعادى الأقربين » . ومثله قول جده الامام امير المؤمنين (ع) : « ان ولي محمد من أطاع الله وان بعدت لحمته ، وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته » وقول ولده الامام الباقر : « والله ما شيعتنا الا من أطاع الله » . والكل وحي من وحي الله الذي قال : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين — ٦٧ الزخرف .. أن أكرمكم عند الله اتقاكم — ١٣ الحجرات » .

ابداً لا صديق وحبيب ولا ولي وقريب عند من آمن بالله حقا وصدقا الا من قربته طاعة الله ، ولا بعيد الا من ابعدته معصية الله .. فهل يتعظ ويعتبر من ينتسب الى دين الله ، ويتحدث باسمه ، ويتسم بسمته ؟

النبوة ضرورة انسانية

هل تدعو الضرورة الحياتية والانسانية الى وجوب النبوة ؟.
الجواب : أجل ، ولولاها لا يكون لله على الناس الحجة ، لانه تعالى يحتج عليهم بما آتاهم ، وبهذا نطق القرآن الكريم : «وان من أمة الا خلا — مضى — فيها نذير — ٢٤ فاطر .. رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله الحجة — ١٦٥ .. قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم ملكا من السماء رسولا — ٩٥ الاسراء » .

وتكلم الأوائل والأواخر من الفلاسفة وعلماء التوحيد حول البعثة وقالوا وأطالوا : تجب لاشتمالها على الرفق واللطف الخ . واقتديت بهم فيما كتبت من قبل ونشرت ، ثم انتبهت وتحررت من ربقة التقليد ، وتساءلت : لماذا البحث عن دليل على وجوب البعثة ، وهي بنفسها تحمل هذا الدليل تماما كالحق والعدل ؟ اليس القصد من البعثة التعليم والارشاد الى النهج القويم ؟ وأي عاقل يشك ويتساءل : هل طلب العلم فرض وواجب ؟.

ولنفترض — جدلا — ان كلمة البعثة لا تحمل في مفهومها الدليل الكافي على وجوبها ، فان سيرة الأنبياء دليل قاطع على هذا الوجوب ، لقد حرروا الانسانية من الجاهلية الجهلاء ، واخرجوها من الظلمات الى النور ، ولولا وجودهم وجهادهم لكان الانسان والحيوان بمنزلة سواء .

وقد سخر السفهاء من دعوة محمد (ص) واستهزأوا به وبها ، وقالوا : « يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون — ٦ الحجر » . فماذا كانت النتيجة ؟ كانت النتيجة أن يقترن

اسم محمد باسم الله ، وأن يبقى ببقائه ، وأن يمتد سلطان الاسلام في شرق الارض وغربها ، وأن يحطم المسلمون تيجان الأكاسرة والجبابرة ، ويغزوا القياصرة في عقر دارهم ، ويدخل الملايين في دين الله افواجا عن ايمان وايقان ، وان تنتشر العلوم والفلسفات والفنون بشتى انواعها حتى اجمع كثير من مفكري الغرب ان حضارة العصر الراهـــن هي عصر الحضارة الاسلامية . . وصدق الله العلي العظيم : « ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نباه بعد حين ٨٨ ص » .

قاموس لبعض المصطلحات الفلسفية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعـــد :

فهذا هو القسم الثاني من الكتاب ، ويحتوي على المصطلحات الفلسفية الاكثر شيوعا واستعمالا ، وقد اخترتها وجمعتها من المعجم الفلسفي لجميل صليبا وكتاب آخر بهذا الاسم ، اشترك في جمعه ووضعه مراد وهبة ويوسف كرم ويوسف شلالة ، ومن الموسوعة الفلسفية السوفياتية ترجمة سمير كـــرم والموسوعة الفلسفية المختصرة الانكليزية ترجمة فؤاد كامل وجلال العشري وعبد الرشيد الصادق ، ومن بعض كتب الفلسفة القديمة والحديثة .

ورتبت الكلمات على نسق الحروف الأبجدية في اللغـــة العربية ، وليس لي فيها الا الاختيار والتوضيح والامانة في النقل والاخلاص في القصد ، فان وجد القارىء خطأ في الرواية فهو من غفلتي او من المروي عنه او من المطبعة ، وجل من لا يخطىء ، ولكن القارىء — في الغالب — لا يغفر للمؤلف ، وينسى ما يكابد من صعوبات .

واخيرا ، قد يظن ان النقل والرواية اخف حملا من الانشاء والاجتهاد في الراي . وهذا حق من وجه واحد ، ولكن الخطأ والاشتباه في وجهة النظر والدراية أخف وأهون بكثير من الخطأ في النقل والرواية لانه لا يخلو من أحد فرضين : اما التحريف والتزييف ، واما الجهل مع الغرور والتطفل ، وكلاهما نقص وضلال كبير وخطير .

ونعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل . وبه نستعين .

(١)

الابستمولوجيا

هذه الكلمة مرادفة لنظرية المعرفة في اللغة الانكليزية ، ومعظم الفلاسفة الفرنسيين يطلقونها على فلسفة العلوم وتاريخها الفلسفي .

الابيقورية

نسبة الى الفيلسوف اليوناني ابيقور (٣٤٢ — ٢٧٠ ق. م.) والابيقورية مذهب هذا الفيلسوف تقوم على طلب المتع العقلية واللذة الروحية حيث لا سبيل للخلاص من الآلام الا بالسكينة والطمأنينة ، ولا طريق اليها الا بالانصراف الى التفكير والتأمل من اجل الوصول الى معرفة الحقيقة ، وكثر الكلام حول ابيقور ومذهبه ، وقيل : انه رجل الهوى والشهوات . وكثير من الفلاسفة ينزهونه عن ذلك ، ويفسرون مذهبه بما ذكرنا .

الاثنولوجيا

علم اجتماعي يفسر الظواهر من احوال الشعوب ، ويدرس انماط حياتها المادية والروحية .

الارستقراطية

كلمة يونانية وهي ضد الديمقراطية ، لانها حكومة طبقة

معينة ومحدودة ، تستولي على السلطة عن طريق الوراثة ونحوهـــا .

الاستبطـــان

يطلق على معان منها دراسة الصفات النفسية بالتجربة والاختبار ، ومنها عملية التذكر للماضي القريب والبعيد .

الاستقـــراء

وهو في اللغة : تتبع الأمور لمعرفة أحوالها وخواصها ، وفي الاصطلاح : الحكم على الكلي بما تحقق في افراده وجزئياته ، فان عم التتبع والفحص جميع الافراد والجزئيات كان الاستقراء تاما ، وان وقف عند عدد محدود من الافراد والجزئيات كان الاستقراء ناقصا .

الاستنبـــاط

استخراج المعنى من النص او النتيجة من مقدماتها بعـــد الفرض أنها صحيحة .

الاسطقس

لفـــظ يوناني ، يرادف كلمة العنصر والاصل ، وجمعـــه اسطقسات ، وهي عند قدماء الفلاسفة العناصر الأربعة : النار والماء والتراب والهواء .

الاشـــراق

هو في اصطلاح الفلاسفة ظهور الانوار العقلية وفيضانها على النفس الكاملة بعد تحررها من المواد الجسيمة . (أنظر فصل حول فلسفة الاشراق) .

الاضافــة

هي المقولة الرابعة من مقولات ارسطو العشر ، وعرفوها بنسبة شيء الى آخر تستدعي نسبة هذا الآخر الى ذلك الشيء كالابوة والبنوة ، فان نسبة الابن الى الأب معناهـا نسبة الأب الى الابن .

الاقتصـاد

مأخوذ مـن القصد ، ومعنى القصد : الاستقامـة على الطريق ، وعلم الاقتصاد السياسي يبحث في انتـاج الثروة وتوزيعها واستهلاكها ، وتطلق الثروة على كل ما له قيمة في التبادل .

الاقنـوم

هو الأصل والشخص والجوهر ، وعند قدماء الفلاسفة هو الحقيقة الوجودية ، والاقانيم الثلاثة عند المسيحيين : الآب والابن وروح القدس .

اكاديميـة

هي مدرسة أسسها افلاطون تطل على بستان اكاديموس، وهو بطل قديم فنُسبت اليه المدرسة :

الامبرياليـة

اخذت هذه الكلمة من كلمة أمبراطور ، وتستعمل الآن في أعلى مراحل الاحتكار والاستعمار الجديد الذي يضغط على الشعوب المستضعفة سياسيا ، ويحاصرها اقتصاديا ، ويؤلب عليها الاتباع والاذناب بالانقلابات الرجعية وايقـاظ الفتن والقلاقل وما الى ذلك حتى تستسلم بكل ما تملك من اقوات ومقدرات لارادة المحتكرين والمستغلين .

الانتخـاب

هو عند دروين قانون طبيعي ، يعني تنازع البقاء ، وبقاء الاقوى .

الانحـلال

تطور مقلوب من الصحيح الى الفاسد ، ومن التمام والكمال الى النقص والانحلال .

الانطولوجيـا

تعني هـذه الكلمة الامـور العامـة التي تشمل جميع الموجودات : الواجب والممكن والجوهر والعرض . هذا مـا جاء في كتاب المعجم الفلسفي لمراد وهبة وصاحبيه نقلا عن تعريفات الجرجاني .

الاعنيـة

اصطلاح فلسفي قديم ، معناه تحقق الوجود العيني .

الأوليـات

هي الاشياء الضروريـة اليقينية ، وتسمى البديهيـات والمبادىء الأولية .

الايديولوجيـة

جاء في الموسوعة الفلسفية السوفياتية أن هـذه الكلمة تعني نسقا من الافكار والآراء السياسية والقانونية والاخلاقية

والجمالية والدينية والفلسفية .

ايروس

هو اله الحب عند اليونانيين ، ثم توسعوا في معناه ، واطلقوه على كل هوى وامنية .

ايس

في القواميس العربية آيس من الشيء بمعنى يئس منه وقنط ، واستعمل الفلاسفة كلمة ايس في الوجود والموجود ضد ليس .

ايساغوجي

كلمة يونانية ، معناها المدخل او المقدمة ، وهي اسم كتاب ، يحتوي على الكليات الخمس التي تبحث في علم المنطق ، وهي (١) الجنس ويشمل انواعا مختلفة كالحيوان يعم الانسان والفرس (٢) النوع كالانسان يصدق على الرجل والمراة (٣) الفصل كالناطق يميز الانسان عن الناهق والصاهل (٤) الخاصة كالضاحك (٥) العرض كالنائم

ايكولوجيا

كلمة يونانية الأصل ، واطلقت على العلم الحيواني والنباتي ، وهو فرع من علم الحياة الذي يبحث في العلاقة بين البيئة والكائنات الحية .

(ب)

بابوفيــة

حركة ثورة فرنسية قامت في القرن الثامن عشر ، واتخذت اسمها من زعيمها غراشوس بابوف .

البراغماتيــة

انظر فصل البراغماتية من هذ االكتاب .

البرجوازيــة

طبقة متوسطة بين النبلاء وابناء الشعب العاديين ، ويتميز افرادها بثقافتهم ودخلهم وممارستهم لاحدى المهن الحرة ، أما في اصطلاح الماركسيين فالبرجوازيون هم الذين يمثلون النظام الراسمالي . (المعجم الفلسفي لجميل صليبا) .

البرهــان

لا يطلق القدماء لفظ برهان الا على الاستنتاج العقلي الذي تلزم فيه النتيجــة عن المباديء اضطراراً ، أمــا المحدثون فيطلقون هذا اللفظ على الحجة العقلية والتجريبية معا . (صليبــا) .

البُعــد

وجمعه ابعاد ، والابعاد الثلاثــة هي الطول والعرض

والعمق . واضاف اليها آينشتين بعدا رابعا وهو الزمان .
(انظر فصل نافذة على النظرية النسبية) .

البنيـــة

بكسر الباء وسكون النون وفتح الياء ، وهي عند الفلاسفة ترتيب الأجزاء المختلفة التي يتألف منها الشيء .

البيرونيـــة

نسبة الى الفيلسوف اليوناني بيرون الأيلي ، ويذهب هذا الفيلسوف الى أن الحقيقة لا يستطيع أحـــد ادراكها والعلم بها ، وعليه فمن الافضل التوقف عن الحكم على اي شيء مـــن الاشياء .

(ت)

التالـــي

للقضية الشرطية جزءان المقدم ويقابله التالي ، ومثاله : فمنيعمل مثقال ذرة خيرا يره . فيعمل المقدم ، ويره التالي .

التاليـــه

منه ديني ، ومنه طبيعي ، والاول يؤمن بالله والوحي ، والثاني يؤمن بالله دون الوحي .

التاويـــة

فلسفة أو عقيدة صينية تعارض التسلط والقهر ، وتدعو ان يعيش الناس على الطبيعة تماما كما كان الانسان البدائي .

التجريـــد

من أخص خصائص التجريد أن يبحث الشيء من حيث هو وبصورة عامة دون النظر الى جوانبه وصفاته الخاصة ، فاذا استخرجت النتيجة من دليل مسلم به تكون النتيجة صحيحة ومسلما بها أيضا سواء امكن تطبيقها أم تعذر ذلك — مثلا — اذا بحثنا : هل المادة صلبة وساكنة كما تبدو للعيان أو هي ذرات متحركة ؟ جرى البحث فيها بغض النظر عن كونها حية أو غير حية ، واذا بحثنا اللون وصلته بالبصر جرى البحث

فيه بصرف النظر عن كونه أبيض او اسود .
وبكلمة التجريد مقابل للتشخيص الحسي في الخارج .

التحـــول

نظرية علمية تقول : الاشياء في تطور مستمر بخاصة الانواع الحيـــة .

التصوف

طريقة سلوكية ، قوامها التقشف والتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل .

التضايـــف

ان يتوقف تصور أحد الشيئين على تصور الآخر كالفوقية والتحية والابوة والبنوة .

التعميـــة

مذهب سياسي يعارض نشر المعرفة والثقافة في جميع فئات الشعب لما قـــد ينشأ عنها مـــن وعي يضر بالسياسة المستقرة ، ويقابل التعمية حركة التنوير .

التكنوقراطيـــة

اتجاه ظهر حديثا في الولايات المتحدة وبعض البلاد الاوربية ومؤداه أن الراسمالية والاحتكارات الصناعية لا عيب فيها ، وانما العيب في ادارة الدولة ورجالها السياسيين ، تماما كما نقول نحن : ليس الذنب ذنب الاسلام ، وانما الذنب ذنب المسلمين .

التكنولوجيا

هذه الكلمة العلمية والفلسفية الصق الكلمات بالحياة ، واكثرها استعمالا بحكم معناها الشامل ، وقد راجعت في تفسيرها العديد من المصادر فما وجدت فيها بلغة الكفاف الا ما جاء في مقال علمي قيم للدكتور فؤاد صروف بعنوان التقدم العلمي الحديث ، ويتلخص ما قال :

بأية كلمة نعبر عن دراسات الانماء والتكامل بكل ما تنطوي عليه من البحوث العلمية في الصناعة والزراعة والنقل وغير ذلك مما يدل على مستوى حضاري يفرق بين المتقدم والمتخلف من الشعوب ؟ الجواب عن ذلك بكلمة تكنولوجي أو تكنولوجيا.

وايضا قال صروف : جاء في مجلة ترقية العلم التي يصدرها المجمع البريطاني لترقية العلوم ، مقال مستفيض في التفاعل العمراني ، قال كاتبه من جملة ما قال : ان لفظ تكنولوجي يعني علم الصناعة بشتى انواعها اذا اطلقت ، اما اذا اضفت وقلت : تكنولوجيا الزجاج أو تكنولوجيا النفط او تكنولوجيا الفضاء أو تكنولوجيا الطاقة ، فالأول يعني علوم صناعة الزجاج على اختلافها ، والثاني علوم صناعة النفط ، والثالث علوم الصناعة الفضائية ، والرابع يدخل في نطاقه كل ما يمت الى توليد الطاقة بسبب . وعلى هذا الغرار سائر العلوم .

التلباثيا

هي ظاهرة نفسية ، تقوم على الاتصال بين نفس ونفس على ما بينهما من البعد بحيث يفهم كل منهما مراد الآخر مباشرة وبلا واسطة .

وقد انكر ذلك جميع العلماء .

التيوقراطيـــة

هذه الكلمة يونانية ، وتعني الدولة الدينية .

وفي كتاب السلطان لرسل ترجمة خيري حماد ص ٨٣ :

« نرى اليوم في الولايات المتحدة اجلالا للمحكمة العليا يضاهي ما كانت تنظر به أوربا للبابوات في القرون الوسطى ، وكل من درس الدستور الامريكي يعرف تماما ان المحكمة العليا ليست الا جزءا من القوى المنشغلة في حماية الفئة الحاكمة » .

ومن المعلوم للقاصي والداني أن الفئـــة الحاكمة هناك منشغلة في حماية الشركات الاحتكارية ، والجدير أن هـــذه الشركات هي السلطة القضائية والسلطة التنفيذية في الولايات المتحـــدة !.

(ث)

الثقافـة

وهي في اللغة : الحذاقة ، وبالمعنى الذي نفهمه الآن أن يتعدى العالم حدود اختصاصه بعلم من العلوم الى الاطلاع والالمام بالتراث وما يمكن العلم به من جديد مفيد ، بخاصة الافكار والتيارات السائدة في عصره على أن ينظر اليها والى الحياة والمجتمع نظرة صحيحة تأييدا أو تنفيذا .

اما العالم الذي يقف عند مهنته ، ويجمد على دروسه فهو تماما كالأعرج يسير على قدم واحدة .

الثلاثي

وهو عند هيجل التطور على ثلاث مراحل : القضية ونقيض القضية والمركب . (انظر فصل المادية الجدلية) .

الثنويـة

او الاثنينية هي فرقة تدين بالهين : اله الخير واله الشر ، لان في العالم خيرا وشرا ونورا وظلمة ، ومن يخلق الخير والنور لا يخلق الشر والظلمة ، وكذلك مـن يخلق الظلمة والشر لا يخلق النور والخير . وكان المسلمون الأوائل يشيرون الى من يرى هذا الراي بكلمة زنديق .

وابطلنا هذه الشبهة في كتابنا فلسفة التوحيد والولايـة فصل الخير والشر .

(ج)

الجاذبيـــة

وهي ما في الأجسام من قوة الجذب كما في المغناطيس ، وقد اكتشفها نيوتن (١٦٤٣ ـــ ١٧٢٧) وهو عالم طبيعي انكليزي ، ولاكتشاف هذه النظرية تأثير كبير في عالم الصناعة.

الجبـــر

هو علم من العلوم الرياضية ، والفرق بينه وبين علـــم الحساب أن هذا العلم يعبر عنه بالأرقام المعلومة ، اما علم الجبر فيعبر عنه بالحروف التي لا يعرفها الا أهل الاختصاص.

الجبريـــة

هي المذهب القائل بأن الانسان مسير لا مخير .

الجـــدل

هو في الاصل فن الحوار والمناقشة ، وعند سقراط تفنيد راي الخصم باستدراجه بالقاء الأسئلة عليه الى أن يجيب بعبارة تناقض قوله ، فيستسلم مرغما .

والجدل عند المنطقيين القدامى قياس مؤلف من مقدمات يلزم من القول بها التصديق بقول آخر .

والتطور الجدلي عند هيجل فكري بحت ، وعند ماركس مادي صرف .

الجشطلت

لفظ الماني معناه الشكل او الصورة ، ومعنى الصورة هنا الصورة الخارجية من جهة ، والبنية الباطنية والتنظيم الداخلي من جهة ثانية (صليبا) .

الجوهر

قال قدماء الفلاسفة : ينقسم الموجود — ما عدا واجب الوجود — الى جوهر وهو القائم بذاته ، ولا يفتقر وجوده الى موضوع كالانسان والحجر ، والى عرض وهو ما يفتقر وجوده الى موضوع كالسواد والحركة .

اما فلاسفة العصر الراهن فينكرون هذا التقسيم ، ويقولون : لا احد يعرف حقيقة المادة ، وغاية ما يمكن العلم بها انها عبارة عن ذرات تسبح في فلكها بسرعة ٢٩٠ الف كيلومتر في الثانية ، وانها تتغير وتتحول الى عكسها ، وعليه فلا ندري ماذا تكون عليه المادة في المستقبل بدقة تامة ، « فالعالم الطبيعي كما يراه العلم المعاصر ليس محدد المسار على سبيل القطع الذي لا يحيد قيد شعرة عما رسم له ، كما كان يظن من قبل » .

(ح)

الحتميـــة

هي المبدأ القائل بخضوع الاشياء لمبدأ العلية وللقوانين الضرورية ، وبهذه الحتمية يتنبأ الطبيب بما سيحدث مـــن الأمراض عن طريق العلم بأسبابها .. وايضا بهذه الحتمية توضع القوانين العلمية القائمة على الاستقراء ، ولولاهـــا لانسد باب العلوم .

وفي الموسوعـــة الفلسفية السوفياتية مـــا نصه بالحرف الواحـــد :

« وقد ظهرت الأفكار الحتمية في الفلسفة القديمة ، وكان اكثر الذين سلموا بها الذريون القدماء . وجرت البرهنة على مفهوم الحتمية على يد العلم الطبيعي والفلسفة المادية عند بيكـــون وغاليلو وديكارت ونيوتـــن ولومونوسوف ولابلاس وسبنوزا والفلاسفة الماديين الفرنسيين في القرن الثامـــن عشر .. فقـــد اعتقد هؤلاء المفكـــرون ان اشكال السببية مطلقة ، ووحدوا بين السببية والضرورة ، وانكروا الطبيعة الموضوعية للصدفة » .

وما دام الشيوعيون وغيرهم من الماديين ، ينكرون الصدفة ويؤمنون بمبدأ العلية في كل شيء من الذرة الصغيرة الـــى المجرات الكبيرة ـــ فلماذا ينكرون علة الكون العجيب ويقولون : وجد من باب الصدفة ؟. ان الاعتقـــاد بمبدأ العلية يلـــزم

الجاحد حتما بانكار مبدأ العلية والا ناقض نفسه بنفسه ، وخالف فطرته وعقله هو بالذات لا عقل سواه من حيث لا يحس ويشعر ! .

ويمكن الجواب عن هذا الاشكال بأن الماديين اعترفوا بمبدأ العلية حيث نظروا اليه من رؤوسهم ، وأنكروا علة الكون حيث فكروا بأقدامهم التي وطؤا بها المادة ، واذا اختلفت الحيثية زال التناقض !.

الحس المشترك

وسمي بالمشترك حيث يشترك فيه الكبير والصغير والجاهل والعالم ، بل الانسان والحيوان في كثير من المحسوسات ، ومنه ما نكون على يقين من وجوده بالحس الظاهر كالطعم واللون والريح ، ومنه مـا يُدرك بالحس الباطن كالجوع والشبع واللذة والألم .

وهذا الحس لا يتوقف وجوده على حس آخر ، لانه الأصل والأساس ، وايضا لا يتطور بالاستعمال والتكرار ، على العكس من العقل الذي ينمو ويتقدم بالدرس والروية والممارسة .

حلم اليقظة

وهو هذيان المخيلة المريضة حيث ينفصل الانسان عن نفسه وواقعه وعن العالم بكامله ، ويرتقي الى عالم الوهم يبني فيه الدور والقصور ، ويستوي على عرش الأمر والنهي وهو في النقيض والحضيض .

وما اكثر هذا النوع في كل زمان ومكان ، وايام دراستي في

النجف الأشرف رأيـــت بعض افراده ، فكان المستشفى هو من العجب والغرور والزلل والعثور .

حيويـــة المـــادة

تشـير هذه الكلمة الى المذهب القائل بأن المادة حية ، وانها تملك العقل والاحساس ، وكان على هـــذا المذهب الماديون اليونانيون الأول وبعض الماديين الفرنسيين (الموسوعة الفلسفية السوفياتية) .

(خ)

الخاصـــة

وصف خارج عن ماهية الموصوف ، ولكن يختص بها دون غيرها ، ومن هنا سمي بالخاصة ، وايضا لا يمكن استقلاله بنفسه ، ولذا كان عرضا لا ذاتا . وقد يكون ملازما لكل افراد النوع كالضحك وقد يكون ملازما لبعض افراده دون بعض مثل الكرم والحدة .

الخـــلاء

وهو عند الفلاسفة خلو المكان من مادة جسمية تشغله ، وبعضهم قال بجواز هذا الخلاء ، اما المحققون فقالوا بالامتلاء ، واستحالة الخلاء .

الخليـــة

وهي العنصر الذي تبنى منه أعضاء وانسجة الكائنات الحيـــة .

(د)

الـــدور

وهو توقف وجود أحد الشيئين على وجود الآخر ، ومثاله قول الشـاعر :

مسألـــة الـــدور جـــرت
بيني وبـــين مـــن أحـــب
لـــولا مشيبي مـــا جفـــا
لـــولا جفـــاه لـــم أشب

فكل من وجود شيب الشـاعر وجفاء الحبيب متوقف على وجود الآخر ، وهذا هو الدور المحال .

الديمقراطيـــة

كلمة يونانية ، ومعناها سيادة الشعب بإرادة الشعب لمصالح الشعب بلا تمييز بـــين فئاته وأفراده . وتقابلهـــا الاستقراطيـــة .

الديناميكا

قسم من علم الميكانيكا ، يبحث في الحركات المادية من جهة علاقتها بالقوى التي تحدثها . (صليبا) .

(ذ)

الـذرة

هي اصغر جزئيات العنصر الكيمائي ، وهي نسق معقد يتألف من نواة مركزية ثقيلة ذات شحنة موجبة محاطة باطار من جزئيات خفيفة ذات شحنة سالبة ، تتحرك في مدارات حول النواة ، وتعرف بالالكترونات والنواة الذرية معقدة في بنيانها . (الموسوعة الفلسفية السوفياتية) .

الذكـاء

قالوا : الناس تتفاوت في الذكاء كما وكيفا . ومثال الفهم في الكم أن يستوعب دروسه باتقان ، ويحسن فن الحوار والنقاش والكتابة والخطابة ، ولكنه لا يهتدي الى العيش سبيلا . ومثال الفهم في الكيف أن يعمى عن الدرس كجدي الأخلش ، أما بسبل العيش فهو الاستاذ الأعلم والأقدر .

الـذوق

ذكرَ أصحاب معاجم الفلسفة الذوق ، وقال بعضهم : هو قوة ادراكية للطائف الكلام ومحاسنه ، وقال آخر : هو المقدرة على فهم الجميل والقبيح ، وقال الثالث : انه القوة الحاكمة على القيم الجمالية .

وعلى اية حال فان الذوق السليم غير العقل والعاطفة ، لأن العقل يتطلع الى الحقيقة ، ومن جلها يحقق ويحلل وينقب ، والعاطفة تؤثر المنفعة الخاصة ، أما الذوق السليم فبينه وبين الحسن والجمال رابطة وثيقة وتفاعل وتجاذب طبيعي وفطري ، لا يحتاج الى درس وبحث وامعان وتفكير .

(ر)

راس المـــال

هو مال ينتج مالا أرضا كان او شجرا متجرا أو بنـــاء او مصنعا أو نقودا والرأسمالية تقوم على الملكية الخاصة لوسائل الانتـــاج .

الرواقيـــة

مدرسة فلسفية تنســـب الى الفيلسوف اليوناني زينون (حوالي ٤٩٠ — ٤٣٠ ق٠ م٠) وكان يعلم تلاميذه في رواق وهو سقف في مقدم البيت .

ومن تعاليم الرواقية أن الحكيم لا يحزن على ما فات ، ولا يفرح بما هو آت ، وان السعادة هي الفضيلة .

الرومانسية

اتجاه في الأدب يتميز بالتحدي للمنطق ، وتطعيم الحدس والحريـــة والتلقائية ، ويتعلق بفكـــرة الحياة واللانهاية . (صليبا) .

الرياضيـــات

علوم موضوعها الحساب والجبر والهندسة ونحوها .

(ز)

الزرادشتيـــة

دين فارسي قديم ، ينسب الى زرادشـــت ، والشيء الرئيسي فيه عقيدة الصراع بين اله الخير « مازادو » والـــه الشر « اهرمان » .

الزمـــان

اختلف الفلاسفة : هل الزمان والمكان حقيقيان أو انهما لا يوجدان الا في ذهن الانسان ؟ (انظر فصل نافذة على النظرية النسبية) .

ألزمـــاني

هو الموجود في الزمان ، وهو مضاد للابدي ، لأن الزماني يدل على التغيير ، والابدي يدل على الثبات .

(س)

السبب

ويطلق عادة على كل ما له تاثير بجهة من الجهات ، والسبب التام مرادفه للعلة التي يلزم من جودها الوجود ومن عدمها العدم ، والسبب الناقص يلزم من عدمه عدم المسبب ، ولا يلزم من وجوده الوجود .

السريالية

تستعمل هذه الكلمة في الادب اللامعقول واللااخلاق « ومعظم انصار هذا الأدب يمدحون التناقض والجنون ، ويغوصون على اللاشعور لاستخراج كنوزه ، ويتفننون في وصف الرغبات الجامحة والأحلام العجيبة » (صليبا نقلا عن كتاب أندره بريتون) .

السلوكية

قال الدكتور صليبا في المعجم الفلسفي : « السلوكية طريقة علمية ومذهب فلسفي معا ، فهي علمية لانها تطبق المنهج التجريبي ، وهي مذهب فلسفي لانها ترد العمليات الذهنية الى اسباب مادية » .

وبكلمة ان السلوكية تبطل كل ما هو داخلي ، ولا تاخذ الا بالمحسوس الملموس .

سيبرنتيكا

اطلق المتاخرون هذا اللفظ على مجموع النظريات والدراسات المتعلقة بعمليات الاتصال بين أجزاء الكائن الحي

او اجزاء الآلة . وايضا اطلقوه على الأعمال التقنية التي يتم بها انشاء آلات ذاتية الحركة . (صليبا) .

السيكولوجيـــا

هي علم النفس البشرية .

(ش)

الشخصانيـــة

وتعني الشخصانية ان الفرد هو القيمة المطلقة والأسمى والعنصر الروحي للوجود ، وأن مصلحته فوق مطلحة الجماعة علما بانها تتالف من الأفراد .

الشــك

وهو على قسمين : الاول الشك المذهبي ، ويُسمى انصاره الشكاك واللاادريين ، ويوجبون الامساك عن كل حكم سلبا وايجابا ، لأن كل قضية تقبل التدليل عليها للسلب والايجاب بقوة متساوية كما يزعمون .

الشك الثاني المنهجي او العلمي ، وهو أن يتجرد صاحبه من معلوماته برغبته وارادته ، ويشك فيها حتى كأنه لا يعلم شيئا ، ويتخذ من شكه هذا وسيلة الى البحث والدراسة العلمية حتى يصل الى المعرفة الصادقة وعلم اليقين .

وبكلمة ان الشك المذهبي غاية في نفسه ، والشك المنهجي وسيلة الى العلم .

الشنتويـــة

وهي ديانة يابانية ، والعنصر الرئيسي فيها عبادة الأرواح المتعددة التي تتجسد في الحيوانات والنباتات وغيرهـــا من ظواهر الطبيعة ، ومن دين الشنتوية ان العلاقة بين الآلهـــة والناس تحدث عن طريق الامبراطور الذي يسمونه ميكادو . (الموسوعة الفلسفية السوفياتية) .

(ص)

الصراع من اجل البقاء

وهو القانون « الغريب » القائل بتنازع البقاء بين الأحياء وبقاء « الأقدر الاقدر » لا الأفضل الأكمل !.

الصورة

ولها معان شتى ، وهي عند الفلاسفة جسمية ونوعية والنوعية تمام حقيقة الشيء وماهيته ، ومن اقوالهم : صورة الشيء هي ماهيته التي بها هو ما هو . ولنا أن نعطف عليه : الهيولى هي البدن ، والصورة هي الروح ، وفي ذاكرتي قول فيلسوف قديم : الهيولى لفظ ، والصورة معناه . وقال الملا صدرا في الأسفار : « الصورة مـــا يكون به الشيء هو هو بالفعـــل » .

الصوريـــة

مذهب فلسفي يرمي الى انكار الناحية المادية وتاثيرها في المعرفة ، ولا يعتقد الا بالصور الذهنية .

الصيرورة

انتقال الشيء من حالة الى اخرى ، وهو عند هيجل من صميم الوجود ، والسبب الاول لتطوره . (انظر فصل المادية الجدليـــة) .

(ض)

الضـــد

الضد صفة وجودية ، يمتنع وجوده مع وجود ضده المانع له كالنور والظلمة ، ولا يمتنع ارتفاعهما معا اذا كان لهما ثالث كالألوان ، فقد يكون الشيء لا اسود ولا ابيض ، بل احمر او اصفر ، وهذا هو الفرق بـــين الضدين والنقيضين ، لان النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان اطلاقا كالوجود والعدم .

الضرورة

وهي مقابلة للجواز ، ومرادفة للحتمية . وسبقت الاشارة اليهـــا .

الضمـــير

تكلموا كثيرا عن الضمير ، وبعضهم عبَّر عنه بالذات العليا، وآخر بالقوة الحاكمة ، وثالـــث بالملكة التي تحدد موقـــف الانسان من سلوكه !. وكل ذلك تفسير للظلمة بالبهمة .

والذي نراه ان الضمير هو نفس الشعور بالوخز والتأنيب اذا فعلت ما تندم على فعله ، ونفس الاحساس بالطمأنينة والغبطة اذا فعلت ما تراه ربحا ونجاحا . نقول هذا ونحـــن على علم بأنه يختلف تبعا للاشخاص ووجهات النظر ، ولكن لا نركنِ الى سواه .

(ط)

الطفـــرة

ان يتغير الشيء ، وينتقل من صفته الى صفة أعلى بــلا مراحل تدريجية ، وكان يظن من قبل ان الطفرة بهذا المعنى محال ، ومع الايام تبين أنها قد حدثت بالفعل ، قال رسل في كتابه الفلسفة بنظرة علميـــة ترجمة الدكتور زكي نجيـــب ص ٢٥٩ : « ان في الطبيعة تغيرات مفاجئة تحدث قفزة من حالة الى حالة أخرى بغير اجتياز الحالات المتوسطة بـــين الطرفين » .

الطوبـــاويـــة

نقيض الواقعية حيث تحلق بالخيال الى الأوهام والمثــل العليا كتحقيق الســـلام العــام والتقـدم المستمر والمساواة الطبيعية .. الى ما تشتهي الانفس ، وتلذ الأعين من كل شــيء في هذه الحياة الدنيا .

الطوطميـــة

من اقدم اشكال الديانات في المجتمع البدائي ، وتقوم على عبادة نوع من الحيوانات أو الأشياء أو الظواهر على أساس انها تمد الخلق بالطعام ، ولا تزال الطوطمية منتشرة بـــين القبائل الأصيلة في استراليا وامريكا الشماليـــة والجنوبية وميليزيا وبولونيا وافريقيا. (الموسوعة الفلسفية السوفياتية).

(ظ)

الظاهـــرة

تطلق على كل ما يبحث فيه العلم من الحقائق التجريبية .

الظاهريـــة

طائفة من الفقهاء يأخذون بظواهر النص حتى ولو خالف بديهة العقل .

والظاهرية من الفلاسفة ينكرون معنى الجوهر ، ويقولون : ان الوجود الحقيقي مؤلف من الظواهر فقط . (صليبا) .

(ع)

العالـــم

العالم كل المخلوقات ، وعالم الطبيعة الأشياء المادية ، والعالم الاكبر : السموات والارض وما بينهما (أي الكون كله) والعالم الأصغر : الارض بكل من وما فيها وعليها .

العبقريـــة

واحسن ما قرأت في تعريف العبقري أنه هو الذي يعكس المطالب الاجتماعية ذات الاهمية الحيوية .

العقـــل

نسب الى افلاطون وارسطو الفرق بين العقل والفكر في ان الاول يستدل ويستنتـــج ، والثاني يكشف عـــن اسباب الظواهر . ونحن لا نجد أي فرق بينهما ، على انه لا ثمرة عملية لهذا الفرق .

والعقلي نسبة الى العقل ، والعقلاني نسبة الى من يؤمن بحكم العقل ، ويستدل به على صحة العقائد .

العلـــم

كل من العلم والجهل لا يحتاج الى حد ، لانه يعرف بمجرد التصور ، ولو احتاج العلم الى تعريف لوجب التعريف بالعلم ، واذن يحتاج هذا الثاني الى علم ، وهكذا الى ما لا نهاية .

والعلوم التطبيقية تطلق على الصناعة والطب والزراعة ، وكل علم له اثر ملموس ، اما العلوم المعيارية فهي المؤلفة من احكام انشائية كعلم المنطق والأخلاق والجمال .

(غ)

الغائيـــة

ومبدأ الغائية هو القول بان كل موجود يسير الى غايـــة معينة وليس الانسـان وحده كذلك ، وهذا المبدأ احد الأدلة على وجود الخالق ، ويسمى الدليل الغائي .

الغنوصيـــة

كلمة يونانية ، تطلق على نزعة صوفية تهدف الى ادراك الاسـرار الالهية مباشرة وبـــلا واسطـــة . وفي الموسوعـــة السوفياتية ان الغنوصية تمزج المسيحية بالديانات الشرقية القديمة والافلاطونية الحديثة والفيثاغورية .

(ف)

الفاشية

دكتاتورية ارهابية تأسست كنظام في ايطاليا سنة ١٩٢٢ ثم في المانيا سنة ١٩٣٣ .

فسيولوجيا

علم وظائف الاعضاء الحية .

فنطاسيا

يطلق هذا اللفظ على كل تخيل وهمي متحرر مـــن قيود

العقل ، او على كل رغبة لا تستند الى سبب معقول . (سلبيا) .

الفوضويــة

ظهر المذهب الفوضوي في القرن السابــع عشر الميلادي بزعامة مفكر انكليزي ، اسمه « ونستانلي » ويرمي هــذا المذهب الى الغاء الدولة بشتى انواعها ومظاهرها ، وايجاد مجتمع خال من القهر والارغام ، امــا المصالح العامة فيتولاها جماعة من اهل الامانة والثقة على غرار مجالس الحسبة والبلديــة .

الفيزيــاء

وعلم الفيزياء موضوعه المادة الجامدة ، ومن بحوثه الحركة والثقل والضغط والحرارة والضوء والصوت والكهرباء .

الفيض

الفيض حق لا ريــب فيه ، ومعنــاه في غايــة الوضوح والبساطة ، وهو ان الله سبحانه وتعالى يفيض عنه كــل الوجود بارادته فيضانا مباينا لذاته القدسية ، وبهذا انطقت الآية ١٦ من الرعد : « قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهــار » .

وابى بعض الفلاسفة الا اثارة الشبهات مثل ان الإله واحد، والواحد لا يصدر عنه الا واحد بطريق مباشر ، علما بــأن الصادرات التي نراها فضلا عما غاب عنا ــ لا يبلغهــا الاحصاء .

ولكي يجدوا حلا لهذه المشكلة الشائكــة ابتدعوا فكرة العقول العشر ، وسموها بنظرية الفيض ، وخلاصتها بأن الله قد فاض عنه عقل واحد فقط ، فوجد فيه ثنائية الامكان بالذات والوجوب بالغير ، وعن هذا العقل فاض عقل ثان ، وعنه فاض ثالث .. وهكذا تتابع فيضان العقول حتى تالفت هيئة من عشرة وزعت فيما بينها صناعة الكون وخلقه !.

ولا ادري بأي عقل نفسر هذه العقول ؟ ثانيا يقول القرآن الكريم : الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار . ويقول اصحاب هذه النظرية : كلا ، الله خلق العقل الأول فقط ، وما عداه من صنع العقول العشر ! فتعالى الله عما يشركون . ومن هنا رفض علماء الاسلام هذا النوع من الفيض ، وعملوا بالحديث الشريف : « تفكروا في خلق اللـــه ، ولا تفكروا في ذات اللـــه » .

(ق)

القيمة الفاضلـــة

هي اصل اصيل العقيدة الماركسية ، وخلاصتها ان السلعة من حيث هي لا قيمة لها على الاطلاق ذهبا كانت أو خشبا ، وانما تقاس القيمة بعمل الانسان — مثلا — قلاوة الذهب لا تقدر بالسعر المعروف للذهب ، بل بما يبذله الصائغ من جهد في صياغتها ، ولكن العامل لا ياخذ قيمة عمله بالكامل ، بل ياخذ بعضها ، وما زاد فهو لرب العمل بلا مقابل ، وهو سلب ونهب !.

والملاحظ ان هذه النظرية على عكس مـــا يراه العقل ، وجرت عليه سيرة العقلاء قديما وحديثا حيث يقدرون السلعة بما لها من نفع وفائدة في مفهومهم . ولو صحت هذه النظرة

الماركسية لكانت الارض المخصبة التي تعطي الكثير بالعمل اليسير أقل ثمنا وقيمة من الارض المجدبة التي تعطي اليسير بالعمل الكثير . وهكذا سائر السلع ووسائل الانتاج .

القيوم

هو القائم في ذاته الغني في وجوده وجميع صفاته عن كل شيء ، وليس ذلك الا الله وحده جل وعز .

(ك)

الكثرة

وهي محل خلاف من جهات :

١ ـ هل الموجود واحد ، وما الكثرة البادية للعيان الا احوال واعراض لجوهر واحد يعم ويشمل العالم كله ولا شيء قبله ولا بعده كما يقول المؤمنون بوحدة الوجود ، أو هناك قوة وراء العالم تباينه في جميع صفاته كما يقول المؤمنون بالله ؟.

٢ ـ هل الموجود الوحيد هو المادة كما يقول الماديون ، أو هو الروح كما يقول المثاليون ، أو هما معا كما يقول الربانيون ؟.

٣ ـ هل أصل الأشياء واحد وهو الهواء كما يزعم انكسمانيس ، أو النار كما يدعي هرقليط ، أو التراب والماء والنار والهواء كما قال العديد من قدماء الفلاسفة ؟.

الكلبيــة

في القرن الرابع قبل الميلاد كان في اليونان فيلسوف يدعى انتستانس ، وكان يدرس تلاميــذه في مكان اسمه الكلــب السريع ، فأطلق عليهم اسم الكلبيين ، وقيل : اطلق عليهم هذا الاسم ، لانهم كانوا ينبحون على فاعل الرذيلة كما ينبُــح الكلب الحارس .

ومن مذهبهم احتقار التقاليد والعقائد السائــدة والراي العام ، وانه لا خير ولا سعادة الا في الفضيلة .
وعلى هذا المذهب ديجون صاحب الفانوس .

الكمون

ومبدأ الكمون هو الذي يقول : كل شيء فيه كل شيء .
ويرجع هذا الى وحدة الوجود .

الكوجيتو

اشارة الى قول ديكارت : انا افكر ، اذن أنــا موجود .
وهو استدلال على وجود النفس بفعل من افعالها .

الكيميــاء

يبحث علم الكيمياء عــن خواص المادة وتغيراتها وتأثــير العوامل الطبيعية بها .

(ل)

اللاادريــون

هم الذين يقولون بالتوقف في الحكم على اي شيء ، لانهم يشكون في كل شيء و فيأنهم يشكون . انظر « الشك » .

اللاشعور

السلوك الشعوري أن تفعل عن وعي وقصد ، مثل أن تنتقد أن تقارن أو تستقرىء وتستنتج ، وما أشبه ذلك .

اما السلوك اللاشعوري فهو أن تفعل من غير وعي وقصد ، مثل أن تدخن بحكم العادة أو تنظر الى الخلف بتأثير العدوى او تذم عــدوا حين يذكر او تطغى على وعيك ومشاعرك حماسة الجموع ، وقالت الآية ١٥٠ ـــ ١٥٤ مـــن سورة الأعراف : ان موسى (ع) القى الالواح (اي التوراة) وفيها هدى ورحمة واخذ برأس أخيه يجره في سورة مـــن سورات الغضب المقدس .. الى غير ذلك مما تفعله وانت لا تود أن تفعلـــه .

اللاهــوت

هو الخالق ، والناسوت هو المخلوق ، وعلـــم اللاهوت مرادف لعلم الكلام والربوبية .

اللوغوس

باليونانية يعني العقل الكلي .

(م)

مــا بعد الطبيعة

يطلق عليه الآن كلمة الميتا فيزيقا ، وعلم ما بعد الطبيعة عند ابن سينا هو العلم الالهي .

الماديــة

مذهب من يقول : ان المادة هي الموجود الوحيد ويفسر كل شيء بالاسباب المادية . وتقابل المادة المثالية التي تفسر كل شيء بأسباب روحية .

الماصدق

اي الذي صدق اخذا من المصداق ، وهو الشاهد للصدق ، تنقسم ألفاظ الماصدق الى كليــة وجمعية ومفردة ، والكلية تطلق على كثير من الافراد بلا حد مثل الانسان ، والجمعيــة تطلق على الافراد المحدودين مثل اساتذة الجامعة اللبنانية ، والمفردة مثل ابراهيم وخليل .

المانويــة

نسبة الى ماني الفارسي ، عاش في القرن الثالث الميلادي ، وينسب اليه القول بوجود الهــين اله النور والخير والــه الظلمة والشر .

وفي مجلة الدراسات الأدبية التي تصدر في بيروت السنة

الرابعة بأعدادها الثلاثة .المجموعة في مجلد واحد ــ مقال بعنوان ماني ودينه ، جاء فيه :

« ان الدين المانوي هو احد الموضوعات الغامضة في تاريخ الأديان ، وان فهمه لأمر صعب للغاية .. والمانوية اليوم من الاديان المتروكة المنسية ، ولا أتباع لها » .

المتواطيء

هو اللفظ الدال على العديد من الأعيان بمنزلة سواء كدلالة الانسان على احمد وطانيوس ، ويقابله المشكك الذي يصدق على كثيرين بالتفاوت كصدق الوجود على واجب الوجود وممكن الوجود .

المثاليــة

ولها أقسام ، وأهمها المثالية الذاتيــة التي تنكر الأشياء المادية ، والمثالية الموضوعية التي تعترف بوجود الأشياء المادية ، ولكن تسندها وترجعها الى مبدأ لا مادي . (أنظر فصل المادية والواقعية والمثالية) .

المحتمل الأقرب

قد يكون للشيء الذي تحتمل وقوعه درجات متفاوتة قربا بعدا ، فاذا اضطررت الى احد الأطراف تعين عليك أن تختار رب الى قصدك وغايتك ــ مثلا ــ اذا دعتك الحاجة الى فر وكان الجو غير ملائم ، وترددت : هل تسافر برا أو أو جوا فعليك أن تختار الأقرب الى السلامة في نظرك العقلاء ، ولو على سبيل الاحتمال الأرجح وهذا الاحتمال

يتعين الأخذ والعمل به تماما كالعلم .

المشاؤون

هم اتباع فلسفة ارسطو ، لانه كان يعلم تلاميذه ماشيا .

المصادرة

هي الدعوى من غير دليل او تتخذ الدليل من عين الدعوى ، كما لو قلت : هذا الكتاب المعروف بالتوراة بين الناس هو من عند الله ، لأن كتاب التوراة ينص صراحة على انه من عند الله .

المفارقة

تطلق هذه الكلمة للدلالة على الآراء المخالفة للمعتقدات المالوفة ، وعلى الذي لا يعتقده صاحبه ، ولكنه يدافع عنه امام الناس ليعجبوا به . (صليبا) .

المقولات

قالت الموسوعة الفلسفية السوفياتية : « قام ارسطو بخدمة كبيرة عندما طور المقولات الفلسفية ، فقد رصد عشر مقولات ، واعتبرها هي الاحوال الرئيسية للوجود ، ورفع للغاية من شان اهميتها العلمية .. وهي تمكن الانسان من احراز معرفة عميقة بالعالم المحيط به » .

وهي (١) الجوهر كالانسان والحجر (٢) الكم ومنه العدد (٣) الكيف كالحرارة والبرودة (٤) الاضافة كنسبة الابن لابيه (٥) الوضع كالقيام والقعود (٦) الأين وهو نسبة الجسم الى المكان (٧) المتى نسبة الشيء الى الزمان (٨) الملك مثل لفلان مال (٩) الفعل مثل كسرت القدح (١٠) الانفعال فانكسر القدح .

المنهج

فسرت المعاجم الفلسفية وغيرها كلمة المنهج في اكثر من صفحة ، والذي نفهمه نحن أن المنهج طريقة محددة لبحث الموضوع المقصود ، وانه يرتبط ارتباطا لا ينفصم عن اتجاه الباحث وثقافته وفلسفته .

المورفولوجيا

علم يبحث في صور الأشياء او اشكالها ، وتطلق هذه الكلمة في علم الحياة على دراسة الأنماط المميزة للأنواع الحيوانية والنباتية . (صليبا) .

ميتاسيكلوجيا

فرع من علم النفس ، يبحث الخصائص اللاشعورية .

الميتافيزيقا

مصطلح يطلق على كل فكرة او مبدأ أو حكم لا يعتمد على الحس والتجربة (انظر ما بعد الطبيعة) .

ميكانيكا

علم قوانين الحركة .

(ن)

النحو المنطقي

فرع من علم ما بعد المنطق يهتم بدراسة العمليات الحسابية المؤولة والمشكلات التي تنشأ عن فحص العمليات الحسابية . (الموسوعة الفلسفية السوفياتية) .

النرجسية

نسبة الى زهرة النرجس ، وفي اليونان اسطورة تقول : ان فتى من الفتيان كان معجبا بجماله ، وفي ذات يوم راى صورته في الماء ، فالقى بنفسه فيه ليمانقها ، فغرق ، ولكن الآلهة اخرجته من الماء ، وحولته الى زهرة النرجس . فاطلقت النرجسية على كل مغرور ، وان مآله الى الغرق والعثور .

وقال صليبا في معجمه : « وتطلق النرجسية في ايامنا على الشذوذ الجنسي الذي يجعل المرء غارقا في عشق ذاته » .

النسبية

انظر فصل نافذة على النسبية .

النفعيـــة

مذهب يقيس القيم بالمنفعة . ونحن على هذا المبدا بشرط ان لا تكون المنفعة الخاصة على حساب الآخرين ، بل نحن لا نفرق بين المنفعة الخاصة بهذا الشرط وبين المنفعة العامة ، وا ي عاقل يشك في ان خير الاقوال والأعمال ما نفع ؟ علما بأن الأفضلية للمصلحة العامة عند التزاحم والتصادم ، وعلى هذا الاساس وجب الجهاد بالروح والمال في سبيل الدين والوطن .

النقطـــة

ولها ثلاثـــة اقسام :

١ ـــ مادية ، وهي اصغر شيء يمكن أن يشار اليه .

٢ ـــ لا يمكن الاشارة اليها اطلاقا ، لانها بلغت الغاية في الصغر ، وبعض المعاجم عبّر عنها بجوهر الفرد .

٣ ـــ النقطة الرياضية ، وهي نهاية الخط . ومن دروس

المنطق التي حفظتها منذ خمسين سنة أو يزيد : النقطة طرف الخط ، والخط طرف السطح ، والسطح طرف الجسم ، والسطح غير منقسم في العمق ، والخط غير منقسم في العرض والعمق ، وعليه فالنقطة لا تنقسم طولا ولا عرضا ولا عمقا لا بالفعل ولا بالقوة أصلا .

النومن

يطلق على الشيء في ذاته ، وهو الحقيقة المطلقة التي تدرك بالحدس العقلي لا بالتجربة . (صليبا) .

النيرفانا

تطلق هذه الكلمة عند البوذيين على الخير الاعلى الذي يبلغه الانسان برجوعه الى المبدأ الأول ، وامحاء ذاته الفردية. واستعملها شوبنهور في انكار ارادة الحياة انكارا تاما .

(هـ)

الهوهو

والمراد بهذا هو التعبير عن أن الشيء هو عين ذاته ، ويستحيل أن لا يكون كذلك والا لانسد باب العلم ، وتعذر الحكم على اي شيء .

وننقل عن ابن سينا القول بأن الهوهو تستعمل أيضا في الاتحاد بين اثنين بطريق او بآخر .

الهيئة

علم الهيئة قسم من الرياضة ، ويبحث أحوال أجزاء العالم

في اشكالها ، واوضاع بعضها مع بعض ومقاديرها ، وابعاد ما بينها ، وحال حركات الأفلاك والكواكب .

(صليبا نقلا عن رسالة ابن سينا) .

الهيولى

وهي مرادفة للمادة والجسم القابل للصورة الجسمية والنوعية (اي تمام حقيقة الشيء وماهيته) (انظر الصورة).

والعقل الهيولاني مرادف للعقل بالقوة الذي يشبه الصفحة البيضاء الخالية من النقش ، وبتعبير آخر هو الاستعداد المحض لادراك المعقولات .

(و)

الواحدية

مذهب فلسفي يقول : ان مبدأ العالم ومصدره واحد ، واختلف القائلون بذلك فيما بينهم ، فقال الماديون : هو المادة . وقال المثاليون : بل هو قوة تدرك وتعلم ، ولا تمت الى المادة بسبب .

وحدة الوجود

ومعناها ان الله والطبيعة بشتى مظاهرها ، شيء واحد ولا اثنينية ، بل كل شيء منها هو الله سبحانه وتعالى عما يصفون ، واوضح ما قرأت في هذا الباب قول طاغور الشهير : « الله حقيقة دائمة الاتحاد بشتى الموجودات ، وتتجلى في مختلف محتويات الكون ، وتتخذ مظاهر متنوعة تبدو في اشكال الطبيعة المتعددة من انسان وحيوان ونبات وجماد » .

(ي)

اليسار واليمين

داب الناس في هذه الايام أن يطلقوا كلمة يميني على من يحافظ على الوضع القائم أيا كان لونه ، ويبقي ما كان على ما كان ، وكلمة يساري على من يقول بوجوب التغيير وتجديد الى الافضل والاكمل .

وننقل عن كتاب الوان لطه حسين انه قال : اليميني من يدافع عن الحرية ، اليساري من يدافع عن العدالة الاجتماعية، ويمكن التوفيق بينهما تماما كما كالتوفيق بـ ين العدل والحرية !.

وهذا خلط واشتباه ، لان اليسار هو التحرر والحرية ، واليمين جمود وتقليد ، فكيف يمكن الجمع بين الضدين ؟ وهل الصراع الذي قام بين من يصلح ويفسد وما زال ، وسيبقى الى آخر يوم — الا صراع بين التقليد الأعمى وحرية العقل والفكـــر ؟

اليوغـــا

فلسفة او نزعة هندية تقوم على ممارسة ترويض النفس وتحررها من الطاقات والغرائز الحسية والعقلية لكي تصل رويدا رويدا الى الاتحاد بالروح الكونية .

اسماء بعض الفلاسفة

ابن باجـــة

من فلاسفة الاندلس ، وهو أبو بكر محمد بن يحيى ، ولد في اشبيلية عام ١١١٨ م.

ابن رشد

فيلسوف اندلسي (١١٢٦ — ١١٩٨ م) .

ابن سينا

فيلسوف فارسي (٩٨٠ — ١٠٣٧ م) .

ابن طفيــل

من فلاسفة الاندلس ، ولد في تادس ، ومات في مراكش عــام ١١٨٥ م .

ابيقــور

فيلسوف يوناني (٣٤٢ — ٢٧٠ م ق م) .

ارسطو

اشهر فلاسفة اليونان (٣٨٤ — ٣٢٢ م) .

افلاطــون

فيلسوف يوناني كبير وشهير (٤٢٧ — ٣٤٧ م) .

افلوطــين

فيلسوف مثالي ، ولد في مصر عام ٢٠٥ بعد الميلاد ، وعاش في روما ، ومات عام ٢٧٠ .

اوغسطين

فيلسوف مسيحي لاهوتي متصوف ، ولـد في طاجسطـا بالجزائر عام ٣٥٤ ومات ٤٤٠ م .

بركلي جورج

فيلسوف انكليزي مثالي ذاتي (١٦٨٥ — ١٧٥٣ م) .

برادلي .. هربرت

فيلسوف انكليزي (١٨٤٦ — ١٩٢٤ م) .

برجسون . لوي

فيلسوف فرنسي (٨٥٩ — ١٩٤١ م) .

بسكال بليز

فرنسي (١٦٢٣ — ١٦٦٢ م) .

البيروني

محمد ابو الريحان ، ولد عام ٩٧٣ م ومات بخوارزم بغزنة في افغانستان عام ١٠٤٨ .

بيكون فرانسيس

فيلسوف انكليزي (١٥٦١ — ١٦٢٦ م) .

تومـا الاكويني

ايطالي لاهوتي (١٢٢٥ — ١٢٧٤ م) .

جرين توماس

انكليزي (١٨٣٦ ــ ١٨٨٢ م) .

جميس وليم

عالم نفسي أمريكي (١٨٤٢ ــ ١٩١٠ م) .

ديكــارت

فيلسوف فرنسي (١٥٩٦ ــ ١٦٥٠ م) .

ديموقريطس

فيلسوف مادي يوناني (حوالي ٤٦٠ ــ ٣٧٠ ق م) .

ديوجين الكلبي

فيلسوف شهير ، عاش في اثينا (٤٠٤ ــ ٣٢٣ ق م) .

ديوي جون

فيلسوف أمريكي (١٨٥٩ ــ ١٩٥٢ م) .

الرازي

ابو بكر محمد بن زكريا الرازي ، ولد في الري ، وتوفي عام ٩٢٣ او ٩٣٢ م، طبيب وفيلسوف وعالم رياضي .

راسل برتراند

فيلسوف انكليزي (١٨٧٢ ــ ١٩٧٠ م) .

روسو جان جاك

فرنسي (١٧١٢ — ١٧٧٨ م) اشتهر كفيلسوف وعالم اجتماع .

زينون الايتومي

مؤسس المدرسة الرواقية ، ولد في اكتيوم بقبرص (حوالى ٣٣٦ — ٢٦٤ ق م) .

سارتر جان بول

فرنسي ولد سنة ١٩٠٥ كاتب وفيلسوف وجودي .

سبنسر هربرت

فيلسوف انكليزي شهير (١٨٢٠ — ١٩٠٣ م) .

سبينوزا

فيلسوف هولندي يهودي (١٦٣٢ — ١٦٧٧) .

ستيفنسون تشارلس

فيلسوف امريكي ولد سنة ١٩٠٨ .

سقراط

فيلسوف يوناني كبير وشهير (٤٦٩ — ٣٩٩ ق م) .

شوبنهور

فيلسوف معروف الماني (١٧٨٨ — ١٨٦٠ ق م) .

شيللـر

شاعر وفيلسوف الماني (١٧٥٩ ــ ١٨٠٥ م) .

شيشرون

فقيه وسياسي وفيلسوف روماني (١٠٦ ــ ٤٣ ق م) .

صدر الدين الشيرازي

ويعرف بالملاصدرا ، ايراني توفي ١٠٥٠ هـ .

طاليس الملطي

اول فيلسوف اغريقي قديم من الناحية التاريخية (حوالى ٦٢٤ ــ ٥٤٧ ق م) .

الطوسي

نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن ، كبير وشهير بالفلسفة والفلك والرياضيات (١٢٠١ ــ ١٢٧٤ م) .

الغزالـي

ابو حامد محمد ، فقيه وفيلسوف متصوف (١٠٥٩ ــ ١١١١ م) .

الفارابي

ابو نصر محمد بن محمد بن طرخان من عظماء الفلاسفة ، تركي (حوالى عام ٢٥٩ ــ ٣٣٩ هـ) .

فشتـه

فيلسوف الماني (١٧٦٢ ــ ١٨١٤ م) .

فيثاغورس

فيلسوف يوناني ازدهر حوالي عام ٥٣٠ قبل الميلاد .

كانــت

فيلسوف وعالم الماني (١٧٢٤ — ١٨٠٤ م) .

كونــت

فيلسوف فرنسي (١٧٩٨ — ١٨٥٧ م) .

كيركجــارد

دنماركي (١٨١٣ — ١٨٥٥ م) .

لوك جون

فيلسوف مادي انكليزي (١٧٣٢ — ١٨٠٤ م) .

ليبنتــز

الماني (١٦٤٦ — ١٧١٦ م) .

مــاخ

نمسوي (١٨٣٨ — ١٩١٦ م) .

ماركس

ولد في مدينة ترير بالمانيا سنة ١٨١٨ م وتوفي بلندن ١٨٨٣ .

مل ستيوارت

انكليزي (١٨٠٦ — ١٨٧٣ م) .

مل جيمس

اسكتلندي (١٧٧٣ — ١٨٣٦ م) .

ماكيافيللي

مفكر ايطالي (١٤٦٩ — ١٥٢٧ م) .

نيتشــه

الماني (١٨٤٤ — ١٩٠٠ م) .

نيوتن اسحق

عالم طبيعة انكليزي (١٦٤٣ — ١٧٢٧ م) .

هاميلتون

فيلسوف اسكتلندي (١٧٨٨ — ١٨٥٦ م) ٠

هرقليطس

يوناني ازدهر حوالى ٥٠٠ ق م ٠

هكسلي

انكليزي (١٨٢٥ — ١٨٩٥ م) ٠

هوبز توماس

انكليزي (١٥٨٨ — ١٦٧٩ م) ٠

هوسرل ادموند

الماني (١٨٥٩ — ١٩٣٨ م) ٠

هيجـــل

فيلسوف الماني شهير (١٧٧٠ — ١٨٣١ م) ٠

هيوم ديفيد

اسكتلندي (١٧١١ — ١٧٧٦ م) ٠

ياسبرز كارل

الماني ولد سنة ١٨٨٣

المصـــادر

- الكنى والالقاب للشيخ عباس القمي
- الموسوعة الفلسفية المختصرة ، نقلها عن الانكليزية الى العربية فؤاد كامـــل وجلال العشري وعبـــد الرشيد الصادق ٠
- الموسوعة الفلسفية ، وضعتهـــا لجنـــة مـــن العلماء السوفياتيين ، وترجمها الى العربية سمير كرم ٠

الفهرس